بسم الله الرحمن الرحيم

المسيرة الخضراء

معلمة رائعة في سجل الجهاد الاسلامي

بعد ايام قليلة تحل الذكرى الاولى للمسيرة الخضراء المظفرة التى انبثق عنها المغرب الجديد وأسفرت عن تحرير الصحراء واسترجاع الارض المغتصبة واعلاء راية الاسلام والعرش العلوى فوق هضابها ·

ولقد كانت المسيرة الحسنية نقطة تحول جذرى فى تاريخ المغرب الحديث اعادت لبلادنا مكانتها التاريخية ودعمت كيانها ورفعت شانها بين الدول وصححت الاوضاع وقومت الاعوجاج ورأبت الصدع واعطت للشعب المغربى نفسا جديدا دفع به اشواطا فى طريق النماء ·

ولم تكن المسيرة الخضراء تكتيكا سياسيا اقتضته ظروف ضاغطة بقدر ما كانت انتفاضة شعب ابى ان يستمر فى الاغلال مكبدا وفى القيود مصفدا وعلى مرمى البصر منه استعمار صليبى حاقد يكيد له كيدا ويتحرش به ويستفزه ويحول بينه وبين اللقاء بمواطنيه فى الصحراء ·

لقد كان شعبنا هنا فى شمال المملكة يشعر بفداحة المسؤولية وثقل العبء وجسامة الامانة وهو يتطلع الى اخوانه فى أقصى الجنوب يسامون سوء العذاب ويعانون العسف والقهر والمهانة فلا يقوى على تغيير المنكر وطرد المغتصب والثار لابناء العمومة · وكان عاهل البلاد المفدى اشدنا احساسا واكثرنا وعيا بحرج الموقف وخطورة الظرف ، فلم يفتا حفظه الله يصل الليل بالنهار من اجل التعجيل بافتكاك اسر رعاياه والاسراع لفك الحصار عنهم وانضمامهم الى حظيرة الوطن · وسلك اعزه الله شتى

السبل واتخذ مختلف الوسائل واستخدم اقصى حد ممكن من الروية والتؤدة والحلم ، وعرض على الدولة المستعمرة حلولا وطرقا للتفاوض ولم يدع اسلوبا ديبلوماسيا الا ولجأ اليه املا فى اقناع الخصم على التنازل قليلا عن تعنته وعناده واصراره على انكار حق المغرب فى استكمال سيادته وحرصا على حقن الدماء ، وتجنبا للصدام ، وايثارا للسلام ·
واستمرت المحاولات الجادة المخلصة الدؤوب تتوالى فى جهد وحرص ومتابعة، الى أن اتضحت النوايا السيئة ، وتبينت المخططات المغرضة ، وتأكد عزم الاستعمار على تنفيذ جريمته النكراء فى وضح النهار · فلم يجد قائد الشعب بدا من اللجوء الى وسيلة جديدة والاخذ باسلوب لم يعهده العالم من قبل ، فكان ان تفتقت عبقرية الملك المصلح عن خطة المسيرة ، وانتهى تفكير جلالته الى فكرة الدخول الى الصحراء بالطرق السلمية ·

وكانت المسيرة الخضراء الى الصحراء ..

واهتز العالم كله للنبا الذى اعلنه جلالة الحسن الثانى فى مساء سادس عشر أكتوبر من السنة الماضية ، وبهت الاعداء وأخذوا بما لم يخطر لهم على بال ، وتغيرت استراتيجية الصراع فى المنطقة ، واحتد النزاع ، واشتدت المساومات والمزايدات فى محاولة للتاثير على القرار الحاسم والنيل من العزم الاكيد والفت فى عضد القائد الملهم ، فاذا بالذين اعلنوا على رؤوس الملا تاييدهم المطلق للمغرب فى كفاحه العادل من اجل تحرير مناطقه المحتلة يجاهرون بالعداء والحقد والضغينة ، وينكثون عهدهم، وياخذون فى معاكسة ارادة الملك والشعب ووقف حركة التاريخ بالباطل والمهاترات والشعوذة السياسية والدجل الاعلامى ، واذا بالدولة الاجنبية فى المنطقة تراوغ وتسوف وتماطل وتهدد ، واذا بالقوى المعادية للعروبة والاسلام المناهضة للعدل والسلام تنحاز الى جانب الشر والمكر والتآمر تارة بصورة مكشوفة وبالدس والمكيدة تارة اخرى · فما زادنا كل ذلك الا اصرارا على المضى فى المسيرة ، وقوة على الصمود فى وجه العراقيل · وقدرة على احباط المؤامرات ، وعزما على انتزاع حقنا المغتصب مهما كان الثمن فادحا ..

وبقدرما قوى ايماننا بحقنا ، واشتد التفافنا حول العرش القائد المجاهد كثر من حولنا المؤيدون والمساندون لا يدفعهم الى ذلك شىء الا تعزيز جانب المغرب وتدعيم موقفه لما فى ذلك من اعلاء لكلمة الاسلام ورفع لراية العروبة ، وتمكين لامة القرآن فى الارض ·

ودخلنا الصحراء بالايمان والعزم والالتفاف حول العرش ، وفرح الشعب المغربى بنصر الله .. فوجدنا احضانا تتهيا للاستقبال ، والفينا افئدة تهفو للقاء ، وتمتلىء بالحب لله والاخلاص للوطن والولاء للملك ..

ودخلت المسيرة الخضراء التاريخ من اوسع ابوابه فكانت بذلك علامة مضيئة على طريق الخير والحرية والوحدة ·

وليس من شك ان المغرب خلق خلقا جديدا بعد مسيرته القرآنية ، واستوى عملاقا يفرض وجوده فى الساحة الدولية ويعطى المثل الحى المجسم للامم المؤمنة ويقوم شاهدا على امكانية انتصار الاسلام فى عصر الالحاد والفسوق والردة ، وتفوق المؤمنين على المتخاذلين والمنهزمين من تلامذة الاستعمار وفتيان الصهيونية وخدام الصليبية ·

وليس من شك — ايضا — ان قائد المسيرة ورائدها الذى لم يكذب قومه قط جلالة الحسن الثانى توج جهاده الطويل بعمل لم يسبق اليه ،واعطى الدليل على قدرة العرش لتغيير مجرى التاريخ وصون مقدسات الوطن من ان تداس أو تمتهن ·

ومن نافلة القول ان المغرب بانتصاره الباهر فى معركة السيادة الوطنية دخل مرحلة جديدة من الكفاح تتطلب مزيدا من الجهد والبذل والعطاء استئنافا للدور الذى لعبه على مر التاريخ ومواصلة للرسالة التى حملها ملوكه فكانوا — بحق — هداة وروادا وقادة ·

خرج المغرب من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ، وبدأ عهدا جديدا تضاعف فيه الجهود ويعظم فيه الاجر ويشتد الصراع ويحمى اوار المعركة ·

ولن يكون المغرب خارجا عن نطاق المجموعة العربية والاسلامية ، فان انتماءه الى العروبة والاسلام من القوة والرسوخ والتمكن بحيث يستحيل التنصل — باى شكل من الاشكال — من الاضطلاع بالمسؤولية والقيام بالواجب الاسلامى المقدس ·

وبقدر ما تشتد ضربات الاستعمار والصهيونية والصليبية الموجهة الى العالم العربى والاسلامى بقدر ما تزداد مسؤولية المغرب فى الرد والردع والمواجهة والتصدى والانتصار للقيم المهددة بالغزو والانقراض والفناء · فما كان المغرب المسلم العربى بقيادة ملوكه العظام ليتساهل أمام الاخطار التى داهمت العروبة والاسلام او التقاعس فى وجه غارات المسخ والردة ، فقد بادر لانقاذ عقيدة التوحيد وسارع لرد العدوان وغضب لله ولرسوله وللمؤمنين وانتفض لاعلاء كلمة الاسلام والتمكين للعروبة فى الارض · وليس عجبا ان تختلف طبيعة الاستعمار الاوروبى فى بلادنا عنها فى البلاد العربية والاسلامية ، وليس غريبا ان يكون المغرب آخر معقل عربى اسلامى يسقط فى يد المحتل الاجنبى ، بل حتى سقوطه كان نتيجة عوامل وظروف وملابسات فوق طاقة البشر ، ولعبت فيه الصراعات الدولية فى أواخر القرن التاسع عشر الدور الرئيسى ، واستمرت المقاومة الشعبية — بايعاز وتوجيه وتدبير من العرش — زهاء ربع قرن · وهذا لم يحدث قط فى اى منطقة عربية اسلامية ، ولا فى اية دولة من دول العالم الثالث ·

ومن هنا يبرز دور المغرب فى المعركة الشرسة التى تواجه الامة العربية والاسلامية · فاذا قام قائد الامة الملهم جلالة الحسن الثانى باسترجاع الصحراء ، ورفع راس المغاربة فى الجنوب شامخا ، فليس فى

ذلك ما يستغرب منه ، ولم يزد جلالته على ان اقتفى أثر اجداده وترسم خطاهم ووفى بالعهد الذى قطعه على نفسه يوم ان بايعته الامة على السمع والطـــاعـــة ·

والحق ان للمغرب دورا فى الحاضر والمستقبل لا يقل شأنا عن دوره فى الماضى ان لم يزد عليه ويفقه قيمة وأهمية ، يرشحه لذلك قدره ومكانتـــه ومقوماته وتراثه وحضارته ونظامه العريق الممتد فى التاريخ والارض · ولا خيار للمغرب فى القيام بهذا الدور باعتباره مرابطا على ثغر مـــن ثغـــور الاسلام وسائرا على النهج القويم ، اذ يأخذ بزمام أمره ملك مجاهد يذود عن الحمى وينافح عن العقيدة ويحرس حضارة هذه الامة بيقظة ووعى ·

ولم تكن المسيرة الخضراء الا خطوة فى هذا الطريق · ولم يتحرك جلالة الحسن الثانى وشعبه من ورائه لتحرير الصحراء وطرد المستعمر الغاصب الا بدافع الشعور بهذه المسؤولية الجسيمة وبرغبة الدفاع عن موقـــع استراتيجى من مواقع الجهاد فى الوطن الاسلامى الكبير ..

ولقد كانت القوى العالمية المعادية للاسلام والسلام تخطط لقيام دويلة ماركسية فى جنوب المملكة المغربية لتكون قاعدة شيوعية تنطلق منها جحافل الكفر والالحاد والخيانة لتضرب دول المنطقة وتتطاول على سيادة افريقيا · وكان ضمن المخططات الاستعمارية التى أجهضها جلالة الحسن الثانـــى بعون الله تفريخ الشيوعية فى الصحراء المغربية للتحكم فى المواطنين المسلمين وربطهم بصفة ذليلة الى عجلة المصالح الاستعمارية الدولية ، كما كـــان الهدف يرمى الى التمكين للصهيونية العالمية فى المنطقة تحتشعار دولـــة ماركسية علمانية لا دينية تكون بمثابة البديل للمواقع التى خسرتها اسرائيل فـــى افـــريقيـــا ·

ولقد تحرك جلالة الحسن الثانى فى الوقت المناسب ليضرب الضربة المناسبة فى الموقع المناسب ، ولم يفلح الاستعمار فى تحقيق حلمه فى صحراء يوسف بن تاشفين ومولاى اسماعيل والحسن الاول ، وبـــاءت جهـــوده بالخسران العظيـــم ..

وبذلك كان كفاح الملك والشعب من اجل تحرير الصحراء مشاركـــة فعالة فى انقاذ البلاد الاسلامية مما يبيت ضده من مؤامـــرات .. وكـــان الله تعالى اختار الحسن الثانى فى هذا الجناح من العالم الاسلامى ليقوم بهذا الدور التاريخى فى وقت تتعرض فيه الامة العربية والاسلامية لهجوم دموى رهيب لا يعلم الا الله والراسخون فى العلم اين ينتهى ومتى يقف ·

وهكذا ، فان المغرب لم يحرر الصحراء لنفسه ، بدافع أنانى محض ، او تشبثا بوطنية ضيقة ولكنه قصد بتحرير صحرائه الى تخليص الاخـــوة والاشقاء ـــ وحتى الاصدقاء ـــ من خطر ماحق كاد يفترس المنطقة افتراسا·

وبهذا الاعتبار فان العمل البطولى الذى قام به الملك والشعب بتحرير الصحراء واسترجاعها الى حظيرة الوطن الاب انما هو تمكين للعروبـــة

والاسلام وترسيخ للقيم الخالدة التى ارتبطت بتاريخ شعبنا وتدعيم لاسس السلام والامن وقطعا لدابر الفتنة والاضطراب والفوضى والارتماء فـى احضان المعسكرات الحاقدة على الاسلام ·

ولا يملك المغرب الا الاستمرار فى هذا السبيل ، فى حاضره ومستقبله باذن اللـــه ·

الاسلام والعروبة معا ، تلك عقيدة المغرب ومنهجه ومنطلقه ، وتلك هى الطريق المأمونة المسالك الواضحة المعالم المضمونة الوصول الى الهدف بمشيئة الله · وذلك هو السلاح الذى تحمله مملكتنا فى وجه الفكر العميل المستورد الضليع مع الاستعمار الذى يزحف اليوم زحفا رهيبا على العالم العربى والاسلامـــى ·

الاسلام والعروبة معا قاعدة العرش وأساس الوحدة ودعامة الامن وأرضية المغرب الجديد · ولن تقوى مؤامـــرات الماركسيـــة والاستعمـــار والصهيونية واليهودية على بلوغ أهدافها ما أقمنا حكم الله ورضينا به حلا لمشاكلنا وقضايانا وامتثلنا للامر الالهى الصريح القاطع وعضضنا بالنواجذ على شريعة الاسلام ولغة القرآن وازددنا تمسكا بهذا العرش الخالد الذى هو وحده ضامن الوحدة والتضامن والاخوة والتعاون لما فيه مصلحة الشعب بجميع فئاته ·

فمسيرتنا مسيرة اسلامية عربية خالصة لوجه الله ..

ووظيفة نظامنا الذب عن حياض العقيدة والذود عن حمـــى الملـــة والحفاظ على كرامة الشعب وصون عزة الوطن وحماية هيبة المسلمين ·

وهذا يعنى ـــ بداهة ـــ رفض الحلول المستوردة ، وقمع المذاهب الهدامة ، وضرب التيارات المناهضة ، والتصدى لمحاولات الاحتواء والغزو والاستلاب ومواجهة اعداء العروبة والاسلام بما أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نواجههم به لتكون لنا الكلمة والسلطان والنفوذ فى الارض ..

ولم تكن معركة الصحراء الا ضربا من هذا الجهاد الشاق الطويـــل ·

فطوبـــى للمجـــاهـــديـــن ·

وبورك لاميـــر المؤمنيـــن ·

ولن يخذل الله ملكا يسلك سبيل الاسلام ويخلص لشعبه اخلاصـــه لـــدينـــه ·

دعـــوة الحـــق

ثلاثة محاور بارزة في الخطاب الملكي السامي بمناسبة عيد الشباب :

مسيرتنا تتسم بروح الاسلام .

توطيد الاستقرار سياسياً واقتصاديا .

تميز الخطاب الملكي السامي ، بمناسبة عيد الشباب هذه السنة بطرح موضوع القرض الوطني لفائدة تنمية الاقاليم الصحراوية المسترجعة .

ولقد كانت استجابة الشعب لنداء قائده الهمام في مستوى المسؤولية الوطنية مما أكد بكيفية موضوعية الاستعداد الدائم للتضحية بالنفس والنفيس من أجل بناء مغرب مزدهر .

وفيما يلي النص الكامل للخطاب الملكي :

لا طبقية في الملكية

الحمد لله

والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز :

ها نحن نلتقي اليوم في هذه السنة ، كما نلتقي كل سنة ، في تاسع يوليو ، يوم عيد الشباب ، الا أن لقاءنا اليوم ، أحسن وأروع من لقاءاتنا الاخرى .

ذلك ان السنة المنصرمة كانت سنة مليئة بالانتصارات ، والاشواط التي قطعناها ، والمراحل التي مررنا بها ، كانت كلها حافلة بالتوفيق من الله ، والاسعاد من الله سبحانه وتعالى . حيث أنه جعلنا ندرك اهدافنا وأي اهداف ، وبأي ادراك .

فلنحمد الله سبحانه وتعالى ، على منته وتوفيقه وانه قال : « وان شكرتم لازيدنكم » ، وكأنني بنا شعبي العزيز ، ونحن في هذه الغمرة ، فكأني بالرجل ، أو الشعب ، الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم أو كما قال : « ان لله رجالا لو اقسموا على الله لابرهم » ويمكننا أن نقول : ان جمع الرجال يعني الشعوب ، فهنيئا لك شعبي العزيز ، حيث أنك من الشعوب الذين اذا اقسموا على الله ابرهم . ذلك لان قسمهم كان دائما يرمي الى الخير .

ومسيرتهم تسير الى الخير ، وعملهم متسم بروح الاسلام ، غير متسم بالانانية ، بل متسم بالعمل والخير ، لا للشعب المغربي ، فقط بل للشعوب المجاورة له عربية أو مسلمة او عادية كانت .

توطيد الاستقرار

شعبي العزيز :

انك تذكر اننا جعلنا من السنة الماضية سنة تحرير الصحراء . ولم تمض سنة على الوعد الذي قطعناه جميعا حتى – قلت لك – كلل الله الجهود بالنجاح .

وهذه السنة اريد ان نجعلها – شعبي العزيز – تحت الشعار الآتي : توطيد الاستقرار سياسيا واقتصاديا وبناء صرح المغرب النهائي ، بمؤسساته وما تفرضه تلك المؤسسات . حتى نجعل بلدنا في مأمن

من كل عبث من جهة ، وحتى نجعل حسادنا – وما اكثرهم وكثر الله حسادنا – يموتون غيظا وكمدا ، وهم يرون المغرب يقطع مسيرته ، السياسية ، والاقتصادية للاستقرار ، للاطمئنان ، ليربح بها قرونا لا أعواما ، حتى يصبح ذلك المغرب الذى فكر فيه أجدادنا وآباؤنا ونفكر فيه نحن على مستوى القارة ومستوى العالم فى قرن الالفين ·

شعبى العزيز :

سنة توطيد الاستقرار سياسيا واقتصاديا ، تقتضى قبل كل شىء ، ان كل مغربى ، فى كل بيت ، وفى كل حقل من حقول العمل ، وفى كل مستوى من المستويات ، يشعر ان بيده مسؤولية من المسؤوليات،، حتى هو بعمله .. كان قبيحا أم حسنا – من شانه أن يؤثر على الاحداث فى البلاد ·

بكيفية عامة ، اريد ان تكون الحلقة مليئة بالمغاربة جميعهم ، وليس فى وسطها طائفة ، وطائفة أخرى ، أو طوائف أخرى تعيش هامشية · ان الشعور بالمسؤولية – ولى فى هذا تجربة خاصة – يبدل الرجال ، فكم رجل عابث اذا اصبح مسؤولا ، أصبح عاقلا ، كم رجل خفيف ، حين تشعر بالمسؤولية اصبح رزينا ، وكل انسان يكون يعيش هامشيا مهما تعطاه مسؤولية يشعر أنه فى خضم المشكل ، وأنه يساير بلده ويعايش بلده ، بل يبنى صرح بلاده بلبنته هو ·

وفى هذا الباب ليس هناك اللبنة المهمة أو اللبنة الكبيرة وليس هناك اللبنة الكبيرة أو اللبنة الصغيرة البيت ببنائه وفراشه وزخرفه ، كل اللبنات ضرورية له ، وهذه السنة – شعبى العزيز – أردت للشعب المغربى – كما كان – .. أن يشارك فى حكم بلاده ·

لا طبقية فى ظل الملكية

لماذا كما كان ؟

كما كان ، لان فى قراءة تاريخ المغرب ، نجد أن المغرب هو البلد الوحيد الذى لم تعتمد اسره الملكية على طبقة من الطبقات ، المغرب هو البلد الوحيد الذى لم يخرج منه النبلاء ، سواء نبلاء الحرب ، أو نبلاء القلم ، المغرب هو البلد الوحيد الذى لم يعتمد ملوكه من الادارسة الى العلويين على الاقطاعية ·

ولم يجعلوا من بعض الاسر حبسا او وقفا على الاقطاعية ، ولم يظهر هذا الا فى الاخير عند ما توفى مولاى الحسن الاول طيب الله ثراه ، وبدأ المغرب يتضعضع ، وبدات أطماع الطامعين وبدأت الحماية ، ثم اصبحت فى المغرب أسر وأسامى موقوف عليها الاقطاعية وموقوف عليها الكلمة – كما يقولون – وموقوف عليها العمل باسم المخزن ·

فلهذا أقول : يجب أن يعود المغاربة الى ما كانوا عليه ، الى الديمقراطية الحقيقية ·

الديمقراطية الحقيقية ، حينما نرى اعلام تاريخ المغرب منذ الادارسة الى العلويين كان جلهم من الطبقة الشعبية المتواضعة جدا ·

فهل يا ترى منعهم نظامهم الملكى ، من خوض معركة البناء ؟

هل وضعوهم هامشيا لانهم لم يكونوا ينتمون الى أسرة دون أسرة ؟

هل نسوهم لانهم كانوا دون مال او كانوا دون جاه ؟

لا ،

كان الحق فى العمل ، كان ميدان العمل مفتوحا أمام الجميع ، امام جميع الناس الاكفاء ·

وبالطبع الظروف الراهنة تقتضى ان تكتسى المشاركة فى حياة البلاد وفى المسؤولية شكلا آخر ونظاما آخر ..

واذا قررنا ان نبدأ عمليتنا الانتخابية ابتداء من نهاية شهر رمضان – بحول الله – بالانتخابات البلدية والقروية ، وتتبعها عملية الانتخابات المهنية ، ثم الانتخابات الجهوية والاقليمية ، وأخيرا الانتخابات العامة ، سنفتتح – ان شاء الله – فى شهر ابريل المقبل كما هو مقرر فى الدستور ، البرلمان · ونكون فخورين أن نفتح البرلمان ·

ولكن هذا يقتضى من الجميع – كما يقولون فى أوربا : اللعب بدون غش – يقتضى ممن بيده

الامر ، وزمام الامر ، وضع قانون ، وفتح مجالات ، واعطـاء فرص في مستوى المغاربـة ، ومن واجب المغاربة ان يكونوا عند حسن الظـن ، بالتجرد الكافي وبالموضوعية الكافية ·

ثقـة متبـادلـة

ولكن شخصيا ، أنا واثق من شعبي ، وواثق من نضجه ، وواثق، لان الشعب المغربي يستحق كل ثقة، وحتى الشعب المغربي واثق مني ، لانه جربني منـذ خمس عشرة سنة ، فلم أكذب عليه قط ، ولم أخنه قط ، ولم أتملق اليه قط ، بل قمت بواجبي بكيفيـة تفرح ضميري وتفرح شعبي .

فاذن لا مجال هنا لان يظـن او يقال ـ لا في الداخل ولا في الخارج ـ ان العمليـات التي ستقدم عليها هي العمليات المعروفة ، هذه موسيقى نريـد ان نطوي الصفحة عليها ، وهذه موسيقى تضر ببلدنا وتضر بالمغاربة انفسهم ·

وكما قلت لكم ، انطلاقا من ان المغاربة يستحقون كل ثقة ، وهم أهل لكل تقدير ، لان شعبا نظم مسيرة كمسيرة الشعب المغربي ، شيء في حد ذاته مدهش، باهر ·

ولكن كونه يقف عند ما طلب منـه الوقوف ، فتلك هي معجزة الزمان ، ومعجزة القرن ·

فاذن شعب كهذا يستحق ان ياخذ زمام أمـره بيده ، ولهذا ـ شعبي العزيز ـ ذهبت بعيدا جـدا في ميـدان إلقانـون الاساسي للبلديـات والمجالس القروية ·

ذهبت بعيدا جدا ، وتقريبـا لم أتـرك في يد السلطة التنفيذية اي شيء ، مما كان في يدها · وحتى أعطيك مثالا · فان جميع موظفي العمالـة او مقـر المجلس البلدي أو القروي ـ كانوا موظفي الدولـة او البلدية ـ سيكونون رهن اشارة وتحـت اشراف المسؤولية الادارية لرئيس المجلس البلدي ·

ومثـال آخـر :

التصرف المالي سيكون بيد رئيـس المجلـس البلدي ·

ومثـال آخـر :

منجزات البرامج والتخطيطـات ستكـون تحت مسؤولية ، ومراقبة المجالس البلدية ·

احسن من هذا أن تكون التاشيرة بالموافقة التي كانت المجالس البلدية تنتظرها ـ تاتي أو لا تاتي ـ لتنفيذ وانجاز مشروع ما ، سوف لا تنتظرها اكثر من خمسة واربعين يوما ·

واذا لم تات ، يعتبـر ذلك ، أن المشروع يجب ان ينفـذ ·

لسنا هنا لتعداد هذا الفرق الموجود بين صلاحية البلديات الاخرى ، وبلديات اليوم · نحن هنا لناخـذ الفلسفة ، لتكون فلسفة الخطوة التي سنخطوها وهي اننا سنجعل جميع المجالس البلدية والقروية امـام مسؤولياتها مباشرة ، وامام الناخبين مباشرة ·

لم يبق لاي منتخب في المستقبـل ان يقـول ان الادارة أو السلطة عكرت جوه أو عكرت عمله ·

الجميع سيدخـل المعركـة

النتيجة : الجميع سيدخل العمل ، لن يبقـى واحد هامشيا

المنتخب ـ بفتح الخاء ـ سيشتغل صباح مساء

المنتخب ـ بكسر الخاء ـ سيراقب صباح مساء

رجال السلطة لن يضيعوا أوقـاتهم في سفاسف الامور ، بل سيمكنهم اذاك التفرغ للاحصائيات ولعلم الاقتصاد في ناحيتهم والدراسة الاجتماعية في نواحيهم، وللاخذ بيد المنتخب ـ بفتح الخاء ـ لان كون هـذا المنتخب تحرر من السلطة التنفيذية فليس معنى هذا انه سيعيش في جهة والسلطة التنفيذية في جهة اخرى·

لا · بل السلطة الادارية ، ضروري ، أن تكون بجانب المنتخب ـ بفتح الخاء ـ وهذا المنتخب ضروري أن يكون بجانب السلطة التنفيذية ·

المصلحة الاخرى وهي اهم مصلحة بالنسبة لي ، اذا أحصينا عدد المجالس البلدية والقروية نجـد ان عددها يبلغ 800 مجلس بلدي أو قروي ·

لنفرض أن فى هذه الثمانمائة ، لم يظهر لنا بينها سوى عشرة فى المائة من المتصرفين التصرف الحسن، من المدركين للمصلحة العليا ، من المدركين لما يجب ان يعمل وما يجب ان لا يعمل · من المدركين للاسبقيات الحقيقية ، من العشرة فى المائة وهم ثمانون · اذاك سيكون لدى مدخر 80 قوة وطاقة جديدة ، يمكن لى تصريفها فى سبيل مصلحة البلاد ، اما فى الحكومة ، واما فى السفارات ،واما فى الادارات، واما فى المراكز ·

أما اذا بقينا هكذا فلا احد سيتعلم لكى يشتغل، سياتى وقت نعين فيه اى واحد ليكون وزيرا ، حتى نملا الفراغ ، واى واحد ليكون مديرا ، حتى نملا الفراغ ، أما اذا جعلنا من مدرسة الانتخابات ، وهى المدرسة التى تعرف تسيير الميزانية ، وكيف تنظم اعمالها حتى تنجز تخطيطها ، مدرسة تكوين أفراد يعرفون الاسبقيات الحقيقية ، افراد يلمسون — بكيفية قريبة جدا — الحاجيات الحساسة فى نفوس السكان ·

هذه هى المدرسة التى تكون الوزراء والسفراء والمديرين ، فاذن ، — واظن اننى استطيع الحصول على أكثر من عشرة فى المائة — اذا ربح المغرب فى كل مرة عشرة فى المائة وهم ثمانون من الناس الذين تكونوا هذا التكوين ، من الاطارات السياسية ، سنخلق طاقة جديدة للمغرب ، يمكن أن يعيش عليها كل سنة وكلما تجددت الانتخابات ·

وهذه المسألة ضرورية ، شعبى العزيز — لان الحكم يهلك ، ولان المسؤولية تتعب ولان سنة المسؤولية فى مستوى وزير — يمكن ان تحسب له بسنتين من عمره · أما اذا صعدنا قليلا فى السلم فمن الافضل ان لا نفكر فى الحساب والا — ففى عيد الشباب هذا — لا ادرى كم هو سن خادمك هذا ·

البرلمان آت

اذن ان شاء الله بمجرد ما ينتهى رمضان سنشرع فى الانتخابات البلدية ، وقد وضعنا لائحة يومية لتمكيننا من تتبع مرحلة بمرحلة ، حتى نصل — كما قلت — للمرحلة الاخيرة ·

وارادة منى ، فى اشراك جميع الهيآت السياسية وذوى النيات الحسنة ، ولله الحمد هذه الايام الاخيرة والمعركة الاخيرة التى اجتازها المغرب ، والتجنيد الاخير الذى اجتازه المغرب ، اظهر للجميع أنه لم يبق اى أحد يمكن ان يقال فيه انه ليس ذا نية حسنة ، بل الجميع ، المغاربة كلهم كانوا ذوى نيات حسنة ، بحيث أنا أنوى خلق هيأة بجانبى تسمى مجلسا ليسهر على نزاهة الانتخابات وليمكنه ان ينير تفكيرى ، وان يغذى معلوماتى ، بما يسمعه أو يراه او يقال له ، حتى يمكن لهذه الانتخابات أن تمر — كما قلت — فى جو تام من النزاهة ·

وهذا المجلس سيتكون من ممثلين لجميع الاحزاب السياسية فى المغرب ، اذن — شعبى العزيز — اذا نحن جمعنا هذه المسؤولية ، التى — كما قلت مشتتة ، ومجموعة فى آن واحد — مشتتة لانه لا نعرف متى تبدأ ومتى تنتهى فى بعض النواحى · ومتجمعة لانه مع الاسف كل شىء يعود الى — اذن مشتتة ومتجمعة واذا جئنا لتقسيمها وتوزيعها بكيفية منطقية ، وبدراسة علمية ، وان كان فى السياسة يجب ان لا يستعمل العلم كحساب ، لان الافراد لا يكونون عملية حسابية، ولكن اذا نظمنا السياسة من القاعدة الى قمة الهيكل والهرم ، سيتمكن اذاك ان تسهل علينا الخطوات فى المستقبل ·

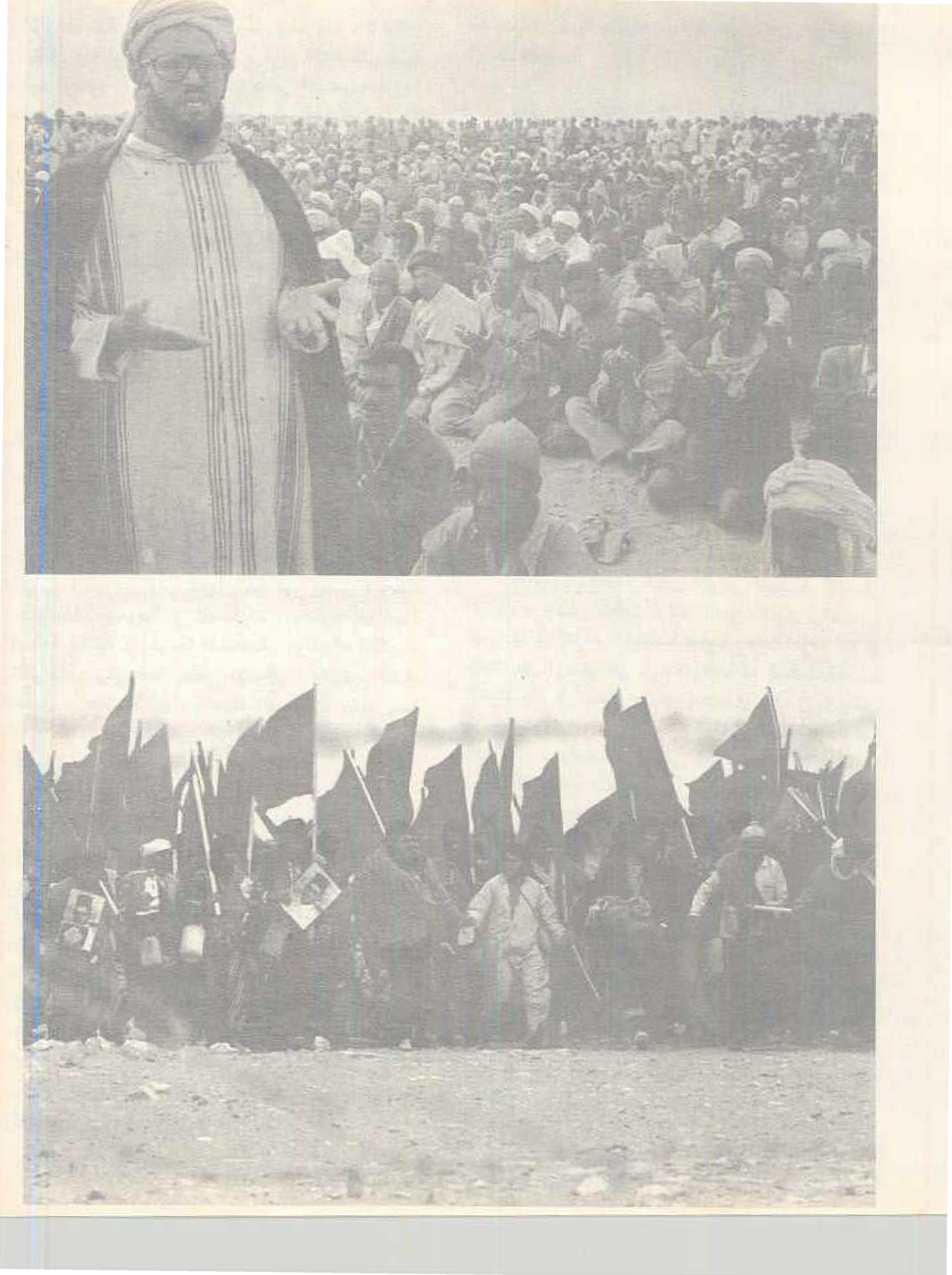
نعم تنظيم مثل هذا — أولا لا يوجد تنظيم مثالى من جهة ، وثانيا التنظيم لا يمنع من ان يلاقى المغرب فى تاريخه عراقيل ومشاكل تجميع الدول ، لان الدول كجميع البشر ، ولكن سيكون من الناحية السياسية متاهلا اكثر للقضاء على المشاكل ،سيكون من الناحية السياسية محصنا أكثر ممن يريد أن يعبث بالهرم ، علما من الجميع انه اذا اشتكت القاعدة اشتكت القمة ، واذا اشتكت القمة بالطبع انعكس ذلك على القاعدة ·

وهذا اولا لبناء بلادنا وثانيا للزيادة فى حسد حسادنا ·

ولكن العمل السياسى اذا لم يكن مقرونا بالعمل الاقتصادى سيكون عملا فارغا تماما ·

شعبى العزيز :

اننى اعلم انك تشتكى عن حق انك تشتكى من



ارتفاع المعيشة ، هذا شيء ملموس ومعروف ، لا يمكن ان يشك فيه احد ، واعلم هذا ، اعلم انك تعانى ما يعانيه الجميع ، وربما اكثر من بعض الشعوب ، وما يعانيه الجميع من الازمة الاقتصادية الخانقة لسنة 1974 ، واعرف شعبى العزيز انه من الانصاف بل من العدل والواجب أن أجيب رغباتك ، وأن البى طلباتك ، ولكن شعبى العزيز سوف اقول لك شيئا واحدا ، وما أعلمه فيك من نضج ومن وعى سيجعلنى اطمئن على كل شيء ·

شعبــى العــزيــز :

وصلنا اليوم منذ يناير الى شهر يوليوز هذا الى مبلغ من الاداءات ولا اقول اخرجنا دراهم من الــورق بل ادينا وسددنا ما يزيد على أربعمائة وخمسين مليارا فيما يخص التجهيز ، ربما ستندهش من هذا الرقم ، كما اندهشت منه ، وكما انا مندهش منه ، الا انه يمكــن أن نقــول علــى ان قسمــا كبيــرا منــه انفق فى المنجزات وان جزءا آخر غير يسير ، قــد انفق لتوطيد وجودنا فى الصحراء · ولتقوية قواتنــا المسلحة الملكية ، وقواتنا المساعدة ، والدرك الملكى ، والشرطة · وكل هذا يقتضى الاموال ، ويقتضى الاداء العاجل ، ويقتضى الاداء بالعملة الصعبة ، وعند مــا تنتهى السنة سوف نكون قد انفقنا ما يفــوق عــن سبعمائة مليار من السنتيمات ·

واننى اطمئنك على أن هذا القدر لم يصرف كله فى التقوية ، ولكن 700 مليار سنتيم يمكن أن نقــول ان الثلث منها قد انفق فى تقوية وسائل الامن ، وجهاز الدفاع عن السيادة المغربية ، بحيث شعبى العزيــز اطلب منك بكيفية خاصة هذه السنة او ما تبقى منهــا السلم الاجتمــاعى ، سلم اجتماعــى يظهــر للجميع انك واع ، وأنا قلت لك فى السنوات التى مضت ، انه ليس المهم أن نطالب بالصحراء ، المهم أن نكــون قادرين على تحمل اعباء الصحراء ، على تحمل اعبائها الداخلية المنوطة بها ، وأعبائها التى تاتى من الخارج· كذلك كان ومهما كان لا يهمنا ·

فلهذا أطلب منك سلما إجتماعيا ، واعدك رسميا انه سينظر فعلا وسينجز ما يخص الاجور منذ ابتداء السنة المقبلــة ·

وكل عمل أقدم عليه الآن من هــذا القبيــل · سيكون فى غير محله ، بل سيؤدى بنا الى ما لا تحمد عقبــاه ·

وسوف لا نقف عند هذا الحد وسوف لا اقول لك اننى اريد سلما اجتماعيا ، بل شعبــى العزيــز اقترح عليك بان نقوم بقرض نسميه قرض الصحراء ، الذى يمكنه أن يجلب لنا ما يقرب من مائة مليار سنتيم·

ما هى منافع هذا القرض ؟ منفعته السيكولوجية اولا فى الداخل أن عددا من الناس فى الخارج يقولون ان المغاربة لم يصبحوا مجندين للصحراء ·

اقول لهم لا · ان المغاربة لا زالــوا مجنديــن للصحراء ، لا زالت نارهم مشتعلــة ، فيمــا يخص قضيــة الصحــراء ·

ولكونهم مجندون تجنيد الوعى تجنيــد الانسان الرزين ، وليس بتجنيد أولئك الذين يظلون يرفعــون أصواتهم فى الازقة · تجنيدنا فى وعى وانا أعرف انه لو طلبت من أى مواطن روحه وقلت له لتذهب قصــد الاستشهاد فى سبيل بلادك لذهب فى الحين ، ولكن من الضرورى ، أن نظهر للــرأى العــام العــالمى للاصدقاء ، وللحساد ، على أننا نجود كذلك بالمال ، نجود به لفائدة الصحراء ، فمن جهة كمــا قلت لك سوف تعطى صورة عن المغرب مشرفة وفى مستوى تاريخه ثانيا من ناحية الخزينة نقول ان مداخيلهــا ستبلغ مائة مليار على الاقل ·

ثالثا نظرا لكون دور التامين أو الابناك تتوفــر الآن على كمية من المال النقدى مهم نظرا لكون السنة الفلاحية كانت سنة طيبة · ربما سيقــع شيء مــن التضخم المالى ، وان هذا النصيب من الدم الذى سوف نخصمه من الاموال المدخرة ، سيكون بمثابة تخفيض للضغط الدموى ، ولا يكون فيه الا الخير من الناحية النقدية ·

اذا نحن أضفنا الى هذا أن هذا القرض حقيقة اولا سيكون بدون ضريبة وستكون له فائدة 7 ٪ وانــه

سيرتفع خلال مدة 10 الى 15 سنة ، نرى حقيقة أن عملية مثل هذه ، ستربح فيها الدولة والخزينـة ، وميزان اداءاتنا الخارجي ·

وسيكسب المغرب بها سمعة في الخارج ، وكذلك الانسان الذي اقترضنا منه ·

فاذن شعبي العزيز عليك أن تعلم كما قلت لك ان عملنا الاقتصادي منوط بعملنا السياسي ·

فاذا نحن وطدنا عملنا السياسي علـى اسس منظمة واذا نحن بنينا اقتصادنا هذه السنة على أسس سليمة بحيث كما قلت لك سلم اجتماعي فيما يخص الاجور وهذه أطلبها منك وهي مسالة ضرورية واذا أضفنا اليها قرض الصحراء فاننا سنهيـىء للسنـة المقبلة ان شاء الله سنة 1977 سنهيـىء حقيقـة مدخولا من أروع المداخيل ، وسيمكن لنا ان نهيىء لسنوات اخرى ، قاعدة يمكن لنا أن ننطلق منها بقوة ، وبثقة كاملة فينا .

قواتنـا المسلحـة الباسلـة

ارجع شعبي العزيز الى النقطة الاساسية في كل هذا · تتساءل ما هو موقفنا من الصحـراء وماذا يجري في الصحراء ؟ أقول لك شعبي العزيز ان اعمال العقلاء مصونة عن العبث وما قمت به من اعمال لا يمكن أن يعبث به بل يجب احترامـه واكتنـازه ، فمسيرتك واستشهاد ابنائك في الصحـراء وبطولـة جنودك في الصحراء وأبنائك واخوانك هي اعمـال لا يمكن أن توصف بالعبث بل يجب ان تحاط بكل مـا يجب من الاحترام والاجلال والاكبار وانا هنا باسمك شعبي العزيز كملكك وكقائد اعلى للقوات المسلحـة الملكية ، أوجه لها ولاخواتها القوات المساعدة ، وقوات الدرك ، وقوات الشرطة ، التنويه الصادر من أعماق الافئدة والقلوب ، التنويه والاجلال والاعظام ، علما منا انها تعاني وتقاسي من الطبيعة ، بالحـرارة في النهار وبالبرد في الليل ، ومن الاعادي ما لا يسهـل تحمله على اي حال ·

وواجبنا نحن أن يحس بنا جنودنا وتحس بنـا قواتنا اننا من ورائها ماديا ومعنويا وديبلوماسيا وفي الداخل ، عليهم ان يعلموا اننا لن نساوم أبـدا في صحرائنا · عليهم أن يعلموا اننا لن نتنازل قيد انملة ، لانها ستكون اكبر خيانة اننا نتفاوض أو نساوم اناسا او نبحث عن حلول غير مشروعة ، وأولادنا وذوونا يموتون في وقت لا يعرفون فيه أنهم يموتون على أي شـيء ·

استمـرار التحـدي

يجب ان يعلم الجميع في الداخل والخارج على ان التحديات لسنا نحن الذين نبحث عنهـا ، لكـن اذا وجدناها في طريقنا نعرف كيف نتغلب عليها ، وعلـى التحديات ، نحن شعب التحدي منذ القدم وسنبقى شعب التحـدي ·

وعلى من يهمهم الامر من الجيران أن يعلموا ان للصبر حدودا لا يمكن ان تتجاوز ، عليهم أن يعلموا أن للكرامة مقاييس لا يمكن أن تداس ويعبث بها · ان كل جندي مغربي أو فرد من القوات المساعدة او شرطي أو دركي يكتسي ويرتدي اللباس العسكري ، الا وهو قطعة من السيادة المغربية ، وكل اعتـداء على تلك القطع من قطع السيادة المغربية ، هو اعتداء على السيادة المغربية ، فحذار ان يحسبوا صبرنـا عجزا او يعتقدوا أن تحملنا خوفا ، لا ، انما اقول لهم من الاحسن أن نكف عن هذه الترهات ، والاعمال الصبيانية ، لانها لن تعود بالخير لا على المغرب ولا على الجزائر ، ولكن ان اقتضى الحال وجاءت في يوم ما لا قدر الله كارثة الحرب فستكون مسؤوليتها على المسؤولين الجزائريين وحدهم ، لاننا نحن لا نذهب لمحاربة أحد ، ولكن لا نقبل أن يأتي أناس يحاربوننا في عقـر بيـوتنـا ·

ايمـان وقـوة وصمـود

وامام هذا كله ليعلم الجميع ان لدينا من الايمان ولدينا من القوة ولدينا من الصمود ما يجعلنا نحارب وننتصر لان المغرب حارب كثيرا طيلة حياته ، فهزم أحيانا وانتصر أحيانا ، وانتصاراته فاقت انهزاماته ، الشيء الذي جعله يبقى واقفا الى سنة 1912 بينما دول أخرى التي كانت انهزاماتها اكثر من انتصاراتها ووقعت تحت العباسيين اولا ثم الاتراك ثـانيا منـذ قرون وقرون أقول لهم كما يقول الاوروبيـون (راه عندنا في هذا البلاد لونطرينيمون الى ما عند كومش) عندنا نوع من التربية التي ليست عند بعض الدول الاخرى ، فاناشدكم بالعروبة والاسلام والجوار والدم

المشترك ان تكفوا ، واكررها ثلاث مرات لان السيل بلغ الزبى وصبرنا قد عيل وقدرة التحمل قد تضاءلت جدا واملى فى الله ان يجد ندائى هذا آذانا صاغية ·

شعبى العزيز :

لا أريد بهذه الخاتمة ان اضفى على هذا العيد وهو عيد الشباب روحا او صبغة شيئا ما حزينة ، او مقلقة ، لا ابدا ، ولكن اعتقد شخصيا انه كان من الواجب على ان اضعك فى الجو كما يقول الناس ، ان أضعك فى الجو حتى تعرف ما امامك وما وراءك ، علما منا اننا نعرفك ، ونعرف حقيقتك ، حينما تعرف المشكل ، وحينما تدرك كنهه وروحه ·

ادراكك للمشكل ومعرفتك لكنهه لا تمنعك ان تفرح فى وقت الافراح ، وان تسر فى أوقات المسرات وان تشاركنا ، وان تشارك فردا من افراد الاسرة الكبيرة فى عيد ميلاده ، وفى عيد أسرته الصغيرة ·

شعبى العزيز :

ارجو الله سبحانه وتعالى ان يعيد هذا العيد عليك وعلى أبنائك سنينا وسنينا · ونحن نحمده سبحانه وتعالى على نعمه التى أسداها الينا ·

شعبى العزيز انك تعلم اننى لا ادخر فى سبيل خدمتك ، والسهر على شؤونك ، لا ادخر وقتا من اوقاتى ، ولا راحة من اوقات راحتى ، ولكننى اجد فى التعب نشوة ، لان التعب فى سبيل المحبوب لا يكون تعبا ، بل يكون بالعكس مسرة ويكون مبعثا للسرور·

شعبى العزيز :

ارجو الله سبحانه وتعالى ان يوفقنا جميعا لما نحن بصدده وان يثبت اقدامنا ، ويقوى عضلاتنا الفكرية ، والمادية حتى يمكننا ان نبنى ذلك الهرم ، الذى ذكرته لك آنفا ، حتى يمكننا ان نجعل من السنة القادمة ، سنة التوطيد للاستقرار المغربى ، ذلك الاستقرار الذى يحسدنا عليه كثير من الناس حتى يمكننا ان نبنى بيتنا السياسى ، بمؤسساته ، على أسس اقتصادية واجتماعية ، لا يمكنها الا ان تذر الخير العميم على المغرب ·

اللهم وفقنا جميعا لما فيه الخير ، اللهم اهدنا سواء السبيل ·

« رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تاويل الاحاديث ، فاطر السموات والارض ، انت ولبى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما ، والحقنى بالصالحين » ·

صدق الله العظيم

والسلام عليكم ورحمة الله



جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله يؤكد في خطابه السامي بمناسبة ذكرى ثورة الملك والشعب على :

اختيارنا الإسلامي في ظل ملكية دستورية

المهم أن نعرف ما يليق بنا من المذاهب والمبادئ وما لا يليق بمجتمعنا ومعتقداتنا

وضع جلالة الملك المعظم في خطابه السامي يوم ذكرى ثورة الملك والشعب الاطار المذهبي لاختياراتنا الراسخة . وكان جلالته أعزه الله أراد أن يوضح لشعبه وهو على أبواب الانتخابات الاسس القوية لنظامنا وسياستنا .

وفي هذا الخطاب التاريخي تقف على فكر جلالة العاهل القائد المحرر وتستنبط تصور جلالته للمرحلة القادمة من تاريخنا الوطني .

الحمد لله وحده

والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز :

ان الله سبحانه وتعالى حباك بتاريخ قل نظيره ، فكأنه حينما في ازليته كان يسطر تاريخك ويخطط طريقك ، فكأنه اراد ان يضفي عليك من حسن الاخلاق والشيم وكريم الفضائل والقيم ما يجعلك محط الانظار وقبلة الحساد .

شعبي العزيز :

ان تاريخنا في الحقيقة ملىء كله بعشرين غشت ، لانه اذا كنا نعبر عن 20 غشت بانتفاضة الحر ضد الاستعباد ، فاذن منذ ان كونك الله كدولة ، ومنذ ان جعلك كامة ، وانت تنتفض دائما كلما شعرت أن حريتك وكرامتك ستمس ولو بقيد أنملة .

شعبي العزيز :

المهم ليس الاحتفال بالذكرى ، ولكن المهم هو ان نخلق في من سيخلفنا من الاجيال نفس الاخلاق ونفس الفضيلة وان نأخذ على عاتقنا أن نكون مدرسة وأساتذة لابنائنا ، وأن نعرف ما يليق بنا من المذاهب والمبادىء وما لا يليق بمجتمعنا وطريقتنا ومعتقداتنا المهم شعبي العزيز ، ان نظل دائما حريصين على مكتسباتنا ، قائمين بواجباتنا ، مخططين لمستقبلنا ، مقومين احسن التقويم لامكاناتنا ومطامحنا .

ولا يمكن شعبي العزيز ان نذكر يوم 20 غشت دون أن نذكر الابطال الذين خلدوا يوم 20 غشت وما تبعه من الايام ، وعلى رأسهم والدنا المنعم محمد الخامس طيب الله ثراه الذي ابى الا ان يقاسم بالمنفى شعبه المصائب التي كان يتحملها من الاستعمار ، وان نذكر بعده من الابطال الذين قاوموا اما بقلمهم ولسانهم واما قاوموا بأرواحهم وحرياتهم ، فمنهم من لا زالوا على قيد الحياة ومنهم من اختفى ومن جملتهم استاذنا علال الفاسي تغمده الله برحمته ، ومن جملتهم علال ابن عبد الله ، ومن جملتهم حمان الفطواكي ومن جملتهم العدد العديد من الذين لا أذكر اسماءهم وليس نسيان أسمائهم باهمال ولكن ولله الحمد أشكره على ان طالت القائمة حتى صرنا نعدهم على الايدي الكثيرة .

شعبـي العـزيـز :

عليك أن تستخلص من يوم 20 غشت عبرا لمستقبلك ، لان المخطط الذى وضعه المستعمرون كان مخططا متقنا فقد بدأوا أولا بالزج بالاطر السياسية على اختلاف مشاربها فى الاحباس ، ونفوا من نفوا وسجنوا من سجنوا ، ثم بعد ذلك اعتقدوا أنهم اذا هم أخذوا ملك البلاد والسلطة التشريعية والشرعية لهذه البلاد ، واذا هم نزعوها من بلادها سيبقى الجو فارغا لعملهم ·

فالظرف المهم فى هذا كله انك لا تعرف الفراغ ، ولا يمكنك يوما من الايام أن تعرف الفراغ ، فلقد زج بزعمائك فى السجن وحرمت من ملكك ، ومع ذلك ففى الشهر الذى تبع 20 غشت وجدت فى أحشائك وفى دمك وفى عروقك ، وجدت فى عبقريتك وماضيك القوة الجديدة لتحرير من كان مسجونا وارجاع من كان منفيا·

وخصلة مثل هذه شعبى العزيز تطمئن الاب وتجعله مرتاحا بالنسبة لابنائه ، فما دمت متحليا بهذه الخصلة ، الا وهو البحث والتجديد كلما اقتضى الحال ما دمت متصفا بها فسوف تبقى المغرب الذى عرفه الاقدمون ويعرفه الآن الناس الذين يعيشون عصرنا ·

ان ذكرى 20 غشت شعبى العزيز ، ذكرى عزيزة لاننا بشرناك فيها كذلك فى السنة الماضية أننا سنكون فى العيون قبل انتهاء السنة وفى ذلك اليوم قررت سرا ومع نفسى تنظيم المسيرة الخضراء ، مسيرتك الخضراء ·

وها نحن اليوم نحمد هذا كله ، بل نزيد على أن توج الله سبحانه وتعالى أعمالنا بالنجاح ، حتى فى المحافل الدولية فرجع وفدنا الذى ترأسه وزيرنا الاول فى كولومبو ، رجع ولله الحمد محفوفا بالنصر والنتائج المستحسنة ·

لماذا نذكر كولومبو ومؤتمر عدم الانحياز ؟

نذكره لسبب واحد لا لاننا كنا ننتظر من مؤتمر كولومبو ان يثبت أو ينفى مغربية الصحراء ، هذا شىء لا جدال فيه ، ولكن كنا ننتظر من كولومبو أن يعرف الناس مع من حشرنا الله فى الجوار والنوايا الحقيقية لمن هم يساكنوننا ويجاوروننا ، ولله الحمد سبحانه وتعالى فقد انكشف الغطاء وعرفَ كل واحد بقيمته الحقيقية والبشرية والسياسية ، وهذا هو الربح الاول والمهم من مؤتمر كولومبو ·

شعبـي العـزيـز :

بعد قليل ستخوض امتحانا آخر لا اقول معركة ولكن أقول امتحانا آخر ، فهو امتحان الديمقراطية والانتخابات ، ستعطى لى فرصة أخرى لاخاطبك فى هذا الموضوع بتفصيل ، ولكننى أريد قبل كل شىء ان اذكرك بحديث النبى صلى الله عليه وسلم حين سئل متى تقوم الساعة ،،، قال صلى الله عليه وسلم اذا اسند الامر الى غير أهله ،،،

وأظن أن جواب النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الموضوع لم يكن يعنى الساعة التى تعنى انتهاء الحياة والعالم ، ولكن كان يعنى أن كل بلد او مجتمع أسند الامر فيه الى غير أهله فلينتظر الساعة بفتنتها وفتنها والفتنة اشد من القتل ·

اننى على أحر من الجمر ، شعبى العزيز ان اراك تقوم بهذه التجربة ، لماذا ؟ اولا لان كل تجربة تقتضى مثل محرك لطائرة او سيارة ، ان يتمرن عليها الانسان ، ثانيا تقتضى كذلك أن لا يعطى للمحرك لا اكثر ما يمكن من السرعة ، ولا أكثر ما يلزم من البطء ، كل هذا يقتضى ، تمارين السنوات فسوف يقتضى منا جميعا لا منى ولا منك فى بعض الاحيان أن نفتح من جديد المحرك ، لان الديمقراطية اليوم لم يبق لديها ذلك المفهوم الذى عرفه القدماء ، أو الذى قرانا عنه عند الشعراء ما اسميهم شعراء بالنسبة لى : كجان جاك روسو حينما كان يتكلم عن الديمقراطية هو شاعر وليس بقانونى ولا سياسى ·

بل الديمقراطية اليوم اصبحت برنامج تساكن بين الحاكم والمحكوم ، ذلك البرنامج الذى لا يعطى للحاكم السطوة كلها على المحكوم ، ولكن لا يعطى كذلك للمحكوم الوسيلة للخروج عن البرنامج والاطار والمخطط التشريعى والشرعى والقانونى والاقتصادى والاجتماعى الذى اختارته البلاد لنفسا كنظام ·

واختيارنا لطرق التعايش الديمقراطية تقتضى

قبل كل شيء ان نظهر لانفسنـــا اولا وللجميــع ثانيا ما هو النظام الذى نريد أن نعيش فيه ؟

هذا شيء نعلمه ، نعلم نظامنا ، نريد أن نعيش فى نظام ملكية دستورية اطارها الاسلام ودينها الاسلام

ولكن هذا الاطار القانونى للتعامل ؟

علينا كذلك أن نعرف ما هو الاطار الاقتصادى والاجتماعى الذى نريد أن نعيش فيه ؟

هل سنطبق على أنفسنا النظام التعاونـــى او الاشتراكى المحض . أو الرأسمـــالى المحض ؟ هـــل سنمزج بين التعاونيات والرأسماليـــة والاشتراكيـــة الاسلاميـــة ؟

هذا كله علينا أن نعرفه وندققه حتى يمكننا ان نعرف من خلال نجربتنا ما سيليق لنا ولابنائنا .

انى على أحر من الجمر لاننى حينما سأرى ان شاء الله أن التجربة نجحت ، واننا جميعا ، منتخبين أو منتخبين وحكومة وسلطة تشريعية وخادمكم هذا ، حينما نرى المحرك أصبح يسير بسرعة مطابقة للعصر، والمطـــابقـــة لنـــا ، سأصبـــح مطمئنا كـــل الاطمئنان العميق والاطمئنان الوطنى الذى تعرفه فى ، فأصبح مطمئنا على بلدى وعلى ابناء بلدى لاجيال وقرون .

وهذا تحدى آخر شعبى العزيز ، وهـــذه مسيرة اخرى ، نعم ستكون أطول سيكون هدفها غير محدود، سوف لا أقول لك قف فى هذه المسيرة بل سأقول لك سر ولا تقف ، بل اياك والزلل ، واذا أخطأت فـــى طريقك فالمهم ليس الخطأ بل المهم هو التوقف لاصلاح الخطأ ، ففى بعض الاحيان لا تكون الاهداف السياسية منوطة ببرنامج او بيومية محدودة ، بل تكون منوطة بامكان التابعين أن يسايروا الركب وبامكان الجميع أن يصل الى هدفه .

ولكن قبل كل شيء يجب التعريف بالهدف ، ويجب عليك أنت شعبى العزيز ، قبل أن تسكن البيت ، ان تعرف ما هو نوع البيت الذى تريد ان تسكنه .

لهذا شعبى العزيز ، أرجو منك فى هذا الشهر المقبل شهر رمضان الذى هو شهر التفكير والصيـــام والقنوت والرجوع الى الله ، أن ترجـــع الى نفسك وتفكر جيدا قبل ان تخوض هذا الامتحان ، لاننى أريد وأنت تريد كذلك ، وأريد أكثر منك لاننى أصبحت لا أقنـــع منك بالقليـــل أريد أن تخرج من هذا الامتحان ناجحا مبرزا لا نجاحا عاديا .

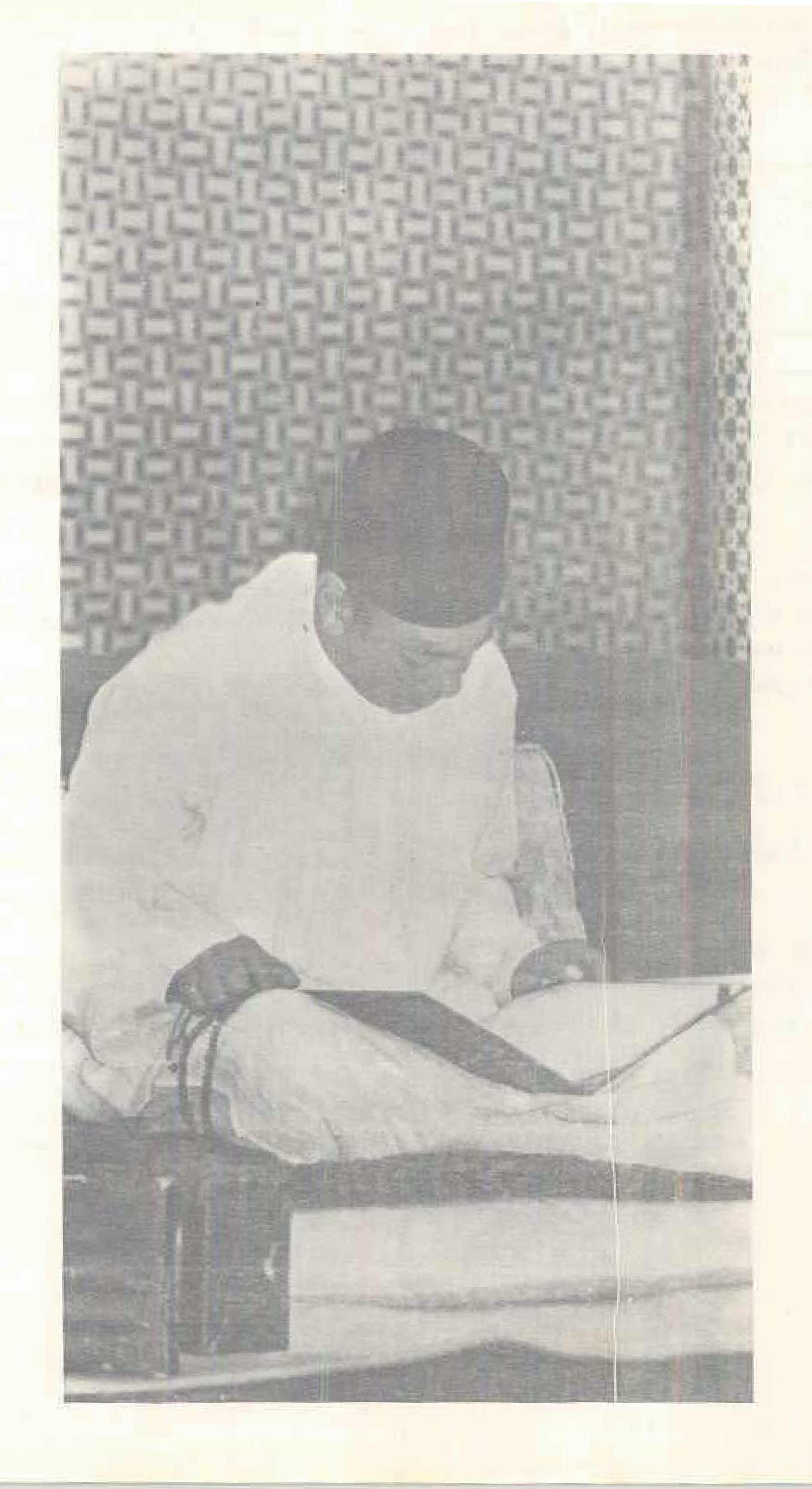
ولى اليقين ان الله سبحانه وتعـــالى ســـوف ياخذ بيدك ، وانه سوف يلهمك لانه سبحانه وتعالى هو الملهم ، فسيلهمنا تقوانا ، وسيوضح ما كان غير واضح أمامنا ، لانه سبحانه وتعالى التزم فى كتابه العظيم حيث قال :

« وكان حقا علينا نصر المومنين » .

والتزم حين قال : « أن تنصروا الله ينصركـــم ويثبت اقدامكم » .

جعلنا الله دائما من المومنين الذين سينصرهم حقا ، وجعلنا من الذين يناصرون الله ويناصرون دينه وملـــة رسوله صلى الله عليه وسلم حتى ينصرنـــا ويثبت اقـــدامنـــا .

والسلام عليكم ورحمة الله .



مولانا أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثانى أيده الله يعلن فى عيد الفطر المبارك :

• لن ينجح أبدا من أراد الكفر لهذه البلاد المسلمة

• على الذين لا يومنون بنظامنا ومؤسساتنا وأصالتنا ألا يتخذوا الانتخابات مطية للوصول الى أهدافهم

فى خطاب عيد الفطر دعا جلالة الملك الحسن الثانى نصره الله الى احترام الشعب ، ووجه حفظه الله الحديث الى المرشحين فى الانتخابات المقبلة فقال فى ثقة وصراحة وقوة : عليكم ان تحترموا الشعب ، عليكم باعمالكم وببرامجكم وتعلقكم بنظام بلادكم وبتمسككم بدينكم وبمحافظتكم على اصالتكم وبالدفاع عن وطنيتكم أن تكونوا جديرين بالتكلم باسم الشعب المغربى ، وهى دعوة مقتبلة من جلالة العاهل الى وجوب الالتزام بقيم الشعب ومقدساته ومؤسساته .

وباختصار فلقد كان خطاب عيد الفطر علامة مضيئة فى طريقنا الجديد

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه .

شعبى العزيز :

اعتدنا ان نتجه اليك فى مثل هذه المناسبات وما احسنها من مناسبة ، مناسبة عيد الفطر السعيد الذى ختمت به صيامك وسوف يؤتيك الله سبحانه وتعالى اجرك وثوابك آملين منه عز وجل أن تبقى يده مسدولة عليك ورحمته وعطفه يشملان خطواتك ومساعيك حتى تتمكن من ادراك أهدافك وتحقيق أمانيك وآمالك .

وقبل ان أتوجه اليك شعبى العزيز ، كما هى العادة لاتطرق الى مواضيع تهمك وتهم مستقبلك ، اريد قبل كل شىء ان أطمئنك نهائيا ولله الحمد والشكر على صحتى علما منى انك قلقت جدا من الاشاعات التى أشيعت حولى وحول حالتى الصحية ، فاننا ولله الحمد على أحسن ما يرام راجين من الله المزيد والتمام حتى يمكننا ان نتابع عملنا وحتى نتمكن من خدمتك أكثر واكثر، لاسعادك واحلالك المقام اللائق بك .

ولا عجب ولا غرو فى أن تقلق فيما يخصنا ، فاننا نتقاسم الحب ، فانت تحبنى كما أحبك وتقدرنى كما اقدرك وتحترمنى كما أحترمك وتسعى لجلب الخير اليك ، كما افعل ، كما انك تعمل لاماطة الاذى عنى كما افعل فيما يخصك .

وهذه ولله الحمد رابطة أصيلة بين ملك هذه البلاد وشعب هذه البلاد ، أرجو الله سبحانه وتعالى أن يديم نعمته علينا وعلى الاجيال المقبلة حتى يتسنى لنا ان نسير يدا فى يد وجنبا الى جنب نحو ما نطمح اليه ونحو ما نرمى اليه .

شعبى العزيز :

انك مقبل على خوض معركة الانتخابات فى المستقبل القريب ، وهذه المعركة تتطلب منك كنت مصوتا ومنتخبا أو منتخبا ومرشحا تتطلب منك التعقل والتبصر والتروى.

ان التجارب الاولى التى مرت علينا لم تفشل لانها لم تكن سليمة فى أساسها ، ولكن فشلت لسوء تطبيقها، ذلك ان التجربة الاولى لم تؤت الاكل الذى كنا ننتظر ، وقد قلنا ذلك فى خطابنا اذ ذاك حينما حللنا البرلمان ، وقد اتيناك بالدليل على أن البرلمان لم يصوت الا على قانون واحد الا وهو تعريب ومغربة القضاء .

وبعد ذلك لم تكن المباراة السياسية تجرى بكيفية رياضية ذلك أن بعض الاحزاب السياسية عن صواب أم خطأ لا أريد هنا أن ادلى بحكمى فى الموضوع ، أن بعض الاحزاب السياسية والهيئات السياسية حكمت مسبقا على أن الانتخابات ستكون مزيفة وبذلك لم تشارك فى المباراة السياسية ، فلم يكن الجو السياسى فى البرلمان وفى المؤسسات المنتخبة جوا يطابق الحقيقة، لما يجرى فى البلاد .

وهكذا رغم صلاحية الدستور ورغم جودة القوانين ، أقول مرة أخرى لم تكن التجربة الدستورية الديمقراطية مستكملة وجوه صحتها فاذا استكملت شروط وجوبها لم تكن مستكملة لشروط صحتها ، وبالتالى لم تعط الضوء أو الصورة اللازمة عن حاجيات المغرب أو عن متطلبات سكانه .

ومع ذلك ورغم هذا وذاك سار المغرب فى طريقه طريق النمو وطريق البناء ، سار المغرب بأبنائه جميعا حتى بالذين لم يريدوا ان يشاركوا فى الانتخابات الثانية، حتى بهم ، ساروا ولله الحمد جماعة واحدة ورجلا واحدا ، سار نحو ابطال الباطل ليقف كجندى واحد امام العدوان ، سار ليقول بلسان واحد للحساد وللاعداء وللناقمين أن مشاكلنا الداخلية هى بيننا فعلينا أن نحلها بيننا كما تحل المشاكل فى اسرة ، أما حينما يمس الجوهر وحينما يوضع مستقبل البلاد ككيان وكوحدة فى ميزان التساؤل هل سيكون كذا أو سيكون كذا ، يجيب المغرب كرجل واحد وبلسان واحد أن المغاربة كيفما كانت مشاربهم السياسية ومذاهبهم الاقتصادية والاجتماعية هم قبل كل شىء مغاربة يدافعون عن حوزة الوطن ويدافعون عن وحدته واستكمال ترابه .

وهذا ما جعل ، شعبى العزيز ، عدة دول تستغرب مرة اخرى وتقول والله ان هذا المغرب لهو من الدول التى تبيت لنا استغرابا بعد استغراب فى كل مفترق طرق أو منعطف طرق أتت فى تاريخه وأمام مسيرته .

شعبى العزيز :

التجربة التى ستقدم عليها ، انك تعرفها ، تعرف الانتخابات ، فقد انتخبت مرارا ومرارا ، الا أننى أرجو منك قبل كل شىء فى هذه التجربة حتى يمكننا أن نخطط للسنة المقبلة ان شاء الله من البرامج ومن الآمال ما نعلق عليها وما تستحق أن يعلق عليها .

أريد منك شعبى العزيز أن تختار بفراسة المؤمن. تلك الفراسة التى لا تخطىء ، أن تختار من يمثلك جيدا .

وعلى المرشحين من جهة أخرى ألا يعبثوا والا يلعبوا بأمانة ترشيحهم لينتخبوا ، فكما عليك شعبى العزيز أن تختار اللائق فعلى المرشحين الذين لا يؤمنون بنظامنا ولا يؤمنون بمؤسساتنا ولا يؤمنون بالحفاظ على أصالتنا ، عليهم ألا يتخذوا هذه الانتخابات مطية للوصول الى أهدافهم ، عليهم أن يحترموا منتخبيهم وان يرعوا الامانة ولى اليقين ان الله سبحانه وتعالى لن ينجح ابدا كما أنه لم ينجح فى الماضى ، لن ينجح ابدا من أراد الكفر لهذه البلاد الاسلامية ، من اراد الفقر لهذه البلاد الغنية ، ومن أراد الاستعباد لهذه البلاد الحرة المستقلة.

فاذن على الطرفين المنتخب والمنتخب أن يعرف ما يريد من جهة ، وأن يقدر ما هى المسؤولية التى ستلقى على عاتقه حينما ينتخب وحينما يكون يقول أنا أتكلم باسم مجموعة من الشعب المغربى .

وأتوجه الى المرشحين فأقول لهم :

اننى بارادة من الله سبحانه أتكلم باسم الشعب المغربى منذ أزيد من 15 سنة ، وحينما أخاطب الناس أقول باسم شعبى ، ولكن حينما أقول باسم شعبى أعطى لهذا اللفظ مدلوله الخلقى والسياسى قبل كل شىء، أقول هذا اللفظ وأنا أحترم الذى أتكلم باسمه وهو الشعب

فعليكم ايها المرشحون ان تحترموا هذا الشعب ، فاذا غدا انتخبكم هذا الشعب ، عليكم بأعمالكم وببرامجكم ، وبتعلقكم بنظام بلادكم ، وبتمسككم بدينكم، وبمحافظتكم على أصالتكم ، وبالدفاع عن وطنيتكم ، عليكم ان قلتم اتكلم باسم جماعة من الشعب المغربى ان تكونوا جديرين بالتكلم باسم الشعب المغربى ، انه شعب فوق كل تقدير وكل اعتبار ، يستوجب الا يتكلم باسمه الا من اتاه الله الضمير الطاهر ورعاية الامانة،، كما يجب أن ترعى الامانة دينيا وسياسيا وخلقيا .

شعبى العزيز :

قبل أن تعرف نتائج انتخاباتك ، وما صارت اليه من اتجاهات ، ستمر بفترة جد ، تكون لك بمثابة امتحان فيما يخص اخلاقك ، وهى فترة الحملة الانتخابية ، ففى مدة الحملة الانتخابية ، علينا جميعا ان نضبط الاعصاب، وأن يكون نطقنا طاهرا ، وأن نتصف بالموضوعية ،

علينا جميعا ان نعلم شيئا ضروريا هو انه كيف ما كانت النسبة لهذا الحزب او لهذا الحزب او لهذه الهيئة ، لا يمكن لهيئة واحدة ان تسيطر على الموقف ، بل ستضطر هذه الهيئات يوما من الايام ، او فى ظرف من الظروف ، ان تتعامل مع الاخرى ، او مع الثانية او مع الثالثة ، اما لتكوين اغلبية فى البرلمان او لتكوين حكومة نسميها ونعينها كما هو منصوص عليه فى الدستور باختيارنا على اساس المصلحة العامة والفائدة ، لا على اساس اى اعتبار آخر .

اذن على هؤلاء الاشخاص الذين سيتقدمون للانتخابات ان يعلموا انهم كيفما كان الحال ملزمون بمقاييس الدستور ، مرغمون على التساكن فى المستقبل فليتجنبوا كل ما من شانه ان يجرح العواطف ،ويتجنبوا كل ما من شأنه أن يفكر فى الصحف الاجنبية، وهو يضر بسمعة البلاد او بسمعة المواطنين .

علينا قبل كل شيء ، شعبى العزيز ، الا يفوز فلان او فلان فى الانتخابات ، علينا شعبى العزيز ان تنجح التجربة ، لان التجربة هى تجربة الجميع وليست تجربة حزب او حزب آخر او فرد من الافراد ، بل هى تجربة للشعب كله ، نريد ان نبنى عليها مستقبل بلادنا ، علما بأن المشاكل التى تنتظر العالم من تغذية وسكنى وتعليم وتنمية اقتصادية ، لا يمكنها ان تحل بمحض ارادة فرد واحد او جماعة كيفما كانت قوتها او نباهتها بل المشاكل التى تنتظرنا الآن ونحن على ابوابها هى التزكية الاقتصادية والتنمية المالية والترفيه الاجتماعى والتغذية.

هذا كله يقتضى منا ان يكون الجميع ملتفا حول ملك هذه البلاد ليختار للبلاد ما يسعدها من برامج وطرق .

اذن فالعملية كما اقول لك ليست عملية حزبية او عملية تنحصر فى هيئة من الهيئات ، كما اريد ان يعلم المنتخبون والمرشحون انهم ليسوا فى مركب والحكومة فى مركب ، بل هم بالنسبة الى بمثابة السيف والمجن ، فحينما يحارب الفارس ويقف فى ساحة الوغى ، فاذا كان له مجن دون سيف فهو هالك مما لا شك فيه ، واذا كان له سيف دون مجن فهو هالك كذلك ، فالمنتخبون من جهة والسلطة التنفيذية من جهة اخرى هى بمثابة السيف والمجن .

ولا يمكن لاى احد ان يقارع الزمن او يغزو الاحداث ويأتمن على سلامة نفسه ، اذا كان فى حاجة الى سيفه او مجنه ، بل لا يمكنه ان ينجح الا اذا كان السيف والمجن فى آن واحد جاهزين عاملين قائمين بمهمتهما ، اى الكر والفر والدفاع والهجوم الاقبال والاقدام ، ولا اقول التاخر او التاخى .

شعبى العزيز :

لا اريد ان اطيل عليك فى هذا الموضوع علما منى بانه بلغ منك ما بلغ ، وان هذه النقاط التى اكررها عليك اليوم ، قد فهمتها منذ القديم ، وانك ولله الحمد بما عرف فيك من نباهة وادراك قد فهمتها منذ القدم ولكن ابيت الا ان اذكرك بهذه المواضيع ،فكما قال الله تعالى فى كتابه الحكيم : «وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين» .

ومما اتيمن به ولله الحمد ، اننى كلما دعوتك وحينما اقول انا متواضعا الى الله حامدا اياه ، كلما دعوتك الا ولبيت ، واخيرا دعوتك فى شهر يوليوز الماضى الى خوض معركة التنمية الاقتصادية على طريقة وبواسطة القرض قرض الصحراء وانك شعبى العزيز مرة اخرى افرحت المحبين ، ومرة اخرى خيبت ظن الكارهين والمعادين ، وهكذا شعبى العزيز اسفرت عملية الاقتراض عن اكثر من 100 مليار التى كنا طلبناها من الشعب .

واننى لا اريد هنا ان اميز طبقة دون طبقة ، ولا ان القى الاضواء على صنف من الاصناف حتى لا اذكى ما ينتظره منا اعداؤنا ، حتى لا اذكى تلك النار التى يريدون ان يشعلوها ، نار الطبقية ، ولكن من الانصاف ان اقول ان الطبقة المتوسطة والمتواضعة نسبيا مرة اخرى اعطت مثلما اعطت فى الماضى وبرهنت اكثر من غيرها على وطنيتها وايمانها بان مالها وامكانياتها ستؤتى اكلها لفائدة الجميع ، لا لفائدة طبقة دون طبقة.

فتلبيتك شعبى العزيز ، لندائى فيما يخص القرض والكيفية التى سارعت بها الى ارضاء الحاجة ، والى تحقيق الهدف وقدرتك على استيعاب فلسفة القرض وفهمه على الاساس الذى يجب ان يفهم به ، كل هذا يجعلنى اتفاءل خيرا فيما يخص ما انت مطالب به الا وهو ان تقوم بقرض آخر ، وهو قرض الثقة .

وفى الحقيقة كما اعطيت الدولة اموالك وستردها اليك بفائدة وستجدها مصونة غير منقوصة فانك ستقرض اشخاصا ثقتك ولى اليقين بانك ستعرف من تختار لتقرضه ثقتك حتى يمكنه ان يرد اليك تلك الثقة وتلك الآمال وتلك الامانى مضمونة مصونة بفائدة .

شعبى العزيز :

هذه بعض النقط اردت بهذه المناسبة السعيدة ان اطرحها عليك وان اخاطبك فى شانها .

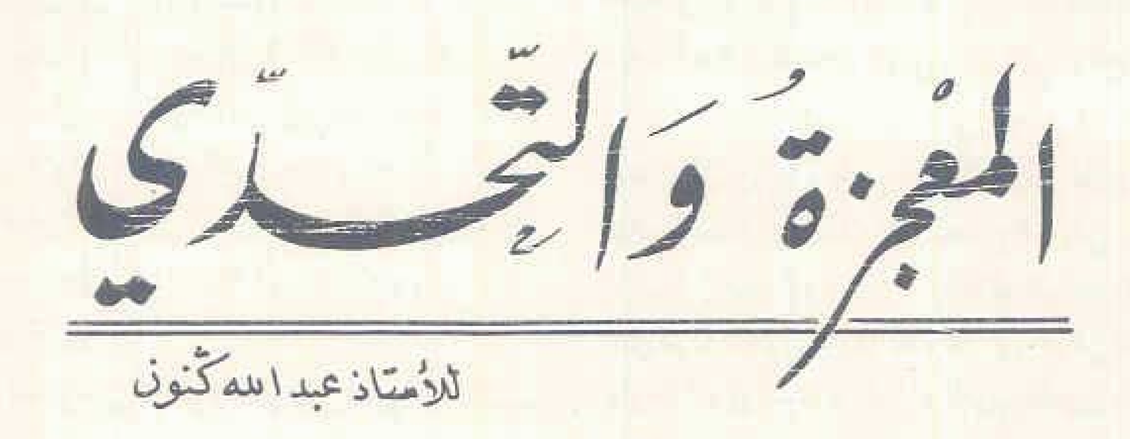
ومرة اخرى شعبى العزيز ، ارجو لك عيدا سعيدا فى كل بيت من بيوتك وفى كل اسرة من اسرتك .

ولا انسى بهذه المناسبة الشخصيات الاجنبية من ملوك ورؤساء وممثلى البعثات الديبلوماسية الممثلين لدى جلالتنا الذين اشكرهم جميعا على تهانئهم ، وعلى العواطف التى ابدوها نحونا ونحو شعبنا بهذه المناسبة.

ومرة اخرى شعبى العزيز اطمئنك الاطمئنان التام على ان الله سبحانه وتعالى ما زال واضعا علينا يده وهى يد سلام ويد عافية ، راجين من الله سبحانه وتعالى ان يديم هذه العافية علينا جميعا ، على اسرتى الكبيرة واسرتى الصغيرة وعلى كل من يخدم هذه البلاد بنزاهة وامانة .

ومرة اخرى شعبى العزيز ابارك لك عيدك ، راجيا من الله سبحانه وتعالى ان يعيده عليك وعلى ذويك فى السنين المقبلة ، وعشرات السنين والقرون المقبلة بالخير والعافية والنماء والازدهار والاطمئنان انه سميع مجيب ، والسلام عليكم ورحمة الله .





تقترن المعجزة بالتحدي في العقيدة الإسلامية ، فان أنبياء الله ورسله تحدوا المعارض لهم بالمعجزات التي أظهرها الله على أيديهم . وليس معنى هذا أنه لايجوز أستعمال الكلمتين في غير المجال الديني ، فانما ذالك اصطلاح ، والدلالة اللغوية أعم منه .

وقد استعمل الكاتب السوري الاستاد أحمد عسة لفظ المعجزة بمعناه اللغوي ، حيث سمى كتابه عن المغرب المعجزة المغربية ، فأحسن التعبير . ولعل كاتباً مغربياً لو أتيح له أن يكتب مثل ذالك الكتاب القيم ، لما خطر بباله أن يسميه بهذا الإسم ، لان وجهة نظره تختلف عن وجهة نظر زميله ، فهو يعيش المعجزة ويراها يومياً ويصطدم بها في كل مكان ، مما يجعله يقلل من أهميتها لتعوده عليها ؛ وزميله يراها للوهلة الأولى فيفاجأ بها ولايتردد في أنها أمر معجز بالنسبة للظروف والملابسات التي تحققت فيها .

والمعجزة هنا هي نضال المغرب من أجل حريته وآستقلاله بقيادة عاهله العظيم محمد الخامس قدس الله روحه ، وبناء استقلاله واستكمال وحدته ، على يد ملكه العبقري الحسن الثاني نصره الله ، فمردها إلى الجد والاجتهاد والهمة والنشاط ، والشجاعة والإقدام ... والتضحية ونكران الذات ، لاإلى الامور الغيبية وخوارق العادات ، التي هي مرد المعجزة ، الدينية .

وتستقطب حياة العاهل الراحل ..... المبادرة الاولى من هذه المعجزة بالنظر لكونه المسؤول الاول عن جميع أحداثها وماجرياتها ، بما فيها من معارضة فمقاومة فتجسيد للتضحية في سبيل العزة والكرامة والمحافظة على الذاتية المغربية المتمثلة في وحدة البلاد وسيادة العرش .

ولئن كان الشعب كله قد خاض المعركة من وراء جلالته ، فلأنه نزل إلى الميدان واختلط بأفراد الشعب ،

ولم يميز بين فريق وفريق ، وكان يعتبر أبسط عامل كولده الذي هو شريكه في الكفاح ومعينه وظهيره . ومن المحقق أن تبنيه للقضية الوطنية وحمايته لها هو الذي دفع بها إلى ألامام ، وأعطاها القوة والسند الذي جعلها تقف في وجه الخصم قوية عنيدة ، مصرة على مطالبها ، متمسكة بأهدافها ، على رغم مناورات الإستعمار ودسائسه ، مما حدا به إلى كنس الساحة من القادة والزعماء ، والإطاحة بهم إلى المنافي والسجون ، معتقداً أنه سيصفو له الجو بذلك ، فلم يزدد إلا يقيناً بأن رأس الحربة ومكمن الخطر على وجوده هو في داخل القصر الذي منه تصدر الاوامر وتنبعث الشرارات التي تحرق الارض تحت أقدام المستعمرين ، وحلفائهم المتعاونين وهكذا ورط نفسه ، وارتكب الحماقة التي عجلت نهايته ، وكان تدميره في تدبيره .

هذا أحد وجهي المعجزة الذي بهر العالم بما ترتب عليه من نتائج لم يقتصر مفعولها على المغرب وحده ، بل عم الاقطار الافريقية جملة ، بما لقنها من دروس في المقاومة والمصابرة والتمرد على الإستعمار ، مهما تكن قوته وتضرب جذوره في الارض ، فلم تلبث إلا قليلا حتى تخلصت من ربقته ، وحصلت على حريتها واستقلالها ، الواحد تلو الأخر . . . وكيف لا يصبح المغرب قدوة ، وهذا ملكه العريق في الملك ، يزهد في التاج والعرش ، ويضحي براحته وراحة أسرته ، ويفضل المنفى والحرمان من كل ما كان محاطاً به من أبهة وعظمة على أن يبقى شعبه راسفاً في قيود العبودية والتبعية ، ، ويقول : لان أكون فرداً من أمة لها كيان وحقوق أحب إلي من أن أكون ملكاً لشعب لاكيان له ولاحقوق ؟ فضرب بذلك المثل الذي احتذاه الجميع ، بل صنع المعجزةالتي ءامن بها الجميع ! . .

ويأتي التحدي الذي هو الوجه الثاني من المعجزة ، حين يكثر الخوض ، ويتطاول الخصم ، ويقول الذين في قلوبهم مرض : إن الاستقلال ليس وثيقة تكتب ، ولا شعاراً يرفع ، ولاتصريحاً يلقى وإنما هو الجلاء ، جلاء جيوش الاستعمار ، إغلاق القواعد الاجنبية ، إسترجاع الاراضي الفلاحية ، استكمال وحدة التراب ، مقاومة التخلف ، مغربة الادارة ، النهوض بالتعليم والصحة ، الاصلاح الفلاحي ، التصنيع الحقوق الاساسية ، المؤسسات الدمقراطية ، تنظيم القضاء ، العمل ، تطوير الحياة في البادية ، الدفاع الوطني ، عدم الإنحياز في سياسة الدولة ، التضامن العربي والإسلامي ، الخ ، الخ .

فتجيب منجزات الحسن الثاني بالعمل لا بالقول ، وبما تحقق في هذه الميادين وغيرها من مشروعات لا تطال ، ابتداء من الجلاء التام لجميع الجيوش والقوات الاجنبية ، فرنسية واسبانية ، وإغلاق القواعد الامريكية الذي قارن الاعوام الاولى لجلوسه على العرش منذ خمسة عشر عاماً ، في مجموع التراب المغربي المحرر ءانئذ ، إلى الجلاء عن الصحراء المغربية المحررة في بحر السنة الماضية

وكان استرجاع (إفني) في نفس المدة ، بدء المعركة التي خاضها جلالته على جميع المستويات من سياسية وديبلوماسية ودولية لاسترجاع الصحراء المغربية من يد الاستعمار الاسباني واستكمال وحدة البلاد في التخوم الجنوبية ، تلك المعركة التي توجت في الاخير بالحدث التاريخي الذي وصف بأنه حدث العصر ، الا وهو المسيرة الخضراء . إن تدبير هذه المسيرة وحده كان معجزة ، ألم تستلفت أنظار العالم أجمع ، وتحمل العديد من الشعوب الشقيقة والصديقة على المشاركة فيها تعبيراً عن تضامنها مع المغرب وتقديراً لجهود العاهل الكريم في سبيل تحرير أرضه وتطهيرها من رجس الاستعمار ! . .

أما مقاومة التخلف فيكفي أن نعلم أن المغرب كان يستورد كل المواد المصنّعة ولو بلغت حد التفاهة ، كالوقيد أو أعواد الثقاب كما يسمونها في بعض البلاد العربية ،

فاصبح بعد أن اكتفى ذاتياً في غيرما مـادة ممـا يصنعه ، يُصدر للخارج كثيراً من انتاج معامله الحديثة الفاضل عن استهلاكه ، وذلك في مختلف القطاعات كالنسيج والورق والادوات المنزلية والكهربائية وبعض انواع السيارات وقطع الغيار وما إلى ذلك ، فضلا عن المواد الغذائيـة والمعلّبات والحوامض والبواكير والزيوت النباتية وغيرها مما يصدر للبلاد النامية والسائرة في طريق النمو على السواء مثل النسيج الذي يصدر للاتحاد السوفياتي كما يصـدر للجزائر ، ويتميز المغرب في هذا الصدد بالاسبقية مـن بين دول العالم في تصدير السردين المعلّب ومادة الفوسفات والفلّين وبالانفراد ببعض الصناعات كتحويل الحلفاء الى الواح خشبية مما لا يوجد في أي بلد مـن البلدان الاخرى.

وقضية بناء السدود وتوفير المياه للسقي ، هما مما أولاه جلالة الملك الشاب عنايته منذ توليه العرش ، فقد جعل من برنامجه للاصلاح الفلاحي سقي مليون هكتار ، وشرع فعلا في بناء السدود المائية لتحقيق هذه الغاية حتى انه في غمرة انطلاق المسيرة الخضراء لاسترجاع الصحـراء اشرف على تدشين احد هذه السدود وسماه بالمناسبة سـد المسيرة ، وكـان فـالـدهـايـم الامـيـن العام لـلامم المتحدة في زيـارة للمغـرب ، تتعلق بقضيـة الصحراء وتطورها المزعج للمحتلين الاسبان والحاطبين في حبلهم من حكام الجزائر ، فلم يتمكن جلالته مـن استقبال فالدهايم الا في عين المكان الذي كان يُدشن فيه السـد !..

ولا نتعرض لمغربة الادارة والنهوض بالتعليم والصحة وتنظيم القضاء ، فان ذلك يقتضينا كلاما طويلا، ويكفي ان تقول أن الادارة في المغرب قد اصبحت كلها مغربية واذا كان في بعض الادارات أجنبي ما فإنما يكون بصفة خبير وعلى سبيل الندور ، اما كمُسير فلا يوجد الآن اي اجنبي يرأس قسما او يدبر شأنا من شؤون الدولة . وفي التعليم بلغ عدد التلاميذ والطلبة في المدارس العموميـة مليونا وثمانمائة الف ، بعد ما كان في ايام الحمايـة لا يتجاوز 150 الف ويقدر القارىء ما يستلزمه هذا العـدد الكبير من البنايات والمديرين والاساتذة وباقي الاجهزة اللازمة لتسيير مصالح التعليم ابتداء من الوزارات المختصة بالتعليم العالي والثانوي والابتدائي العمومي وسائر انواع التعليم الاخرى .

واذا كانت المشكلة التي ما زالت لم تحل هي تعميم التعريب في جميع مراحل التعليم فان المتابعة الواقعة في هذا الامر ، ستفضي لا محالة إلى هذه الغاية ، وحـل المشكلة التي لن تستعصي على ارادة المغرب الفعالة وهمته الطموح ، وقد عُرب القضاء فعلا ونُظم بعد الفوضى التي كان يتخبط فيها ولم تقف في وجه تعريبه وتنظيمـه أي عقبة .

ونظن أننا في غنى عن الكلام على سياسة المغرب في التمسك بعدم الانحياز ومُناصرة الحركات التحريرية في العالم ووقوفه الى جانب اشقائه العرب والمسلمين في جميع الاحوال والظروف ، ان هذا مما سارت به الركبان، ولا يختلف فيه اثنان ، وهو عمل إيجابي ترجمه مؤتمرات القمة العربيـة والاسلامية التي عقدت على ارضه بمبادرة من عاهله الهمام ، ومشاركته في حرب الجولان وسيناء بالعدد والعُدد التي لم يُجاره فيها احد من البلاد الاخرى. هذا فيما يُعلن عنه ، واما ما يمد به الاحرار المناهضين للاستعمار في فلسطين السليبة وغيرها من البلاد الاخـرى فسياتي يوم يكشف عنه فيه الستار ، ويعلم ان ما خفي من اعماله في هذا المضمار ، اكثر مما عرف الإشهـار وبكل وجه هو ليس من باب إيواء الإرهابين كماركوس ومختطفي الطائرات ومدبري الانقلابات ،تبجحاً بالشعبية والديموقراطية ، وامتهاناً لشعار الحرية التي ضجت الى الله، مما يُرتكب باسمها من جرائم ..

فماذا يطلب من حكم ونظام وسياسة لبناء استقلال عتيد كهذا الذي ذكرناه ؟ ان هذا الوجه الثاني من المعجزة

هو الذي يعكس التحدي الموجه الى اولئك المُماربـــين فيها والمتربصين بها الدوائر ، ولكن العالم كله قد ءامن بها واولى التأييد لصاحبها. ((ومكر أولئك هو يبُور)).

ومن هنا طلع الحسن الثاني على الرأي العام الـدولي بكتابه «التحدي» فعرض المعجزة مقرونة بما أخـرس ألسنة واطلق اخرى بالحمد والثناء والتزكية والاعجاب ، ولم يكن من الصدفـــة ان يقرأ الناس في عام واحد كتابي المعجزة والتحدي ، فـان اقتران هذين اللفظين ذهناً ، ومدلو لهماخارجاً هو من المسلمات البديهية

— طنجة — عبد الله كنـــون

> نحن لا نقسم المجتمع كما كانت تقسمه أوروبا الى ثلاثة اقسام : النبلاء ، ورجال الديـــن ، والرعية ٠ فالاسلام ليس فيه طبقيـــة ، ولا تمييز بين الناس ، ولا تفضيل لاحد على آخر ٠ ان مبدأ تساوى الفرص ، والحفاظ على كرامة الانسان هما من صلب العقيدة الاسلامية
>
> **جلالة الملك الحسن الثـــانى**

● فصل من كتاب « وقيل الحمد لله »

بعون الله .. بعزم الملك

للاستاذ
محمد جلال كشك

اصدر الصحفي المصري الاستاذ محمد جلال كشك كتابا قيما عن المسيرة الخضراء المظفرة اختار له عنوانا من الخطاب السامي الذي القاه جلالة الملك الحسن الثاني عقب العبور العظيم ونجاح المسيرة في فرض ارادة الشعب المغربي في التحرير والوحدة .

« .. وقيل الحمد لله » عنوان يرمز الى نهاية عهد الاحتلال وبداية عهد الحرية والانضمام الى حظيرة الوطن الاب . وقد وفق المؤلف الى ابعد حد في تحليل مواقف المغرب وفهم ابعاد السياسة التحريرية لجلالة الملك القائد ولذلك لا نغالي اذا اعتبرنا كتاب « .. وقيل الحمد لله » لمحمد جلال كشك من اهم ما كتب عن مسيرة العرش العلوي .

وكانت التفاتة مولوية كريمة وموحية بمعان شتى بمنح وسام الكفاءة الفكرية الى المؤلف . فقد ابى جلالة العاهل الكريم الا ان يكرم جلال كشك ويكرم في شخصه الكلمة النظيفة الملتزمة بقضايا الامة العربية والاسلامية .

وهذا احد فصول الكتاب ننشره كنموذج رفيع للكتابة الصحفية الواعية المؤمنة وتخليدا للذكرى الاولى **للمسيرة الخضراء** .

فاذا عزمت فتوكل ..

هذا هو قانون العمل الذي يلتزم به الملك الحسن ،

لابد من العزم ، بكل ما تعنيه هذه الكلمة من تصميم ، وتخطيط ، وحشد ، ثم إصرار على الهدف ، ينبعث من الإيمان والاقتناع الكامل ، حتى لا يمكن لاي عامل طاريء أو عقبة أن تغير الطريق أو تثني عن الهدف .. فإذا توفر هذا العزم جاء التوكل على الله وطلب النصر منه.

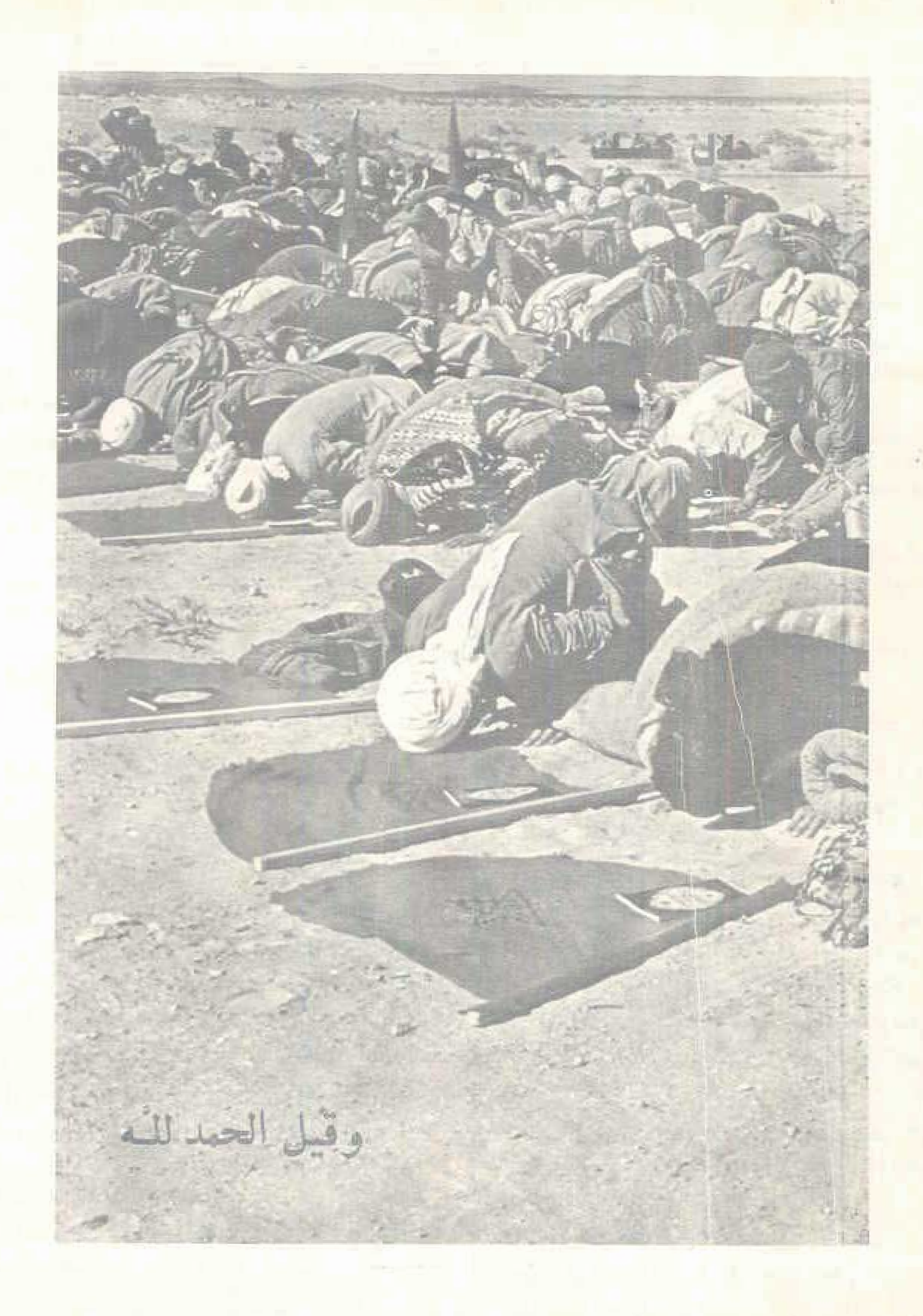
ومساء غرة ذي القعدة الخامس من نوفمبر 1975 — أي في نفس اليوم الذي أمر فيه رسول الله المسلمين بالخروج مسالمين إلى مكة ، ومعهم وفود القبائل العربية لتحدي قريش وتأكيد أنها لا تملك السيادة على مكة ، وتأكيد أن البلد الامين ومقدساته ، هو جزء لا ينفصم من وطن المسلمين ، من حقهم دخوله وصلة الرحم مع أهله ، واحترام مقدساته ، وأداء المشاعر فيه ..

مسالمون ذهب المسلمون كما أمرهم الرسول ، بل ويؤكدون هذا الطابع السلمي بكل وسيلة ممكنة ، حتى يكون عدوان قريش بشعاً وغادراً بنفس نبل ووفاء عمرة المسلمين المسالمة ..

في نفس اليوم بعد 1389 سنة أصدر الحسن الثاني أمره «بالمسيرة الخضراء» مسيرة الفتح .. أول مسيرة تهتدي بسنة رسول الله ، فتنتصر .. وتنتصر معها المفاهيم التي تطالب بالعودة الواعية ، العودة المثقفة ، للإسلام ..

بعدما اهتزت قيم العالم القديم ، تحت أقدام عشرات الالوف من المتطوعين يتدفقون فرحين مهللين كأنهم ذاهبون إلى عرس أو إلى الحج .. بعدما غيرت كل القوى نظراتها للمغرب ، وعدلت حساباتها ، وهي ترى الخروج العظيم ... جاءت اللحظة الحاسمة : هل تدخل هذه الجماهير المحتشدة في طرفاية الصحراء ؟..

هل يخاطر الملك ب350000 من رعاياه ، فيدخلهم إلى المجهول في الصحراء ، بل إلى المعلوم المعلن عنه ، في كل الاذاعات والصحف .. من حقول الالغام إلى الجيش


وقيل الحمد لله

الاسباني المستفز بحجة الدفاع عن شرفه العسكري.. والذي يجري تحريضه بأصوات عربية للذود عن كرامته، بل والتغني بمعنوياته المرتفعة .. وهناك العملاء أو المتسللون المسلحون الذين أعلنوا عن عزمهم على مقاتلة المغاربة، بل واكدوا أنهم في اشتباك معهم بالفعل قبل أن تدخل المسيرة !

هل يفعل الملك ويخاطر بدخول حرب مع الاسبان وآخرين من دونهم ، الله يعلمهم والجامعة العربية تعلمهم؟

أم هل يتراجع في اللحظة الاخيرة ويؤجل الامر بدخول الصحراء حتى يصدر مجلس الامن قراراً يمنع المسيرة ويتخلص من المشكل ... يكفي الله المؤمنين القتال !.. مع تقديم مذكرات الاحتجاج .. وترك الجماهير في طرفايه حتى تتآكل حماستها ، وتنطفيء روح الاستشهاد فيها ، وتفترسها عوامل اليأس والهزيمة والشك ، وتتحول من جماهير مجاهدة إلى حشود لاجئة.

أليست لعبة سياسية ، ومظاهرة قصد بها مواجهة المطالبة الشعبية باسترداد الصحراء ؟ ..أليس قرار مجلس الامن وتحذيرات الصحافة العالمية ، وتهديدات أسبانيا ،

تعطي مبرراً كافياً لإنهاء اللعبة ..؟!

هكذا كان يفكر الذين لا يعرفون الحسن الثاني ، ولا تقاليد العرش العلوي .. ولا درسوا سيرة الرسول ..

وفريق آخر كان يفكر بأسلوب أكثر ذكاء.. إن الملك قد «يغامر» ويأمر بدخول المسيرة ، ولكن هل يطيعه المتطوعون ..؟

وهل صحيح أن هذه الجماهير جاءت مصممة على الاستشهاد عازمة على اقتحام الصحراء .. لا تحمل إلا المصاحف وصور الملك الحسن ؟ .. هل حدث في التاريخ أن تمكنت قيادة من توجيه 350 ألف من المثقفين و الفلاحين والعمال وشيوخ القبائل وأساتذة الجامعات من الرجال والنساء ، من اليساريين و رجال الدين ، من مسنين تجاوزوا السبعين وشباب لم يكملوا العشرين .. هل يمكن أن يؤمر هؤلاء بالمشي فوق حقل ألغام ، فينفذون الامر بلا تردد ولا خوف ، بل بفرحة وابتهاج «إذا نظرت اليهم فلا ترى الا الوجوه الناعمة ، والانظار الراضية ، ولا تسمع الا الزغاريد والحمد والشكر ، وأنواع الفرح المتعددة الاصناف والاطراف». !

لقد عرف تاريخ الصوفية شيوخا يأمرون مريداً أو حتى عشرة ، وهم في نشوة الطاعة ، وصوفية الانقياد ، بالمخاطرة بالنفس فيطيعون ، ولكن هل سمع تاريخ البشرية عن قائد يأمر 350000 من مريديه بواسطة الإذاعة ، أن يقتحموا مستعمرة أسبانية لتحريرها وتوحيدها مع أرض الوطن .. بلا سلاح .. فيطيعون أمره ولا يسترييون لحظة ؟!

محـــال !

هذه الجماهير ، الغوغاء .. البسطاء .. الفقراء الجياع . الخ ما خلعته عليهم الدعايات المعادية والحاقدة والحاسدة ! جاءت مرغمة ، أو من باب التسلي في لعبة سياسية تعرف أنها ستنتهي في طرفاية ، ولا يخطر ببالها أنها ستؤمر فعلا بدخول الصحراء .. وإذا حدث وصدر لها مثل هذا الامر فستبادر بالفرار ، أو ترفض الامر وتشتبك مع إطاراتها ، فمهما تكن مخاطر عصيان الامر ، فمخاطرة اقتحام الصحراء أكبر ، أليس هذا ما أكدته الحملة الاعلامية لمدة عشرين يوماً والتي هددتهم بمذبحة ومجزرة وانتحار

وكان هناك فريق ثالث يفكر على نحو أخبث :

هب أن الملك أمر .. وأن الجماهير أطاعت .. فمن الذي يضمن أو يستطيع أن يحمي نصف مليون جاءوا من شتى مدن وقرى وجبال المغرب ، من أن يندس فيهم عشرون .. فقط عشرون متسللا ، يقذفون بعض القنابل ، أو يطلقون هتافات معادية ، أو يستفزون الاسبان بطلقة واحدة من مسدس أو حتى بحجر يلتقطونه من أرض الصحراء .. هل يمكن تخيل مظاهرة وطنية في العالم الثالث تعدادها نصف مليون لا تحطم ولا تضرب بالاحجار ، ولا تستفز لمرأى الطائرات الاسبانية والمدفعية الاسبانية ، بل وأن تبيت في مواجهة هذه المعسكرات عدة أيام فلا تصدر منها كلمة نابية ، ولا تقذف زجاجة كوكاكولا أو سيدي حرازم ؟.. فإذا كانوا جميعا بمثل هذه الطاعة ألا يمكن أن يندس بينهم مخربون أليست البوليزاريو منتشرة في كل مكان ! ولديها في إحصائيات «مكي الجزائري» ثلاثمائة ألف مقاتل ؟ أليست الجزائر

يهدد بأن لديها من الحصى ما يكفي لتعطيل دواليب العالم، فهل تبخل ببعض هذا الحصى لوقف دولاب المسيرة ؟! أليس لاسبانيا الفاشية جهاز مخابرات ؟ ألم تكن تحكم هذه المناطق عشرات السنين .. ألا يمكن لهؤلاء جميعا أن يدسوا عشرين مخربا أو حتى عشرة ، وسط حملة المصاحف «هؤلاء البسطاء السذج» فيثيرون بينهم فتنة ويخربون جمعهم .. وتتحقق الاماني الشريرة، وتتحول المسيرة إلى مجـزرة ؟.

أين في العالم أمكن لدولة أو تنظيم سياسي أن يضبط سلوك مثل هذا الحشد ، وأن يمنع تسلل مخـرب ، أو مندس بين صفوفـه !

• سيعلن الملك تأجيل المسيرة .

• وسيأمرها بالدخول وسترفض الجماهير .

• ستدخل ولكن سيندس فيها من يستغل خوفهـا وتـرددها ، أو حتى حمـاستها غير المنظمة ، فيمزق وحدتها أو ينجح في إشعال الحرب بين المغرب وأسبانيا بعمل استفزازي تخريبي ..

هكذا كان يفكر الذين لا يعرفون الشعب المغربي ولا يعرفون أصالته ، وعمق جذوره الحضارية ، ومـدى ارتباطه بالعرش ، ومصدر طاعته الواعية للحسن الثاني.. وهذه كانت الاحتمالات التي يطرحها الغرباء عن المغرب. حتى قال الملك مساء يوم الخامس من نوفمبر :

- «شعبي العـزيز..
فإذا عزمت فتوكل على الله..
فعلا شعبي العزيز .. لقد عزمنا .. وعزمنا جميعاً ككل مرة في التاريخ . قررنا أن نعزم عزمنا، قررنا أن نسير بمسيرة خضراء مدعمين بقوتنا محاطين بأشقائنا ورفاقنا معتمدين قبل كل شيء على ارادتنا وإيمانـنـا..»

• فهو عزم الإجماع الوطني .. ككل مرة .. عزمنا جميعا .. ليست إرادة فردية ، ولا عزيمة رجل واحد ، ولا هي إنتفاضة جماهير بلا رأس بلا قائد بلا هـدف ، انتفاضة يائسة أو قفزة في الهواء ، طموحة بغير وضوح ، ولا وسائل لتحقيق هذا الطموح .. بل هي عزيمة القيادة والجماهير معا .. العرش والشعب ، عزيمة كل القـوى المغربية .. الإرادة الموحدة لأمـة .

• هذه الإرادة دعامتها الحقوق المشروعة للمغرب .

• محاطة بالاشقاء والرفاق .

• ولكن الاعتماد أولا وقبل كل شيء على الإرادة المنبثقة من الإيمان .. الاعتماد على النفس هو الاساس ولكن البعض في العالم الثالث أصبح يخلط بين المعونة والدعم والاعتماد على النفس ، فيتصور قادة بعض دوله أو حتى بعض شعوبه أن الدعم والمعونة ، حتى ولو كانت من أشقاء ، يمكنها أن تنجز ما يجب إنجازه بالجهـد الـــذاتي .

• «ان علمنا المغربي الاحمر ذا النجمة الخضـراء محفوف أولا بعناية الله وألطافه ، وثانياً بأعلام لها تاريخها كذلك ولها كذلك مجدها ، ولها صولتها وجولتها ولها ماضيها ولها حاضرها ولها مستقبلها ..»

وذلك بالطبع «مما يثلج الصدر ومما يدخل الفرح»

هذا صحيح ، ولكن العلم المغربي يخفق عاليـا إذ ترفعه الإرادة المؤمنة لنصف مليون وتحيطه قلوب شعب بأكمله ومن هنا تتألق حوله أعلام الاصدقاء والمحبين والمساندين ..

أما العلم المحروم من سواعد بنيه ،المفتقد لحبهم، فلم تنفعه رايات العالم أجمع وجيوشه ومعداته ..

تأمل كيف يصف الملك العلم المغربي كأنه عاشق يتغزل في محبوبته ، فيصفها لاعرف الناس بها .. ولكنه يحب أن يقول .. ويجب أن يسمع منه .. «علمنا الاحمر ذو النجمة الخضراء»

آه من عشق الملوك لاعلامهم .. وهل وفي حبيـب لمحبوبه كما وفي الحسن للعلم الاحمر ذي النجمة الخضراء

يعود الحسن الثاني إلى مناجاة شعبه .

• «ما كدنا نعلن نبأ المسيرة ، شعبي العزيز ، حـتى وجدنا فيك من الاستجابة ومن الطاعة ومن التسابق إلى الخير ما أنت مجبول عليه من تلك الخصال الحميـدة

الشريفة التي جعلت منك وستبقى تجعل منك تعطـــي دروساً وتلقن دروساً ، منضداً في كتب التاريخ وسجلاتها كمثل يحتذى وكشعب يمكن أن يتخذ مثالاً أمثل.»

الشعب المبدع ، هو الذي يصنع المعجزات ، ويبغي المستحيل ، وليست الامة المقلدة التي ترفض تجاربها أو تتنكر لتراثها وتستوحي تجارب الأخرين .. قد تنجح مثل هذه الامة ، في تحقيق بعض مظاهر التقدم المادي ، وقد تنقل بعض وسائل الحضارة ولكنها أبداً لن تحقق الطفرة ، لن تتخطى حاجز التخلف والهزيمة الحضارية .. بل لابد من وثبة يحققها شعب مؤمن بأنه هو القدوة وهو المعلم الذي تحتذى تجاربه الشعوب ..

شعب يريد أن يعطى الدنيا ، فتكون الدنيا من نصيبه

• المسيرة كما يرى الملك خلقت إطمئناناً وثقة فـي المستقبل «لان المغرب وشؤون المغرب ومستقبل المغرب في أيد أمينة في أيد طافحة بيمن الله ، مليئة بالوطنية متشبثة بعلمها ، لاصقة بأرضها وتربتها» .

لقد كانت هناك مخاوف حـول الجيل الجديـد ، مخاوف ليست في المغرب وحده ، بل في كل دول العالم الثالث ، حول الجيل الذي لم يعش تجربة الاستعمار ، ولم يعرف معنى القهر القومي ، ولا جرب الاستشهاد فـي سبيل الوطن .. هل يستطيع هذا الجيل الذي نشأ في ظل الاستقلال وصراعات المستقلين أن يكون في مستـوى المسئولية إذا ما واجه الوطن تحدياً حتى ولو لم يكـن في وضوح الغزو السافر ؟! ..

إن الذين نظموا المسيرة وأعدوا لها ، وأشرفوا عليها كلهم ، من الاطر الشابة التي يطمئن نجاحها الذي شهد به الجميع على قدرتها في تصريف الامور . ورداً عـلى سؤال للتليفزيون الامريكي نصه :

«صاحب الجلالة ان رجال الصحافـة الامريكيـين معجبون جداً بالحرارة وبالحماسة التي أثارها في الشعب المـغربي نداؤكم لتنظيم المسيرة الخضراء ، فهل أنتـم مرتاحون للاتجاه الذي اتخذه الحدث والنتائج المتحققة حتى الأن ؟

أجاب الملك :

«إنني جد مرتاح للنتائج المتحققة سواء لدى شعبي أو في الخارج ، لانها هي نفس النتائج التي كنت أنتظرها... انني مرتاح للنتائج المتحققة في المغرب لا ن اعلان المسيرة كان بمثابة اختبار للجيل الجديد ، ولمعرفة ما إذا كان هذ الجيل يتميز بنفس الوطنية والشجاعة التي طبعت الاجيال السابقة . وأحمد الله على أنه ليس هناك ما يمكن أن يغبط عليه الجيل الجديد ، الجيل السابق»

• أما حماسة الشعب وبذله وتضحيته فإن الملك كان على يقين منها قبل أن يوجه نداءه ، وقبل أن يعطي الامر بدخول المسيرة ، فقبل عشرة أيام (25—10—75) كـان التليفزيون الفرنسي يسأله : أننا نشعر بحدث لم يسبق له مثيل .. ألم تفاجئكم شخصياً هذه الحماسة الشعبيـة ؟ فيجيب الملك :

• إنني لا أفاجأ من طرف الحماس الشعبي ، وأقـول إنني قبل أن أتخذ هذا القرار كأي رجل عليه أن يتخـذ قراراً من هذا الحجم صممت العزم على تنفيذ مـا كنت أومن ورغبت قبل كل شيء في أن أكون على يقين من أن ما كنت أعتقده في الجيل المغربي الشاب أمر حقيقي . وها أنا اليوم والحمد لله أقول بكل فخر وتأثر أن الشبان الذين يتعين عليهم أن يتحملوا المسؤولية في المستقبل يتحاون بنفس الحماسة والانضباط والوطنية التي تحلى بها أباؤهم .»

ألا أنه بالشكر تدوم النعم . . . والملك يحمد اللـّـه سبحانه وتعالى أن «أعطاه شعباً مثل شعب المغرب . . . ويسأل اللّه أن يتمكن من القيام بواجبه نحو هذا الشعب»

المسيرة كشفت من هم الاصدقاء والاشقاء ومن هم الذين اتخذوا موقف الاجنبي .

الذين لم يصدقوا تأكيدات القيادة المغربية بالإصرار على دخول الصحراء سلماً أو حرباً ، والذين ظنوا أن قضية الصحراء مجرد مغامرة ، أو عملية سياسية للاستهلاك الداخلي .. كما هو الحال في كثير من القضايا السياسية في العالم الثالث أو المشرق العربي ..

بعضهم جاهل لا لوم عليه وبعضهم حاسد حاقد لا غرابة في موقفه ..

والحق يشهد أن الملك ما ترك مجالاً لسوء الفهـم أو

وجهل المتجاهلين حول إصراره وتصميمه على دخول المسيرة للصحراء ، مهما كانت الظروف .. فقد صرح للتليفزيون الفرنسي يوم 25—10—1975 رداً على سؤال حول دخول المسيرة للصحراء وعلاقة ذلك بموقف اسبانيا قـــال :

«هناك حالتان .. إما أن نكون قد وصلنا إلى اتفاق وفي هذه الحالة ستجري المسيرة بأسرع مما كان متوقعا. وإمـــا أن نكـــون لازلنا لم نتوصل إلى اتفاق .. وهنـاك ستقـــع ..»

وأكد ذلك مرة أخرى مع راديو أوروبا «أن المسيرة ضرورية وستتم بالتأكيد سواء أنجحت مفاوضات مدريد أم لم تنجـح» .

وقد أكد نفس المعنى لصحيفة «لانفور ماسيونس» الاسبانية «أما أننا لن نصل إلى اتفاق وهذا مالا أتمناه ، وأما سوف نتوصل إلى اتفاق واذاك سأكون مسروراً بأن نجد في انتظارنا على الحدود ممثلا رسميا عن الحكومـــة الاسبانيـــة» .

وقال «أن المسيرة ستبدأ بين 4 و 6 نوفمبر وإذا أراد الوفدان المغربي والاسباني الموجودان في مدريد فيمكنهما الوصول لحل قبل أن تبدأ المسيرة» . وعاد فأكد هذا المعنى في حديثـه إلى التليفزيـــون الاسباني بتـــاريخ 31—10—195 :

«منطقيا يجب ألا تتوقف المسيرة إذا تم الوصول إلى اتفاق . وإذا لم يتم التوصل إلى اتفاق يتعين حينئـــذ العمل بسرعة ولن تتوقف المسيرة»

فإذا كان البعض قد أصر على جهله ، والبعض غلب منطق حسده على منطق العقل ، فلا حجة لهم ، وقـــد أعذر من أنـــذر .

. إن المسيرة تطرح صيغة جديدة لحل المشاكـــل العالمية .. في عالم مزقته المظالم و الحروب وتصاعد فيه العنف المدمر حتى بدا كالغابة الموحشة ليس فيها بقعـــة آمنة .. في عالم يزداد اقتناعا كل يوم بمشروعية العنـف وبأن الحق ينطلق من فوهة البندقية ، يأتي الشعب المغربي المعلم ، فيقدم حلا سلميا ، يعلم الناس ان الحق يقهر.. يعلمهـــم :

«أن يجدوا في مسيرة السلم أكثر مما يمكنهم أن يجدوه في مسيرة الحرب».

كـــان القرن التـــاسع عشـــر هـــو قرن الثورات والحروب الاهلية والحلول الدمويـــة في كل المجتمعات الاوربية . ولكن مع مطلع القرن العشرين بدأ الكفـــاح بالوسائل السلمية لحل المشاكل الداخلية في كل مجتمـع تحت إطار الحفاظ على الوحدة الوطنية واستبعاد العنف ، واستئصال فكرة الحرب الاهلية كوسيلة لتحقيق المطالب المشروعة ، أو على الخلافات ، «فكانت انتصـــارات الديموقراطية وحقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية». لكن الشعوب نست هذه التجارب ، أو لم تحـــاول أن تجربها في منازعاتها القومية فكانت الحروب الدولية التي قست قلوبها ، فأرتدت موجة العنف إلى الداخل ..

وجاء الشعب المغربي يذكر العالم بالحلول السلميـــة ويجرب ذلك في نزاع قومي .. وضد دولة أجنبيـــة .. فإن نجحت هذه المسيرة فستكون نموذجاً يحتذى ودرسا تستخلص منه العبر ، وتجعل من حق الملك أن يفخر بكون الله أراده أن يكون خادم هذا الشعب .

وهنا يأتي الامر بالزحـــف .

«غداً إن شاء الله ستخترق الحدود . غداً إن شاء الله ستنطلق المسيرة ، غداً إن شاء الله ستطأون أرضاً من أراضيكم ، وستلمسون رملا من رمالكم وستستقبلون أرضاً من وطنكم العزيـــز»

هل سمع أحد أو قرأ : «إن شاء الله» بمثل هذه القوة.؟ بمثل هذا التفوق في التعبير عن معنى التوكل الصحيح في الإســـلام ؟

ان شـــاء الله ..

التعبير الذي اشتهر عالميا . بإستخدام الغرب له كمثال على تواكل المسلمين وتسويفهم .. يأخذ في كلمات الحسن معناه الحقيقي ورنينه الصادق .

غدا إن شاء الله ستخترق الحدود كل الدنيا أيقنت أن ذلك سيحدث .. غداً إن شاء الله ستنطلق المسيرة ..

وأندفع الصحفيون إلى وكالاتهم يبرقون بدون ذرة



علمنا الأحمر ذو النجمة الخضراء..

من الشك أن المسيرة ستدخل الصحراء غدا ...

غداً إن شاء الله ستطأون أرضا من أراضيكم

وقرر مجلس الامن عقد جلسة عاجلة ...

وزال عن عبارة المشيئة كل ما حاول أن يلصقه بها افتراء وجهل الاعداء وصدأ قرون التخلف والانهيار .

. ثم يبدأ القائد إعطاء تعليماته للمسيرة ، أو النصائح ، ويضبط العالم أجهزة الاستماع ، ويشرع الصحفيون أقلامهم ، ويركزون انتباههم حتى لا تفوتهم كلمة من التوجيه الذي يعطيه القائد للجماهير التي ستفتح الصحراء، وتواجه سبعين ألف جندي أسباني .

ويصدر التوجيه الاول . فيوقن غير المغاربة أنهم أمام ظاهرة فوق بشرية . حقيقة موجودة ولكنها لم تكتشف بعد ، ولا اكتشفت قوانين حركتها ..

التوجيه الاول :

.«بمجرد أن تخترق الحدود عليك أن تتيمم من الصعيد الطاهر من تلك الرمال ، ثم تستقبل القبلة وتصلي بأحذيتك ، لانك مجاهد ، تصلي بأحذيتك ، ركعتين ، شكراً لله تعالى كما قال الفقهاء :

فاذا الحسن بدا فاسجد له فسجود الشكر فرض ياأخي

لحظة ذهول !.. هل هذا هو التوجيه الذي يحرص الملك على إصداره للمسيرة ؟..

صلاة الشكر ، والفتوى بجواز الصلاة بالحذاء ، والتيمم !

ما معنى ذلك ؟!

ولكن الذين يفهمون قانون الحركة الإسلامية ، بل قانون كل الحركات التي غيرت وجه التاريخ ، يعرفون أن الإيمان هو قاعدة كل تنظيم ، وهو الشرط الاول للنصر . فالذين يقولون أن المسلمين انتصروا في بدر لانهم كانوا أول من أدخل طريقة القتال بالصفوف ، ينسون أن هذه الطريقة ما كانت لتنجح لولا أنهم تعلموا الصلاة في صفوف ، وأن الله لا ينظر للصف الاعوج . قبل أن يربط الإيمان بينهم ، فيصبح صفهم كالبنيان المرصوص ، يشد الحب بينه ويلحم ثغراته ، قبل أن تنترع التربية الإسلامية الانانية ، والتطلع للبطولات الفردية التي يقوم عليها تنظيم القتال قبل نظام الصف .

الإيمان أولا ثم التنظيم والتقنية ، فالنصر ..

هذه الجماهير التي يأمرها أمير المؤمنين بالصلاة فور دخول الصحراء لا يخامرها شك في دخولها ، وهي على استعداد للسمع والطاعة والتنفيذ في إخلاص وإبداع أي أمر آخر .

. هذه المرحلة من المسيرة ليست كسابقتها، فالمرحلة السابقة كانت داخل الأرض المحررة وبين أحضان الشعب أما المرحلة المقبلة فهي في الارض المحتلة ، وحيث جميع الاحتمالات .«لذا فهي تستلزم منك ضبطا أكبر ونظاما أكثر» . ويجب الطاعة والسمع للمسؤلين عن التأطير .

. عودة إلى التأكيد على عدم السعي لمجابهة مع أسبانيا.

وقد يبدو في ذلك بعض الجدلية ، فأسبانيا هي الطرف المباشر ، التي يستهدفها التحرك المغربي ، ومعها يأتي الاحتمال الاول للصدام ، فهي التي تحتل الارض ، وجيشها هو الذي يقف على أهبة الاستعداد ، ومن حكومتها تنطلق التصريحات ، ويرددها الحلفاء والاتباع عن الشرف العسكري الاسباني ومسئوليات الدولة الاسبانية وإذا صحت الروايات فإن السفير المغربي كان قد سلم انذاراً صريحاً للحكومة الاسبانية بالحرب إذا وقع اعتداء على المسيرة .. كل هذا وتأتي توجيهات الملك تؤكد وتكرر لا نريد حربا مع اسبانيا ..«إذا ما لقيت أسبانيا كيفما كان فصافحه وعانقه ، واقتسم معه مأكلك ومشربك، وأدخله مخيمك» «لو أردنا أن نحارب الاسبان لما أرسلنا الناس عزلا بل لارسلنا جيشاً باسلا»
المغرب لا يهاب الحرب ولكنه لا يستدرج لها ولا «نريد أبداً أن نطغي ولا أن نسفك الدماء.»

«فعانق اخوانك واصدقاءك الاسبانيين
عسكريين كانوا أم مدنيين وان أطلقوا عليك نار
فتسلح بإيمانك وتسلح بقوتك وزد في مسيرتك فان
ترى في آخرها إلا ما يرضيك ويرضي راحتك
وراحة ضميرك»!

الحسن يعرف أي شعب يخاطب ، حتى يطلب منه هذا المطلب المعجزة !..

وفي اعتقادي أن سر المعجزة يكمن في ركعتي الشكر هذه .. فإذا دخلت الجماهير الصحراء ، وتيممت من رملها صعيداً طيبا .. وتوجهت للقبلة وصلت آمنة مطمئنة غير مبالية بالخطر .. اكتسبت شحنة من الأيمان والثقة بالنفس ، تستطيع بها أن تواجه رصاص الاسبان ، بل والمشي فوق الالغام.. في كتب السيرة ان هؤلاء المؤمنين الذين كانـــوا يبدأون مسيرتهم بصلاة الشكر عبروا «الخليج» إلى بلاد فارس على ظهور الخيل يكلم بعضهـــم بعضا ، ولم يلاحظوا أنهم يقومون بمعجزة المشي عـــلى الماء !..

هذه الجماهير بعد أن تؤدي صلاة الشكـــر ، تدين أمام العالم كله ، أبشع جريمة في التاريخ ، الا وهي اطلاق النار على مسالمين عزل متيممين مصلين

الذي أسعده زمانه وصاحب المسيرة ورأى الهزة التي أخذت المسلمين والعرب ، والقشعريرة التي اجتاحت المراسلين الاجانب ، وهم يرون هذه الالوف تصلي فور دخولها الصحراء .. يدرك عظمة هذا الملك الذي كـان قبل ساعات من خطابه يحاور «خوان كارلوس» عـــلى التليفون ، ويعطي تعليماته لوفد المغرب في الامـــم المتحدة ، ويجتمع بكـبـار القادة العسكريين ويعطي توجيهات بخصوص صواريخ سام المضادة للطائرات والأخرى للدبابات ، ثم ها هويفني في صلاة المجاهد ..

ثم يكرر الملك تحذيره للمعتدين من غير الاسبـان معلناً وجود الجيش المغربي ، واستعداده لحماية المسيـرة من هؤلاء المعتدين ، وهو تحذير أتى مفعوله وألجم نار الفتنة . وقد شرحنا في هذا الموضع أبعاد هذه الاستراتيجية التي تريد أن تستدرج الاسبان إذا أصروا على الحرب .. إلى موقف عدواني مكشـوف .. وهـي أيضاً أي استراتيجية الحسن وغير مستعدة لإلقاء الصحراء، وشعب الصحراء في ضبب الخلافات العربية والوساطـــات والاحتجاجات.. فإن أعتدى معتدون لا دخل لهـم في القضية فإن الجيش يحسم ذلك الامر على الفور ولا يدع مجـالا للجـدل ..

ان الموقف المغربي منذ البداية يقوم على اعتبار وجود طرفين لا ثالث لهما في المشكلة : اسبانيا الدولة المحتلة والمغرب وموريطانيا مالك الارض ..

ولا مكان لليد الثالثــة ..

وهذا ما وافق عليه الرئيس الجزائري وباركه من كل قلبه ، وهذا ما قرره مؤتمر القمة العربي ، وأعلنه «سيد نوفل» في قرار إجماعي في الخامسة صباحاً والمؤذن يؤذن لصلاة الفجر !...

وكان الملك حريصاً في كل أحاديثه ، على تأكيد رفض التحول الجزائري من موقف الطرف المبارك، إلى الطرف المتدخل ، بل والمملي لشروطه ووجهة نظره ..

صرح الملك للتليفزيون الفرنسي حول احتمـالات التدخل الجزائري :

.«إني رجل قانون واعرف أنه لا يكون هناك مطلب بدون مصلحة، وقد أعلنت الجزائر في شتى المناسبات وامام الهيئات الرسمية على الصعيد الدولي انها ليست لها مصالح ولا مطالب وانها سعيدة داخل حدودها اذن قانونيا وسياسياً وانسانياً وتاريخياً لا يمكن أن يكون للجزائـر مطلب ما نظراً لانعدام عنصر المصلحة.»

والحق مع رجل القانون، لان القانون الدولي لا يعرف حالة «فاعل الخير» الذي يدخل حرباً لإقرار مبادىء دولية مشكوك في صحتها، مقطوع بسوء النية في المناداة بها !

كما أكد هذا المعنى –رفض اليد الثالثة– في حديثه مع التليفزيون الامريكي عندما سألوه عن احتمال تعرض البوليزاريو الذين يقدرون ، كما قال مراسل التليفزيون ما بين مائتي وأربعمائة شخص ، للمسيرة .. قال الملك :

«كل شيء ممكن وقوعه من المجانين ، أما بالنسبة لنا فليس في الصحراء الا جيش واحد هو جيش اسبانيا . ولقد قررنا لقاء الجيش الاسباني بدون سلاح . ومن الممكن أن نلتقي بخارجين عن القانون ، الذين تسمونهم بالبوليزاريو وسنعاملهم بالمثـل.»

ثم نصل إلى نقطة القيادة .. وقد شرحنا في موضع آخر كيف عدل الملك عن قراره الاول ..

وكان الصحفيون ممن ذاقوا حلاوة الاستعمار، أو ممن أرسلوا للمغرب من قبل بعض الجهات في مهام خاصة جداً .. وقد أخذوا يلحون في الايام الاخيرة على هذه النقطة بالذات، وكأنها أصبحت كل ما يشغل بالهم :

«هل سيدخل الملك الصحراء»؟

«سمعنا ان الملك قد عدل عن قيادة المسيرة»..

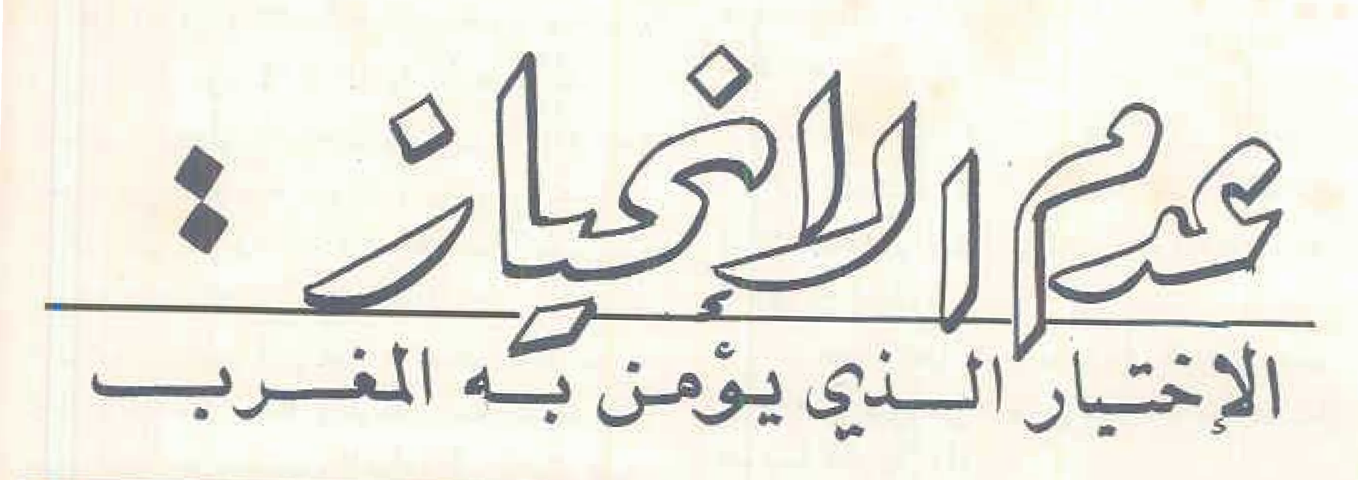
صرح الملك أنه سيكون أول من يدخل ...الخ ..

ورد وزير الاعلام المغربي بأن الملك يقود المسيرة، وأنه خططها ونظمها، وليس من الضروري أن يكون في المقدمة .. فقد كان إيزنهاور يقود الحرب من لندن وقواته في المانيا..» وكان من الممكن أن يكتفي الملك بما أعلنه وزير اعلامه، وأن يتجنب الاشارة لهذا الامر، بعدما أقتنع برأي مستشاريه، وهو استحالة أن يترك الملك تصريف أمور الدولة في أدق مرحلة في تاريخها الحديث، ويتوجه إلى طرفايه، أو يدخل على رأس المسيرة إلى الصحراء، لا لهدف إلا ضرب المثل لشعب هو المثل، وهو القدوة.. أو زيادة حماسة جماهير لا مزيد لحماستها. بل ان هذه الحماسة أصبحت تقلق المراقبين الاجانب إلى حد أن أحد الصحفيين سأل : ماذا سيفعل الملك بهذه الحماسة، بعدما يسترد الصحراء، وظن معظم الحاضرين أنه اخطأ التعبير، وأنه يقصد ماذا يفعل إذا لم تسترد الصحراء، ولكن بعد زيارة طرفاية أقتنع الجميع وتبين أنه كان يعني السؤال كما طرحه، فالمارد الذي تجلى في المسيرة، أو الاصالة التي أبرزتها المسيرة، روعت القادم من الجانب الأخر من المحيط وجعلته يتذكر نفس الجماهير عندما حركها نفس الإيمان، والقادة العظام، كيف طوت إفريقيا كالحلم وجاءت تطأ مياه الاطلسي بسنابك خيلها تبحث عن أرض خلف المحيط .. نفس الجماهير عادت. وبحماسة تغني عن كل موقف .. كان حسب الملك أن يغفل اذن هذه النقطة... ولكن الحسن الثاني الذي علمه أبوه الا يكذب على الشعب، يصارح شعبه العزيز ويسمع العالم كله :

«كان بودي ان اكون في الطليعة، ولكن يقال»

يبدو أن أمير المؤمنين في نفسه شيء من فتوى مستشاريه وفقهائه وأنه نزل على رأيهم لما واجهوه بمصلحة الدولة وسيرة كبار الصحابة وسلوك القادة. فاقتنع كقائد . ولكن الحسن الثاني فتى المنافي ومقارعة الاستعمار والحركة الوطنية، لا يزال في نفسه شيء .. ولذلك استخدم عبارة : ولكن يقال ـ«بأن واجب القائد هو أن يبقى في مركز قيادته».

وهكذا كان العزم ..
وكان التخطيط
وكان الحشد الذي ازال كل الأوهام، وجدد اليقين وأكد الايمان ..
ثم كانت توجيهات ما قبل ساعة الصفر ...
ثم التوكل على بركة الله ...



للاستاذ زين العابدين الكتاني

ان الدارس لاسس الديبلوماسية المغربية منذ تأسيس الدولة المغربية ، وعبر تاريخها السحيق ، يجد نفسه دائما امام اختيار لم يتغير ابداً . سواء في حالة اليسر او في لحظات العسر التي تمر سواء بالنسبة لسلوكه العام مع غيره ، او في سلوكه الخاص ، وذلك ما جعل المغرب يكون من السباقين الى مجموعة دول عدم الانحياز .

وتحضرني قبل الدخول في دراسة اختيار المغرب لعدم الانحياز سلوكا وسياسة هذه الفقرة التي وقفت عليها والمنشورة بجريدة (السعادة) التي كانت تصدر في مدينة طنجة (بالعدد 173-س 4 - ص : 2و3 بتاريخ 14 محرم 1328 الموافق 16 يبراير 1908) والتي ورد فيها نفس المفهوم وبنفس المعنى ، وقت كانت هذه الكلمات لا زالت ذات معنى عام ولكن المفهوم المغربي حددها بالنسبة للعلائق الدولية كما نلمس ذلك من مجرد قراءة هذا النص :

((والاحسن من هذا وذاك ان ... يدعى اليوم المواصلة السياسية مع وزارات الاجناس ومكاتبته له وقد اشاع اخبارا على انه تلقى انباء خصوصية على نتائج ما قررته وزارة فرنسا والمانيا بخصوص المغرب ، وانحياز دول اوربية على الحياد وترك المغرب وشأنه...)))

وهكذا فاذا كان ظهور مجموعة عدم الانحياز جاء نتيجة للتطور البشري الذي عرفته الانسانية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية والذي اقترن بـ:

أولا : باندحار الاستعمار كقوة غازية طاغية متسلطة :

ثانيا : بروز تكتلات المعسكرين الغربي والشرقي والتي لم تكن سوى الاطار الجديد للاستعمار بكل فلسفاتها ، وميولها واتجاهاتها واساليبها فان مشاركة المغرب في بناء مجموعة عدم الانحياز لم تأت عبثا ، أو جزافا ولكن المغرب الذي عرف الاستعمار كيف يسيء اليه اعتبارا للرسالة التي التزمها منذ تأسست دولته الاسلامية ، والدور الذي لعبه منذ اصدار رسالة التوحيد كايديولوجية له في نظامه وسلوكه .. اختار اختيارا لم تغيره التطورات والحقب والاهداف التي تعاقبت على منذ ان خطط اختياره هذا .

ومن هذا الاختيار تنطلق اهداف المغرب واختياراته الوقتيـة .

ومن نفس هذا المنطلق لم يكن حضور المغرب في مؤتمرات دول عدم الانحياز الثلاثة السالفة عضويا وكفى . ولكن المغرب سعى اليه وهو ينتظر بل ويؤمن ان هذا المؤتمر سيكون المشجع الجديد لجميع المقتنعين بان علاقات اكثر عدالة وتكافؤا وبناء في العالم يمثل البديل الوحيد لكابوس الضغط والسيطرة ويجد الطريق لانتهاج سياسة عدم الانحياز بشكل انشط وواسع على الصعيد الدولي ولا سيما في منظمة الامم المتحدة التي يمكن ان تكون قاعدة لتعزيز دور وفعالية المنظمة العالمية في الدفاع عن السلام والاستقلال والتعايش السلمي ، اما مفهوم المغرب في عدم الانحياز فيرتكز على تحديد دقيق وضعه المغرب منذ البداية في النصين التاليين .

أولا : في خطاب جلالة الملك المعظم في بلغراد (سبتمبر سنة 1961) الذي جاء فيـه :

"ان حيادنا لا يعني الانعزال او اللامبالاة بالنسبة لجزء من البشرية ، بل هو على العكس من ذلك يعني قبول كل ما هو عادل وحق في نطاق الفكر البشري ، وانه حياد نشيط وحي ، ولا يستهدف سوى انقاذ القيم الانسانية واقرار السلام والتقدم بين الجنس البشري" .

ثانيا : اما الممثل الشخصي لصاحب الجلالة فقد حدد في الاجتماع الثاني للمؤتمر (اكتوبر سنة 1964) التعريف المغربي بما يلي :

"ان عدم الانحياز ليس مذهبا ولا عقيدة بل هو سلوك ، اي عبارة عن اتخاذ مواقف ازاء المشاكل الدوليـة الكبرى" (1)

وهذا التحديد يرتكز مع روح التأسيس من جهة ، ويساير المبادىء الخمسة التي اقرها الاجتماع التحضيري (2) وهي :

1) يجب ان تكون الدولة قد انتهجت سياسة قائمة على تعايش الدول ذات النظم الاجتماعية والسياسية المختلفة ، وعلى عدم الانحياز .

2) يجب ان تكون الدولة مؤيدة دائما لحركات الاستقلال القومي .

3) يجب الا تكون عضوا في حلف عسكري جماعي تم في نطاق الصراع بين الدول الكبرى .

4) يجب الا تكون الدولة طرفا في اتفاقية ثنائية مع دولـة كبرى

5) يجب الا تكون قد سمحت لدولة اجنبية باقامة قواعد عسكرية في اقليمها . ولا يعنينا من هذه المبادىء الخمسة هذه الا المبدأ الثاني الذي يجب

---

(1) جريدة (الانباء) ص : 2 – 24 اكتوبر 1964ع : 275)

(2) في القاهرة في يونيه 1961 .

أن يكون محور تحركنا الدبلوماسي " لان محاربة الاستعمار الصهيوني في فلسطين لا تخرج عن كونها حربا من حروب الاستقلال القومي ، ومن واجب دول عدم الانحياز ان تساند هذه الحروب تطبيقا للمبدأ الذي اقرته مؤتمرات عدم الانحياز وجعلته ركنا من اركان سياستها (3)

ولم تكن هذه المبادىء الخمسة التي استقرت اليها دول العالم وخاصة دول العالم الثالث والمحبة للسلام والخلاص وليدة الصدفة ولكنها جاءت اثر عدد من المؤتمرات المؤسسة حيث انعقد :

أولا : مؤتمر باندونغ باندونيسيا في 18 ابريل عام 1955 الذي اشتركت فيه تسع وعشرين دولة الذي انتهى الى القرارات التالية :

1) احترام حقوق الانسان الاساسية واغراض ومبادىء ميثاق الامم المتحدة وهذا القرار ليس تطبيقا لفكرة الحق الدولي التي تدين بها نظرية الحياد الايجابي والتي دعت هذه النظرية الى تقديسها . كما ان احترام ميثاق الامم المتحدة هو من اخص مظاهر هذه السياسة – باعتبار ان هذا الميثاق هو امل العالم – اذ روعي نصا وروحا – في تحقيق السلام العالمي وهو ذات الهدف الذي تدعو اليه سياسة الحياد الايجابي .

2) احترام سيادة جميع الامم وسلامة اراضيها

3) الاعتراف بالمساواة بين جميع الاجناس وبين جميع الامم كبيرها وصغيرها .

4) الامتناع عن اي تدخل في الشؤون الداخلية لبلد آخر .

5) احترام حق كل امة في الدفاع عن نفسها انفراديا أو جماعيا وفقا لميثاق الامم المتحدة .

6) الامتناع عن استخدام التنظيمات الدفاعية لخدمة المصالح الذاتية لاي دولة من الدول الكبرى . وامتناع اي بلد عن الضغط على غيره من البلاد وهذه المبادىء جميعها من مقتضيات سياسة الحياد الايجابي التي تحترم سيادة الدول وتقدس حق الحرية .

7) تجنب الاعمال او التهديدات العدوانية او استخدام العنف ضد السلامة الاقليمية او الاستقلال السياسي لاي بلد من البلاد .

8) تسوية جميع المنازعات الدولية بالوسائل السلمية مثل التفاوض او التوفيق أو التحكيم او التسوية القضائية .. الخ .

9) تنمية المصالح المشتركة والتعاون المتبادل ، وهذه الاهداف تتفق والهدف النهائي من سياسة الحياد الايجابي وهو تحقيق السلام العالمي وتتفق والوسائل التي رسمتها هذه السياسة لتحقيق تلك الاهداف .

10) احترام العدالة والالتزامات الدولية ، وهذا المبدأ هو تطبيق لفكرة العداة الدولية كما وعتها وارست قواعدها سياسة الحياد الايجابي .

ثانيا : مؤتمر (بريوني) المنعقد بيوغسلافية في يوليوز عام 1956 خلال زيارة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وجواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند الراحل ليوغوسلافيا في يوليو عام 1956 واسفرت هذه المحادثات عن اذاعة بيان يرتكز في اساسه على القرارات التي اذاعها

(3) "مجلة السياسة الدولية" المصرية (س 6/ عدد : 21 يوليو 1970)

4) كتاب "سياسة الحياد الايجابي" الصادر ضمن سلسلة (كتب قومية) ص : 311 .

مؤتمر باندونج ويقر فيها المبادىء التي انبثقت منه ، ووصفت هذه المبادىء في البيان الثلاثي عن محادثات بريوني بانها لاقت دائما التأييد من جانبهم وانهم يدركون ان النزاع والتوتر الدولي قد اديا الى ما يسود بالعالم من المخاوف في الحاضر والمستقبل ، وانه طالما ظلت هذه المخاوف تسيطر على العالم فانه لا يمكن ارساء السلام على قواعد ثابتة (4)

ثالثا : مؤتمر اكرا الذي انعقد بغانة في ابريل 1958 وحضرته الدول الافريقية المستقلة ، وقد انتهى هذا المؤتمر الهام بقرارات هي في ذاتها تطبيق للمبادىء التي تنطوي عليها سياسة الحياد الايجابي وعدم الانحياز اذ قرر المؤتمر بعد تبادل وجهات النظر الولاء المطلق لميثاق الامم المتحدة والتمسك بالاسس التي ابرمها مؤتمر باندونغ ، والمتصلة باحترام حقوق الانسان الاساسية . واحترام السيادة والاعتراف والمساواة بين الاجناس والامم ، ونادى بتدعيم فكرة الحرية التي هي من الاسس الجوهرية في سياسة الحياد الايجابي فبحث مستقبل البلاد غير المستقلة في افريقية واعلن انه يؤمن بان ابقاء الاستعمار في اية صورة ان هو الا تهديد للدول الافريقية واستقلالها ، كما انه تهديد للسلام العالمي وحدد الوسائل والطرق التي يمكن بها لهذه الدول ان تكافح من اجل الظفر بحريتها . كما بحث مشكلة الجزائر ، واقر حق الشعب الجزائري في الاستقلال وتقرير المصير ، وعبر عن شديد قلقه بسبب مشكلة فلسطين واعتبر انها مصدر للخطر يهدد السلام العالمي ، وكذلك الشان بالنسبة لمشاكل جنوب غرب افريقيا ، والمشاكل المماثلة في تجولند وسائر اجزاء افريقيا المكافحة ، وتشبثت دول المؤتمر باهداف السلام العالمي التي تهدف اليها سياسة الحياد الايجابي فاعلنت عن سخطها مما تقدم عليه الدول الكبرى من استخدام الطاقة الذرية في الحرب ، وعن رغبتها في استخدام هذه الطاقة للاغراض السلمية ووقف انتاج الاسلحة الذرية في الحرب وايقاف تجاربها وعلى الاخص تلك التي تجريها فرنسا في صحراء افريقية (5)

رابعا : مؤتمر الدار البيضاء المنعقد بالمغرب في يناير 1961 بحضور المغرب والجزائر (الحكومة المؤقتة) وليبيا وجمهورية مصر العربية ومالي وغينية وغانة .

وانتهى هذا المؤتمر الى ثمانية قرارات أولها اعلان ميثاق افريقي ارتبطت به الدول التي اشتركت في اعمال المؤتمر ثم سبعة قرارات اخرى في مشاكل الكونغو والجزائر وفلسطين والتجارب الذرية والميز العنصري ومشكلة موريطانيا ومشكلة روانـدا . ونص الميثاق الافريقي على انشاء جمعية استشارية افريقية ولجان لتوحيد سياسة الدول الافريقية وتنسيقها وانشاء قيادة افريقية عليا مشتركة ولجنة للاتصال بين الهيئات والاجهزة التي تقرر انشاؤها . وقصد بانشاء القيادة الافريقية المشتركة ضمان الدفاع الجماعي عن القارة الافريقية وحماية كل دولة على حدة . فكان هذا الميثاق بمثابة الوثبة الايجابية الاولى نحو تحرير افريقية ووحدتها في ظل مبادىء معينة ، فقد اكد الميثاق ان الدول الافريقية المستقلة لن توحد جبهتها السياسية لتتخذ مواقف مشتركة تنبع من مصالح القارة وتتفق مع اهدافها في التقدم والتطور والحرية الحقيقية وكان هذا القرار تطبيقا صريحا لمقتضيات القوة المعنوية التي تنادي بها سياسة الحياد الايجابي والتي تنبعث من ضم الصفوف ولم الشعث وجمع اليد بين الدول ذات المصالح والاهداف المشتركة ، كما انبثقت سائر القرارات التي اقرها المؤتمر من قرارات مؤتمر باندونج (6)

5) المصدر السابق

6) نفس المصدر ص : 314 .

واذا كانت الديبلوماسية المغربية قد اتسمت واشتهر عنها في المحافل الدولية على اختلافها انها لعبت دورا طلائعيا في تركيز مبادىء عدم الانحياز والسير على نهجه بدقة ، فالحقيقة ان مرد ذلك لسببين مهمين وعميقين في مفهومه وسلوكه هما :

اولا : انه يقاسم المحركين الاولين لمؤتمر بلغراد انواع القلق الذي كانت تدعو اليه الحالة الدولية في ذلك العهد ، ويحس باحساسهم ، ويبدو ذلك واضحا في كونه "وافق بسهولة على ضرورة عقد هذا المؤتمر (7)"

ثانيا : ايمانا منه ، وثقة في هذا الاختيار "جعل من عدم الانحياز محورا اوليا لسياسته الخارجية (8)" ويدعو اليها باقتناع واهتبال بمفهومها الانساني ونتائجها الحسنة وخصوصا في هذه الظروف العصيبة التي تجتازهـا الانسانية . ولقد مثل المغرب في الدورة الاولى للقاء هذه الدول جلالة الحسن الثاني (سبتمر 1961 في أول بداية عهد جلالته لتولى عرش المغرب .

وقد ظلت مساهمة جلالته في هذا المؤتمر الذي لم يكن له نظير «على الصعيد الدولي ، تقيم الدليل القاطع على تعلق المغرب بمبادىء العدل وعدم التبعية» للمساهمة في مشروع السلام ، واهتماماته بالبحث عن الحلول الصالحة للمشاكل المطروحة على بساط الدرس منذ ذلك الحين الى الآن .

وان ادراك جلالة الحسن الثاني لهذه السياسة التي اعطت لعدم الانحياز مدلوله النهائي ، لم يكن ادراكا لسياسة توازنية . ولم يكن هذا الادراك يقضي مطلقا بنوع من عدم الاهتمام او بحالة واقعية تتجلى في الانكماش او في خشية عدم الصدع برأي ايجابي في شان حوادث تؤثر على الحالة الدولية ، بل هذا الادراك هو كما بينه جلالة الملك بوضوح ، لا يعنى ابدا انكار كل فكرة حكيمة مثمرة او ايجابية تنبعث من اندفاع كل من الكتلتين ، وليس هذا الادراك كذلك بمثابة بذل الوسع وافراغ المجهود امام مشكل وقع طرحه لايجاد حل من الحلول ، لا يكون آتيا لا من الغرب ولا من الشرق اذ الامر كما قال صاحب الجلالة : من الحلول ما يؤخذ وما يترك ولابد من ان يستند الاختيار على الموضوعية الثابتة . واذا كان ممثل المغرب قد حدد مواقف بلاده نحو القضايا التي تشغل بال الرأي العام فبالاضافة الى هذه الأراء المتعلقة بالمشاكل السياسية التي قسمت العالم الى كتلتين متضادتين في الكفاح من اجل النفوذ في العالم ، فان المغرب الذي هو على بينة من الاخطار العظيمة التي تتمثل في هذه المشاحنة ، يرى ان اسباب عدم الاستقرار الدولي تنبثق عن عدم التوازن الاقتصادي والتجاري والاجتماعي الموجود بين الامم الغنية والامم الفقيرة ، لان عدم التوازن اذ نما يوما بعد يوم يظل العنصر الاول لعدم الاستقرار ولعدم الثقة التي تحدث في العلائق الدولية ؛ وان الأراء المغربية في المشاكل السياسية المعروضة موضوعيا من طرف ممثل المغرب ، ضمن اطار التفاهم الذي اراد ان يكونه من عدم الانحياز موصوفة بالحركة والايجابية والنشاط . هذا الادراك الذي تبناه المغرب قياما بدوره نحو المشاكل الخطيرة التي كانت تهدد السلام طيلة العهد الذي انعقد فيه مؤتمر بلغراد ، قد املته عليه الحالة الجغرافية التي توجد عليها البلاد ، كما املاه عليه تطوره طيلة تاريخ شعبه الموصوف بالشجاعة والانصاف

(7) (الديبلوماسية المغربية في عشر سنوات) صفحة: 104 .

(8) نفس المصدر .

والطاعة والتشبث بالحرية والعدل . ومن هنا كان موقف المغرب له وزنه وقيمته في المجالين الداخلي والخارجي ولان جلالة الحسن الثاني «كان المعبر الشعبي لمطالب شعوب نامية ، متحررة ، تؤمن بالتحرر في اجلى مظاهره ، وفي تعايش سلمي في اروع مراحله الموصلة الى حياة افضل ، وبقاء اسعد ، يخدم هذه الانسانية المعذبة من جراء طغيان العظماء ، وطغيان شوكتهم الاستعمارية والاستغلالية على بعض الجهات التي لازالت تواجه جيوشهم ، وجيوش حلفائهم ومنظماتهم (9)»

ومن هنا فمفهوم عدم الانحياز بالنسبة الى المغرب ، متسع خصب ، واكثر حيوية مما يظهر عادة ، وهو يرى ان عدم الانحياز لا يمكن ان يكون مجرد نظرية سياسية بل فلسفة اكثر انسانية وواقعية .

وباشارة من المغرب ، ولعله هو اول دولة ارادت ان تضيف الى عدم الانحياز السياسي ، عدم انحياز اقتصادي فقد انعقد مؤتمر لا يقل شانا عن مؤتمر بلغراد بالقاهرة بعد مضي سنة واحدة ، فاهتم بالمشاكل من النوع الاقتصادي والاجتماعي والتقني ، التي هي من مشمولات مقترح جلالة الحسن الثاني في سبتمبر 1961 . وقد خرجت نظرية عدم الانحياز من هذين المؤتمرين ، اقوى مما كانت عليه ، لانها فرضت وجودها بالقاهرة .

ومنذ ذلك التاريخ ، استطاع عدم الانحياز ، بفضل الواقعية والحكمة التي تحلى بهما جميع رؤساء الدول والحكومات الذين شاركوا في المؤتمر السياسي في بلغراد ، وفي المؤتمر ذي الصبغة الاقتصادية والاجتماعية بالقاهرة ، أن يضفي مزيدا من البيان على نظريته ، ومزيدا من الوضوح على خطته (10)

المغرب في المؤتمر الثالث

انعقد المؤتمر الثالث لدول عدم الانحياز بعاصمة زامبيا الافريقية بعد ان وافقت تسع وخمسون دولة في "الاجتماع الاستشاري لبلدان عدم الانحياز" الذي انعقد في بلغراد في 8 يوليوز 1969 بمشاركة المغرب الذي سارع للحضور موكدا ان "العامل الرئيسي المشترك لدى الاقطار غير المنحازة هو التزامها بمبادىء الاستقلال والسيادة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية" .

وفعلا فقد انعقد المؤتمر الثالث لهذه الدول يوم 7 سبتمبر 1970م بمدينة (مالنجوشي) بضواحي لوساكا عاصمة زامبيا ، وحضر المؤتمر 62 دولة تمثل شعوب افريقية واسيا وامريكا اللاتينية وبعض دول اروبة ، في حين حضر المؤتمر 25 رئيس دولة .

اما جدول الاعمال فكان كما يلي :

أولا – تصريح حول السلام والحرية والنمو والتعاون وديمقراطية العلاقات الدولية

ثانيا – مناقشة عامة حول الوضع الدولي

ثالثا – مناقشة حول حفظ وتقوية السلم والامن الدوليين باعتبار الوضع الحالي في العالم .

رابعا – حفظ وتقوية الاستقلال والسيادة الوطنية وسلامة الاراضي الوطنية والمساواة بين الدول

خامسا – التنمية الاقتصادية وضرورة الاعتماد على :

ا – التعامل الثنائي الجهوي وعلى الصعيد الاقليمي فيما بين دول عدم الانحياز والبلاد النامية.

ب – السياسة الخاصة بالتجارة والمعونة

ج – العقد الثاني لتنمية هيئة الامم المتحدة .

---

(9) جريدة (العمال) المغربية (ع : 11 /61/9 – ص: 8)

(10) كتاب (الديبلوماسية المغربية في عشر سنوات) صفحة : 104 .

سادسا– قضايا مختلفـــة.

واذا كان موقف المغرب قد تميز في هذا المؤتمـــر بوضوح ملحوظ فان مواقف دول المغرب العربي جاءت بصفة خاصة تتسم بوضوح شامل خصوصا وان الاجتماع كـان له مغزى عميق لانه انعقد في هذا المكان القريـــب جدا من مناطق الكفاح من اجل الحرية وقـد برهن مـن عن المكانة (المعتبرة) التي تحتلهـا افريقيـا الجديـــدة في الحظيرة الدولية وعن الدور المتزايد الذي تلعبه في اعادة ترتيب العالم على أسس ديمقراطية مطابقة لامال الانسانية ولمتطلبات عصرنا الحالي. وكان خطاب المغرب على حد تعبيـــر وكالـــة (فرانس بريس) يتميز بطابـع خـاص: وباسلوب جديد مستهدف. خصوصا بعد أن اعلن رئيس الوفد المغربي بان هذا المؤتمر سيبرهن بكل اقتناع للعالم عن نضجنا السياسي وادراكنا لواقع الامور وعزمنا على النضال بدون كلل لنصرة العدالة".

ومن هنا نجد ان المغرب قد حدد موقفه هذا فـــي المعنى الحقيقي لكلمة عدم الانحياز . وهذا ما دفعه الى الاعلان عن النتائج المقبلة لهذا التجمع في حين اوضـــح ان المشاكل التي تقف في وجه انتشار الحياد نتيجة "للحوار القائم بين الاقوياء واعتدادهم وتوحيد وجهات النظـــر حتى يتمكنوا من تسيير شؤون العالم حسب مشيئتهم.."

وهذا ما يجعله يرى ان "القوة الحقيقية في تجمـــع هذه الدول . وفي عملها المشترك ومواقفها الموحدة تكيف ليس فيما تدل عليه كلمة عدم الانحياز ، ولكن فـي ان هذا الموقف تمليه وتفرضه كثير من الحقائق والاشيـــاء ؛ ليس في مقدمتها بالضرورة ان تصدر هذه الدول عـــن منطلق عقائدي موحد ومتكامل وليس بالضرورة كذلك ان تسعى هذه الدول الى خلق قوة سياسية ثالثة في مواجهة قوى الشرق والغرب . (11) "وبالرغم من كل هـــذه الجوانب التي اثارها المتكلمـون ، الذيـن حاولـــوا ان يفرغوا عدم الانحياز في قالب متطور ، فان الشيء الذي كان يستقطب كل واحد هو بغية التوصل الى سياسة خارجية تلتزم بمواقف ايجابية لعدم الانحياز ، والتخفيف مـن الضغوط الواقعة عليها ، وعلى دول العالم من احـــد العملاقين : امريكا وروسيا ..

لكن ، هل استطاعت سياسة عدم الا نحياز ، فـــي المرحلة الحرجة التي يمر بها العالم ، ان تتوصـــل الى الفكاك ، والتخلص من آثار نفوذ العملاقين الدوليـــين ، وتوجه كل قواها نحو الانحياز التام لكل مبادىء الحرية، والتنمية ، والمساواة في التعاون الدولي ، وبالتالي ، فـــي مساندة كل دولة تكافح الاستعمار والاغتصاب، والتمييز العنصري ؟ ان دول آسية ، وافريقيـة وامريكـا اللاتينيـــة وبعض دول اوروبـا ، تقف اليـــوم – وبعد انعقـــاد مؤتمر القمة الثالث لدول عدم الانحياز ، ومؤتمر القمة الافريقي لدول ميثاقادبس ابابا – في منعطف طريقين :

الطريق الاول : يقود الى مواجهة صريحة–ايجابية– شجاعة في مواجهة المشاكـل التي هي نتيجـة لتدخـلات الدول الاستعمارية ، والامبريالية ، فيكون في ذلك بعث جديد لحركة التحرر الوطني في العالم الثالث كله. وتعطى لهذه السياسة – عدم الانحياز – معني ومضمونا انسانيا ، واخلاقيا ، وعمليـــا ..

الطريق الثاني : يؤدى الى الهـــروب مـــن المشاكل ، وذلك بالمجاملة ، والتردد والمساومة والاستسلام، فتسقط سياسة هذه الدولة بين مخالب سياسة امبريالية استعمارية لا ضمير لها ، وتقع اسيرة لمؤمرات عديدة، ومتنوعة

---

(11) تعليق الاذاعة الوطنية يوم 14 ابريل 1970

من جهة ، ومفاجئات وهروب ، وانقلابات من جهة اخـــرى (12)

ومرد ذلك "الى ان الحاجة الى التكتل اصبحت اقوى مما كان عليه الامر غداة مؤتمر باندونغ خاصة وان اغلبية الشعوب التي كانت مستعبدة انذاك تتمتع الأن بحريتها وسيادتها "ولكن هذا العالم الذي تنتمي اليه تلك الشعوب يواجه ، وبدرجة واحدة من التحدي ، مشاكل متفاقمة من اصل واحد ، وذات سمعة واحدة .. وهي مشاكل التخلف والقضاء على بقايا الاستعمار ، وتحرير بقيـة الاجزاء المغتصبة في افريقيا بصفة خاصة ، والمضـي بحماس في بناء صرح التقدم الاقتصادي والاجتماعـي في جو يسوده السلام والتعاون وينعدم فيه الخوف والذعر من الحروب .. وفي عالم تنتفي فيه نهائيا سيطرة القـوة الغاشمة وتنحي فيه رؤوس الاشرار والطغاة والعنصرية في الشرق الاوسط : وفي جنوب افريقيا وروديسيـا والمستعمرات البرتغالية ، وفي غير هذه الاماكن مـن العالم . (13)

ولذا فان الدعوة الى تظافر الجهود ، ورسم خطـة موحدة للدول الغير المنحازة للعمل السياسي والاقتصادي تعني مواجهة المعسكرات التي تقتسم العالم باسـم السلام ، وتعني مواجهة الخطر الذي يتهدد الدول الـلا منحازة من جراء هذا التقسيم : وتعني بالتالي تكوين قوة ايجابية لهذه الدول في المجال العالمي ..

وهذا التكتل لا يمكن له ان يقوم على اسس ايجابية وفعالة الا اذا كتلت الدول اللامنحازة جهودها من اجل رسم طريق واضح لتعاونها في المجالات الاساسيـة كالاقتصاد والتقنية والسياسة من اجل السلام لا سـلام مسلـح (14)"

النتائـج المطلوبـة

والذي يلمسه المتتبع للاحداث وهو يقرأ عن المؤتمر الثالث الذي انعقد سنة 1970 هو ان عددا من دول العالم الثالث قد تركت نفسها قليلا عرضة للخداع واللـف والتجربة تمشيا مع التطورات الطارئة عليها ، ولكن كان ناقوس اللقاء الثالث لدول عدم الانحياز يدق منبهـا .. وهذا ما جعلها تراجع مواقفها ، ولو على الرغم منها لانها لمست ان الذين اختاروا عدم الانحياز بالامس في المؤتمر الاول والثاني استعرضوا اليوم المواد التي ينبغي ان تقوم عليها رسالتها وهي مؤتمرها الثالث بلوساكا قـد حولت تلك المواد وصاغتها في نقط ثم صبتها في قالـب وثيقة اساسية بنيت عن حسن نية ووفاق وهي التي يمكننا ان نجملها في هذه النقط :

- ".العمل على اقرار السلام العالمي . واقامة نظام فعال للامن الدولي.

- .مناهضة الاحلاف العسكرية واقامة قواعـد عسكرية في تراب بلدان أخرى او مرابطة قوات عسكرية فيها خلافـا لرغبتهـا .

- .حق الشعوب التي لم تتحرر بعد في تقرير مصيرها ومساندة ومؤازرة الحركات التحررية ماديا ومعنويا بما هو في الامكـان .

- حق كل الامم ذات السيادة في تخطيط الطريقة التي تراها صالحة لتنسيقها وحقها في الاستفادة من اصول التقدم الاقتصادي والتقني .

- تكتيل الجهود وتوحيدها داخل اسرة البلـدان النامية قصد ادخال التغييرات اللازمة والعاجلة على هياكل الاقتصاد العـالمـي .

---

(12) مجلة (الجيش) الجزائرية (ع 79/ اكتوبر 1970 ص : 52)

– دعم منظمات الامم المتحدة والاعتراف بمبدأ عالميتها."

وهذه النتائج والقرارات ستطرح ايضا اسئلة جديدة وهي الى اي مدى سيتركز اتجاه عدم الانحياز ، بعد التطورات الجديدة المختلفة التي تشهدها دول العالم الثالث ..

> علينا ان نعلم ان الدفاع الوطنى يوجب علينا ان نعيد النظر ، كل النظر ، فى طرق التعليم ، وتلقين القيم الروحية الدائمة لهذه البلاد . فلا داعى لمن لا يعتز بمغربيته ان يدافع عن مغربيته ، ولكننا اذا لقنا ابناءنا تاريخ المغرب منذ ادريس الاول الى الحسن الثانى أعطيناهم من الاسلحة ، وأعطيناهم من الدوافع والبواعث ما يجعلهم يجرون اذيال الفخار أمام جميع الدول ويجعلهم يسترخصون انفسهم واسرتهم وحياتهم ومصالحهم فى سبيل التضحية عن ذلك الاصل الذى أراد الله سبحانه وتعالى ان يكل به ناصية هذه الدولة، ويكلل به راس هذا الشعب .
>
> **جلالة الملك الحسن الثانى**

نظرة إلى الأفق العربي من خلال
حرب أكتوبر

للأستاذ المهدي البرجالي

انقضت الآن ثلاث سنوات على حرب اكتوبر 1973 او ما يوصف بالجولة الرابعة للعرب مع اسرائيل ، وفى كل دورة من دورات الزمان كلما اهل اكتوبر ، يطفر السؤال مجددا عن العالم العربى الذى انبثق عن المعركة : اين هو الآن من حرب رمضان الظافرة ؟ ماذا تبقى من حصيلة تلك المواجهة فيما صنعه الجهد العربى خلالها من ايجابيات ؟ ماذا تعنيه حدة المفارقة القائمة بين ما تميز به اكتوبر 1973 من تلاحم عربى ، وبين مظاهر التفكك الملحوظة الآن فى الساحة العربية ؟

كثير من الاسئلة من هذا القبيل تلح على الذهن العربى ، محملة بقدر غير قليل من الاحساس بعنف التناقض بين ما حصل منذ ثلاث سنوات فى ساحة الصراع العربى ـ الامبريالى على واجهاته العسكرية والسياسية والاقتصادية ، وبين ما يحدث الساعة من صراع عربى ـ عربى ، لا يعرف له اول من آخر فى استهدافاته وتبلوراته .

وقد يبدو من واقع الحال ، ان الانفصام بين الصورة المتبلورة فى جو حرب اكتوبر ، او الناجمة عنه، وبين الصورة المرئية الآن على صعيد العالم العربى انفصام مطلق ، يتكرس به اتجاه جديد شامل المعاكسة، لمنطق الاتجاه الذى سجلته جولة العرب الرابعة مع اسرائيل ، ويسجل ـ من ثم ـ وضعا غير منطقى لعموم القضية المطروحة ، المتمثلة فى ازمة الشرق الاوسط ، ومنطوياتها العربية الاسرائيلية تحديدا ، والعربية الامبريالية تعميما .

وهى نظرة الى الامور يغرى بها ـ على نحو قوى ـ واقع الجو العربى الراهن ، المشحون بالصراعات المجانية التى لا يدخل اى منها فى حركة التاريخ على عهد اكتوبر 1973 ، بل انها لتناقض روحا وموضوعا ، مسار تلك الحركة ، وطبيعة التفكير الذى قامت عليه .

لكن الى اى حد يستطيع المرء ان يذهب فى تسجيل هذه الظواهر السلبية على الصعيد العربى ، لينتهى الى شىء ما ، يأخذ به فى تحديد شعوره ازاء هذه الظواهر ، وتقييم الموضوع من خلال ذلك ؟

الواقع أن انسياق الفكر فى تقييم الامور هنا ، مع الانفعالات السطحية ، ليس من شانه ان يفضى

الا الى تراكم دواعى الحيرة من الحال ، والارتباك ــ فكريا ــ ازاء ما تغص به من عوامل التشنج والتضارب ·

ولعل من اهم ما يتوخاه الخصم الصهيونى والامبريالى فى صراعه مع العرب ، ايقاع العقل العربى فى دوامة هذه الحيرة والارتباك ، حتى لا يتبين من امره شيئا فى خضم المعركة القائمة ، ولا يستطيع ــ من ثم ــ ادراك ابعاد موقفه فيها ، وتحديد مرتكزاته على ارضيتها ·

وبالنتيجة ، فان نجاح العقل العربى فى تجاوز الاحبولة وتمكنه ــ عبر كثافة كل الضباب المتراكم امامه ــ من استبانة الرؤية الواضحة ، واستطاعته تجنب الانفعالات السطحية التى قد تسوق طاقته على التقييم الصحيح للاشياء ، ليشكل العامل الاقوى فى امكانية اهتدائه ــ مجددا ــ للمسار التاريخى الذى انتحته معركة اكتوبر ، واستقامة السبيل امامه لموالاة السير فى اتجاه منطق ذلك المنطلق ، والتوصل الى المدى الابعد فى استهدافاته ·

ان الصيغة التى ظهر بها التحرك العربى فى خضم الجولة الرابعة مع اسرائيل ، وما تكشف عنه العقل العربى خلالها من قدرات عالية ، ثم ما كان لها من نتائج فورية على المستوى العسكرى والسياسى والاقتصادى العالمى ، كل هذا ، لم يكن له ليبرز كمجرد ظاهرة عابرة ، محدودة بحدود النطاق الزمانى الضيق الذى حصلت خلاله ، مقطوعة الصلة ــ من ثم ــ بما يليها من تطورات عربية او عالمية ، فامتداد افق المنطلق الذى انفتح منذ ثلاث سنوات ، امتداد حتمى، مستمد من طبيعة الحدث وملابساته التاريخية والحضارية ، وليس لما جريات الوضع العربى الراهن، وما تحفل به من ظواهر مناقضة لمظهر الحال فى اكتوبر ــ أن تحمل امرؤا على الظن بأن المعركة التى خاضها العرب فى جولتهم الرابعة مع اسرائيل ، كانت ــ تاريخا وعمليا ــ ذات مدلول محصور الامد فى الظرف الخاص الذى دارت فيه رحى تلك المعركة ، وانه لا يجب ــ بالتالى ــ النظر اليها كمنطلق باعتبار المفارقة الموجودة بين المناخ الفكرى الذى وقعت فيه، والمناخ السائد حاليا عند العرب ·

ولتجاوز السلبيات التى ترين على المحيط العربى، والناجمة اساسا عن هذه المفارقة ــ يبدو من الضرورى ، استشراف افق النضال العربى من منظور واسع ، ورصد الظواهر العامة والمتكررة الوقوع ، التى تتميز بها وتيرة حركيته ، ومن هذه الزاوية يمكن أن نجد أن السلبيات العربية الراهنة ، ليست اكثر من ظواهر عرضية فى صلب الموضوع الاساسى المتمثل فى نزوع العرب الى التحرر ، وتأكيد وجودهم السياسى والحضارى فى مضمار المواجهات العالمية ·

ان العبرة ــ فى الواقع ــ هى بالخط الثابت والشمولى الذى يستقطب فاعليات هذا النزوع العميق وتبلوراته ، وليست بالاعراض الطارئة والمتغيرة باستمرار ، التى قد تلابس هذا النزوع فى اندفاعاته لتحقيق مدلوله ، الا انه مهما كان من طبيعتها السلبية، فانها لا تبلغ حد القدرة على تدمير المكامن العميقة لحيويته ، وتجميد ايجابية التاريخ العربى بذلك ·

وفى مسار التاريخ ، حالات تداخل غير محدودة بين الايجابيات والسلبيات على طريق العمل السياسى والحضارى الذى اضطلع به العرب فى قديم عهودهم وحديثها ، ومن بين مؤثرات هذا التداخل ، ما يرى من تراوح الاشعاع العربى أثناء العصر الوسيط بين المد والجزر ، وما يلحظ من نوسان النضال العربى الحديث والمعاصر بين الانتفاضة والنكسة ، وبين التقدم والتقهقر ، بين احراز المكاسب ، وضياع البعض منها ــ جزئيا ــ فى مرحلة او اخرى من مراحل التحرك ·

ومن مألوف الامور ، أن تلاقى الامم فى مسيرتها على درب التاريخ تارجحات كهذه ، هى دليل حيوية تفاعلها مع الحياة ، باعتبار انه يلزم عن حيوية التفاعل الاحتكاك بمختلف العوارض والاحوال، واستيعاب متعدد المفارقات والتناقضات ، واجتياز شتى الاطوار فى ذلك ، للنفوذ منها الى خلاصة متكاملة·

وبقدر تضخم التعقيد الذى تتسم به عملية التفاعل هذه ، بقدر ما يكون الجانب المتفاعل متعدد العناصر ، مختلف الجوانب ، متشعب الاحوال تبعا لتعدد عناصره ، واختلاف جوانبه ــ وينطبق الامر على حالة الامة العربية المترامية ارضا وسكانا وتاريخا واحوالا اجتماعية وفكرية واقتصادية ، والمتشعبة بقدر

ذلك فى مشاكلها المحلية والجوهرية ، والملابسات الدولية المحيطة بها ·

ان كيانا غنيا بتنوعاته وتناقضاته وقضاياه الذاتية ، وتفاعلاته مع العالم ، لا يعقل ان تمر خطواته فى طريق سلس لين ، نحو استئناف دوره التاريخى والحضارى الفعال ، وتصحيح وضعيته العالمية تمكينا لنفسه من الاضطلاع بهذا الدور ، فحركة واسعة وجذرية كهاته التى يحققها الوجود العربى فى عالم اليوم ، معرضة — بحكم هذه الحال — لان تثير كثيرا من النقع حولها ، سواء فى النطاق الذاتى أو فى محور العلاقة مع العالم وقد يكون هذا النقع كثيفا ، فيغيم من خلاله أفق الرؤية احيانا ، حتى يبدو ما كان مظهرا للنصر ، قد استحال الى انتكاس ، وما حقق من طفرات تقدم قد انقلب الى تدهور ·

وليس من اللازم ان تنمى كل الانتكاسات العربية الواقعة فى محيط هذا التحرك ، الى القوى الاجنبية ، الا ان هذه القوى ، كثيرا ما تتهافت على استغلال ظروف هذه الانتكاسات ، واستثمارها ضمن نطاق استراتيجيتها التوسعية فى العالم العربى ، ومن المواطن التى يتم استغلالها الى مدى بعيد : التناقضات الذاتية العربية ، وقد دابت القوى التوسعية على الافادة من هذه التناقضات ، فى صيغ تختلف باختلاف الاوضاع الموجودة ، فعند ما كانت الدول التوسعية الاوروبية تهيمن على اغلبية الاقطار العربية ، كان التركيز لديها يقع بصورة خاصة على التناقضات الاقليمية داخل القطر الواحد ، او المنطقة الواحدة ، اما عند ما آلت اغلبية الشعوب العربية الى استقلال ، واصبحت تقوم بينها علاقات يستهدف منها التوصل للتعاون والتكامل، تغيرت حالئذ منهجية القوى التوسعية الاجنبية ، وغدا التركيز عندها منصبا على استثمار التناقض بين الوحدات السياسية العربية ، كبديل عما كان يقع — فى العهد الاستعمارى — من استغلال التناقض بين الوحدات الاجتماعية داخل كل كيان عربى على حدة ·

ان تداخل هذه العوامل جميعها : المتناقضات الذاتية العربية ، الوضعية الحساسة جدا للعالم العربى على المستوى الدولى والعالمى ، وما هو لازم عن ذلك ، من تشابك الصراعات الدولية حول الوطن العربى تارة ، وضده بصورة مباشرة او غير مباشرة تارة اخرى ، لكاف لان يفرز حالات كهذه التى تلحظ على صعيد العلاقات العربية فيما يتداولها من رجات مختلفة ، وفيما يلحظ ايضا على مستوى الوضع العربى فى العالم ، من تيارات دولية متضاربة حوله ، ومن احتمالات غير محدودة المخاطر تترصده ·

بيد ان الامر فى مختلف هذه الاحوال — يبقى واقعا على هامش الخط الثابت والاصيل ، الذى تتدرج فيه اتجاهات التاريخ الاساسية بالمنطقة العربية، وهى اتجاهات موصولة بمنطق التاريخ عموما فى حركته الدائبة لكسح رواسب النظام الامبريالى فى العالم ، واقامة توازن عالمى جديد على انقاضه ·

وفى حاضر الوطن العربى — كما فى ماضيه القريب — صورة متواترة عن تكرر بروز ارتجاجات من قبيل ما ذكر ، سواء فى علاقات العرب بعضهم ، او فى صلتهم بالعالم حولهم ، بيد ان مثل هذه الاعراض — ولو انها سلبية تماما — فانها كثيرا ما تشكل — رغم ذلك — حافزا ايجابيا ، اذ تحمل العرب على تبين كثير من الحقائق الموضوعية المحيطة بمسيرتهم ، وتيسر لهم مراجعة حساباتهم — على ضوء ذلك — لاستئناف تحركهم التاريخى فى مسار اكثر وضوحا ·

وهذا التداخل بين ايجابية الانجاز ، وسلبية الانتكاس فى خط العمل العربى ، قد فرض — وكأن الامر يسير على وتيرة منتظمة — ان يعقب كل حالة تقهقر يمنى به العرب ، نهوض عربى جديد ، ينسخ به مظهر التقهقر الحاصل ، وانعكاساته على الخط الثابت والاصيل فى المسيرة العربية ·

وهذه بعض النماذج ، مما يرى فى اطار هذا التصور ، مستقاة من حاضر العرب وماضيهم القريب :

اثناء الاربعينات : تواقت قيام جامعة الدول العربية فى نفس النطاق الزمنى مع نشوء اسرائيل واغتصاب فلسطين ·

خلال الخمسينات : التداخل — اثناء العقد — بين التيار الذى انتهى الى احراز اغلبية اقطار العرب على الاستقلال ، وبين حالة استفحال الخلافات



العربية ، وتوالى الهجمات الامبريالية على العرب ، نظير ما حصل فى مصر سنة 1956 .

فى مجرى الستينات : اصطدام حركة التصاعد فى استصفاء آخر المعاقل الامبريالية بالعالم العربى ، وانعقاد أول مؤتمر للقمة العربية كمظهر لتعزز الصف العربى وتلاحمه — بالهزيمة الدرامية التى اصيب بها العرب فى حرب 1967 ، وما لابسها من استكمال الاسرائيليين لاحتلال فلسطين وانقضاضهم على الاراضى العربية الاخرى .

فى سياق السبعينات : استيعاب الظرف فى هذا النصف الاول من هذا العقد — لكل ابعاد التناقض الموجود بين ايجابية التحرك العربى التاريخى فى اكتوبر 1973 ، وبين هذه الانتكاسات المتزامنة ، التى يعانى منها حاليا التضامن العربى ، والتى يجد فيها الاسرائيليون بطبيعة الحال — وان موقتا — متنفسا مريحا .

ان تعدد المناقضات على هذا المنحى ، اثناء العقود الاخيرة ، يرى ان الظرف العربى الحاضر ، القاتم فى بعض ملامحه ، ليس ظاهرة غريبة تماما — اذا ما وضعناه فى المساق الاعم للتحرك العربى الذى ما برح يواجه من الآفاق الكئيبة كهذه ، تدر ما يستقبل من مشرق الآفاق .

والمهم فى الامر ، ان يحتفظ العقل العربى فى دوامة الاحداث — بصفاء الرؤية وايجابيتها ، والا تلتبس عليه المفاهيم فى خضم التعقيدات الذاتية والدولية المحيطة به .

وكما ذكر ، فان من أهم ما تحرص عليه القوى الامبريالية ، ان تغشى أفق العقل العربى — على نحو مستمر — عوامل الالتباس هذه ، فلا يتبين فى عتمتها اى شىء ، مما يمكنه من الاهتداء لسبيله .

والا يكبو العرب فى المعركة النفسية والفكرية هذه ، فهى ضمانة قوية لامكانية تجاوزهم مختلف عقبات الطريق ، وتوصلهم — عبر ذلك — الى استئناف السير على درب الانتصارات التى حققوها فى اكتوبر ، انتصاراتهم على انفسهم ، وعلى كل ركام التعقيدات التى احاطها بهم الخصوم لتجميد طاقتهم فى مواكبة التاريخ ، والاسهام فى البناء الحضارى العالمى .

صفحات مشرقة من تاريخ المغرب الأقصى

للاستاذ
محمد محيى الدين المشرفي

الداعي الى كتابة هذا البحث المتواضع هو تقديم الدليل على الدور الهام الذي اضطلع به المغاربة عبر التاريخ في الدفاع عن راية الاسلام وتركيز دعائمه في المغرب الاقصى وفي البلاد المجاورة له في الشمال والجنوب كما سنبسط ذلك فيما يأتي من الكلام .

والذي ينبغي التنبيه اليه قبل كل شيء في هذا المقام هو ان قيامهم بمثل هذا العمل الجليل لم يكن رغبة منهم في الاستيلاء على أراض جديدة لمجرد بسط نفوذهم عليها وانما كان عملا مركزا منظما يهدف بالذات الى تقوية شوكة المسلمين وحماية دينهم من خطر النصرانية التي لا تؤمن نزواتها ولا يسلم بلد اسلامي من مكرها وتحرشاتها

ويظهر من قراءة ثانية لصفحات التاريخ التي تتصل على الخصوص بالاحداث التي عاشتها بلادنا منذ أن بلغتها الدعوة المحمدية الكريمة ان الدور الذي قام به المغرب الاقصى في تحقيق ذلك الهدف الاسمي كان دورا مزدوجا يتمثل أولا في قيادته لحملات حربية منظمة مضبوطة برسم الجهاد في الشمال وفي الجنوب ، ثم العمل على دعم الكيان الاسلامي هناك بتأسيس المعاهد العلمية وتخطيط المدن وتعمير البوادي وجلب اسباب الراحة للمواطنين ثانيا مما أدى في نهاية الامر الى خلق حضارة اسلامية عريقة ولم يثبت عن المسلمين عامة والمغاربة على الخصوص أن سبق لهم ان حملوا السيف محبة في السيطرة والغزو ، انما هدفهم كان يرمي دائما الى نشر الوية السلام بين الناس ، وحملهم على الاندماج مقتنعين في حظيرة المجموعة الاسلامية الكبرى وما هدفهم الا حياة اجتماعية حية منظمة قادرة على تحقيق السعادة للافراد داخل مجتمع اسلامي متطور .

والواقع أن ملوك المغرب الاقصى احسوا احساسا قويا منذ أول الامر ان هذه الرسالة السامية لا يمكنهم أن يضطلعوا بها الا اذا كانت لهم مراقبة على ما يجري في

بلاد الاسبان ، مهد النصرانية وواجهتها الاولى بالنسبة لهذه العدوة المقابلة لها ومن ثم بات في اعتقادهم أنه لابد من غزوها وادخالها تحت راية الاسلام ، ولم يحملهم على ذلك – كما يعتقد الكثيرون – ما حدث بين الكونت "يوليان وصاحبه" لذريق" من جفوة نتيجة اعتداء هذا الاخير على كرامة ابنة الكونت ، ولكن لان العرب المسلمين بعقولهم الراجحة وعزيمتهم الثابتة ، ايقنوا يقين المومن الصادق ان مصيرهم مربوط أحبوا أم كرهوا بمصير ذلك الثغر ، ومن ثم قرر القائد طريف أن يعبر البحر سنة 711م ويختط هناك المدينة التي تحمل اسمه اللامع الى اليوم ، ثم عبر من بعده طارق بن زياد وتبعه "موسى بن نصير" وغيرهم من ابطال المغرب الاشاوس على نحو ما هو مسطر في كتب التاريخ.

ثم تنسلخ حقبة طويلة من الزمان يشترك في حبك لحمتها القاطنون بالاندلس بما فيهم المسلمون والنصارى على السواء ، وتتجه جهودهم الى العمل البناء بقيادة العرب هناك الى ان يفضى هذا الانتاج الى خلق حضارة اسلامية مبتكرة لم يخفت بعد بريقها لحد الأن ، هي حضارة اصيلة تتمثل فيما تركه العرب بالعدوة الاخرى من قصور شماء ورياض فيحاء وبساتين غناء وصناعات مختلفة وحقول مزدهرة ونظم معمارية لا تضاهي بالاضافة الى علم غزير وثقافة واسعة يمتاز اصحابها بالذوق المرهف والقدرة على الخلق والابتكار ...

ثم تدور عجلة التاريخ التي لا ترحم ، وتضعف شوكة المسلمين نتيجة انغماسهم في اللذات غير عابئين بما كان يحاك حولهم من دسائس ، واذا بهم يستغيثون باخوانهم المغاربة في اوائل القرن الحادي عشر علما منهم بأن المغاربة لا ينفكون ان يغيثوا من استجار بهم أينما كان شرط ان يكون ذلك من أجل تعزيز كلمة الله ودعم حركة الاسلام ، فلا يلبث يوسف بن تاشفين ، أمير دولة المرابطين ، أن يجتاز البوغاز مستجيبا لصرخة اخوانه بالعدوة الاخرى وقد تكالب عليهم المسيحيون.. وتكون معركة الزلاقة الشهيرة التي تم فيها سحق الجيوش النصرانية سنة 1086 على نحو ما نرويه لابنائنا في المدارس المعاهد والبيوت حين نميل الى ذكر مفاخر الأبناء والاجداد

ويكرر التاريخ نفسه فلا يثني المغاربة ما كانوا منصرفين اليه من الوان البناء والتشييد بهذا الجناح من الوطن الاسلامي عن تلبية نداء المسلمين مرة اخرى في الاندلس أيام الدولة الموحدية العتيدة التي امتد نفوذها اذ ذاك الى جبال البرانس في جنوب فرنسا وصحراء طرابلس الغرب من الجهة الشرقية ، هذا بغض الطرف عن جزر البحر الابيض المتوسط ، وكانت معارك ضارية بينهم وبين جيوش الاسبان ابلى فيها المغاربة بلاء حسنا خاصة في معركة الارك الشهيرة (1194) بقيادة الخليفة الهمام يعقوب المنصور ، الا ان نار الفتنة لم تخمد مع ذلك بالاندلس نتيجة تخاذل أمراء المسلمين والمسيحيون يتربصون فرصة الايقاع بهم وحملهم على الانسحاب من معظم الولايات التي بقيت بين ايديهم في انتظار اخراجهم جميعا من الجزيرة لا فرق بين ساكن ومتحرك ... ولم يغب عن المغاربة ما كان يجري من احداث خطيرة في الجزيرة يوم كان لدولة بني مرين في هذا البلد وللوطاسيين من أبناء عمومتهم من بعدهم شأن عظيم ، وتشاء الاقدار نتيجة تسلسل احداث التاريخ أن يعبر المغاربة مرة اخرى الى الاندلس هذا البلد الذي اختصه الله ببركة الرباط ورحمة الجهاد كما يقول القاضي أبو الحسن النباهي في فضل الجزيرة ، ادرك المسلمون اذ ذاك أن شبح الموت أصبح يدنو شيئا فشيئا من سكان الجزيرة المستضعفين ، ويشاء الله تعالى أن يمتد عمرهم بها مدة من الزمن على يد المغاربة المجاهدين لاعتقادهم أن بقاء الاسلام بالجزيرة دعم للكيان الاسلامي بالمغرب الاقصى وبقية دول المغرب العربي على السواء كما سيجري الحديث على ذلك فيما

بعد ، وهكذا لم يتأخر أمير المسلمين أبو الحسن المريني عن تلبية نداء سكان الجزيرة فعبر اليها في جيش عرمرم انتصر بفضله على النصارى في مدينة طريف انتصاراً لم يسبق له مثيل بعد معركة حامية الوطيس .

ترى وهل نذكر في هذا المقام محنة الامير عبد القادر الجزائري حينما تكالب عليه العدو وجعله في حالة اضطر معها الى مغادرة وطنه مستجيرا بسلطان المغرب الاقصى لمتابعة القتال ؟ فيضع السلطان مولاي عبد الرحمن ابنه على جيش قوي باسل يسخره لمساعدة الامير في معاودة قتال الجيوش الفرنسية على مقربة من وادي اسلي سنة 1844م ، ثم تكون الطامة الكبرى ، فتنهزم جيوش المغرب في سبيل تثبيت اقدام الامير الجزائري المستظل بلواء الجيش المغربي ؟... وهل نذكر الدعم والمساعدة اللذين قدمهما المغرب الاقصى ملكا وحكومة وشعبا بسخاء طيلة حرب التحرير الجزائرية مدة سبع سنوات ؟ وها هي حرب رمضان التي استعدت لها اسرائيل بجميع ما تملك من قوة وعتاد فكادت أن تباغث الجيوش العربية لولا أن تفطن الحسن الثاني حفظه الله لما كانت اسرائيل تحيكه في طي الخفاء ، فيقرر ارسال وحدات من الجيش المغربي الى مصر وسوريا دعما للقوات العربية ولسنا بحاجة الى التذكير بالخطة التي أدى بها الجيش المغربي الباسل ما عليه من واجبات دفاعا عن القضية الفلسطينية المقدسة ...

يستخلص مما سبق ذكره ان ملوك الدول المغربية المتعاقبين على هذا الجناح من الوطن العربي الكبير اقتنعوا منذ أن فتح الله صدرهم للاسلام ان لهم دورا طلائعيا يتعين عليهم القيام به في المغرب ، باعتباره نقطة ارتكاز ونقطة انطلاق نحو آفاق اخرى ان تحققت لديهم فلا بد أن تعينهم على مقاومة خطر المسيحية التي كانت تطل عليهم من وراء البحر الأبيض المتوسط فلهذا كانت جيوشهم على استعداد دائم لعبور المضيق رغبة منها في توسيع رقعة الاسلام وحفاظا على هذا الثغر من انسياب جيوش الأعداء اليه ، وهكذا استثبت قدمهم بالاندلس واتخذوها دار اقامتهم حتى أصبحوا مؤمنين بضرورة العمل على حماية تلك الممتلكات من تسرب النفوذ المسيحي اليها ، ولهذا فكروا في احداث عدة ثغور لحمايتها من خطر النصرانية كالثغر الادنى وكان يغطي اقليم مدينة سلامنكة ، والثغر الأوسط المتاخم لمدينة سالم ومدينة طليطلة ، والثغر الاعلى وهو الذي كانت تتحكم فيه سرا قسطة على الأخص ، هذه الثغور الثلاثة كانت بمثابة الجناح الوقائي من الوجهة العسكرية والدينية بالنسبة للاندلس نفسها كما أن الاندلس هي الاخرى كانت تعتبر جناحا وقائيا للمغرب الاقصى تحميه من تدخل جيوش العدو وتدرأ بالتالي خطر النصرانية عن اراضيه ولذلك لم يغفل المغاربة عن قضية الاندلس ولم تغمض لهم عين عما كان يجري بها من احداث من فجر التاريخ الاسلامي حتى عصر المرينيين وما بعدهم ، والواقع أن النصارى كانوا يعلمون أن العائق الاكبر الذي يعترض طريقهم نحو بقية الدول الافريقية ويعوقهم بالتالي عن تنصيرها كان يتمثل في المغرب صامدا كالطود الشامخ للدفاع عن العقيدة الاسلامية لتبقى صافية نقية ، والدليل على ذلك هو أن الدول المستعمرة ومن مشى في ركبها الفاشل في العصر الحاضر عملت كل ما في وسعها لتطويق المغرب الاقصى من جنوبه حتى لا يتسرب النفوذ المغربي الى بقية دول القارة الافريقية ، ويحمل معه اليها معالم حضارة اسلامية مغربية عريقة لا بد أن تستقر في نفوس الافارقة لانها تعتمد على العلم وتدعو الى السلام والاخاء ، وهكذا يظهر للعيان أن اقتصاص الصحراء المغربية من الوطن المغربي لم يعد أن يكون خطة مدبرة من طرف الدول المستعمرة لتوهم الدول الاخرى بعد احتلالها زمنا قد يقصر أو يطول لهذا الجزء من المغرب الاقصى أن الصحراء لم تكن مغربية قط ، وانها كانت أرضا خلاء

كما زعموا لا راعي لها ولا مالك ... الا ان صمود المغاربة في وجه كل من يحاول تشويه التاريخ وما أعربوا عنه من استعداد للتضحية في سبيل رد الامور الى نصا بها كل ذلك بالاضافة الى عبقرية ملكنا الهمام جلالة الحسن الثاني بما آتاه الله من حكمة وتبصر وما أظهره من دبلوماسية عريقة فذة ، جعل تلك الاحلام تذوب وتتبخر مع الرياح الاربع .

وهناك فائدة أخرى يفيدها المطالع الحصيف لكتب التاريخ هي استعداد الامة المغربية لاحتضان اخوانهم الاندلسيين كلما تكالب عليهم العدو وعجزوا عن الصمود في وجهه واستقبالهم بكرم واعتزاز في وطنهم الثاني ، مساعدين اياهم على الاستقرار في أي مدينة من مدن المغرب الاقصى الذي تجمعهم به وشائج الدين واللغة والمصير المشترك .

ولنا دليل على ما نقول فيما روى عن الحكم الاول بقرطبة حينما صدر منه الامر بعد ثورة الربض بترحيل عشرين الفا من سكان ضاحية المدينة الى خارج الاندلس فما كان من ادريس الاكبر رضي الله عنه وقد شرع في بناء مدينة فاس الا ان فتح صدره لاولائك المطرودين وأحلهم بعاصمته في حي من المدينة ما زال حتى اليوم يعرف بحي الاندلس ، وفي أواخر القرن الخامس عشر تفرقت كلمة المسلمين بالجزيرة بما أصبحوا عليه من التنافر والتخاذل مما أدى بهم احيانا الى التحالف مع المسيحيين بينما كان فرد يناند ملك قشتالة والملكة ايزابيلا يسعيان في توحيد الكلمة بين الكتل النصرانية المختلفة بشتى الوسائل حتى عن طريق الزواج رغبة في الاستيلاء على المدن التي بقيت بأيدي المسلمين وما فتيء المسيحيون يحتلون تلك المدن الواحدة بعد الاخرى حتى اذا حلت سنة 1492م اضطر المسلمون الى مغادرة آخر مدينة من مدن الاندلس ، يكون الفردوس المفقود في اتجاههم مرة اخرى الى المغرب الاقصى وبعض البلدان الاسلامية الاخرى ، وماكان من ولاة الامر في هذا البلد المسلم الامين الا ان استجابوا لعاطفة الاخوة الاسلامية يحاون اخوانهم على الرحب والسعة في المدن التي اختاروا الاقامة فيها عن رضى وطيب خاطر كالرباط وسلا وفاس وتطوان والشاون وطنجة ، الا ان طائفة من المسلمين فضلت البقاء بالاندلس رغم ما أصابها من العنت وسوء المعاملة لان الملك فرد يناند والملكة ايزابيلا اللذين جمعت بينهما عقدة الزواج كما جمعت بينهما العصبية النصرانية وكراهيتهما للاسلام اقسما أن يضمنا علانية لهؤلاء المسلمين الذين آثروا البقاء في الجزيرة السماح لهم بممارسة شعائرهم الدينية بكل اطمئنان كما اقسما على نفسيهما أنهما سيضمنان لهم حق التصرف في ممتلكاتهم، لكن مع الاسف الشديد لم يمر على ذلك العهد الا وقت قصير حتى تبدلت الاشياء غير الاشياء اذ بتدخل من ارباب الكنيسة سمح الملك لنفسه ان يحمل جماعة المسلمين على اعتناق المسيحية ، محرما عليهم التحدث باللغة العربية كما صدرت اليهم الاوامر أيضا بترك أبواب مساكنهم مفتوحة ليل نهار حتى يكون الحراس شهداء عليهم يستطيعون مراقبة الذين يتظاهرون منهم بالمسيحية بينما يقومون بالطقوس الاسلامية داخل بيوتهم... وهكذا عاشت تلك الطائفة من المسلمين التي أصبحت تعرف بالموركسيين عيشة شظف وعناء ، ومع ذلك لم تلبث الكنيسة بأمر من رئيسها الرهيب كسيمنيس ان شرعت في تعذيب هؤلاء المغتربين والتنكيل بهم حتى اذا بلغ بهم العذاب حدا لايطاق ، والمغرب يحاول ما استطاع اغاثتهم به وامدادهم بالمؤن والعتاد انفجروا كالبركان في ثورة عارمة ضارية لا تبقى ولا تذر دفاعا عن حقهم في الحياة ، فلم تزدد الكنيسة الا عنادا واصرارا على التنكيل بهم وأخيرا صدر قرار الكنيسة المنتظر بنفيهم عن الوطن الحبيب ، فاضطروا الى مغادرة أرض الجزيرة في مواكب محزنة مؤلمة باكية متوجهين الى جهات شتى

من المشرق والمغرب (1609)وقصد منهم عدد وافر بلاد المغرب الاقصى الذي اكرم مثواهم محتضنا اياهم كما فعل من قبل مع اخوانه الذين سبق ان نزلت بهم نكبة التغريب والتشريد في ظروف مماثلة في اواخر القرن الخامس عشر الميلادي ، ترى لم لم يوف الاسبان تلك العهود ولم يتمسكوا بالوعود التي ضربوا على أنفسهم ؟ الجواب هو ان بقاء مآت الآلاف من المورسكيين بالاندلس كان يعتبر في نظر رجال الكنيسة الاسبانيين استمرارا لسيطرة المسلمين على اقتصاد البلاد وامتداد النفوذ الديانة الاسلامية على طائفة كبرى من سكان الجزيرة، وبالتالي فهو اعتراف تفوق الحضارة الاسلامية براقة مشرقة في كل ميادين الحياة الاندلسية ، فكيف تستطيع المسيحية امام هذا الصمود ان تقوى على مقاومة الدين الاسلامي ومحو آثاره من الاندلس ثم الانتصار على اللغة العربية المعبرة عن حضارة العرب ممثلة في حياة اهل الاندلس العامة والخاصة ، واذا ما اضفنا الى ما سبق شعور المسيحيين بقدرة المسلمين على التزايد والتكاثر بسرعة تفوق تكاثر النصارى ادركنا ما كان يساورهم من خوف من استرداد المسلمين للسيطرة التي كانت لهم فيما سبق من الزمان نتيجة تفاعل هذه الاسباب التي تتصل بشؤون الدين والاقتصاد وتنظيم الاسرة في نفس الوقت.

ولم يتفطن النصارى الى الغلطة الكبرى التي ارتكبوها بتنصيب ديوان التحقيق ايام الملك فليب الثاني استعدادا لطرد المورسكيين بصورة نهائية من ارضهم التي صرفوا في تمصيرها وتحضيرها كل ما جادت به قرائحهم ذلك ان عرب الاندلس كانوا يكونون اللحمة الحية في مجتمع اندلسي نشيط منتج موهوب وكانت جماعة المورسكيين بالخصوص تتمثل في طبقات ثلاث : طبقة الاغنياء من ارباب الاملاك والاسهم التجارية الناجحة ، وطبقة المزارعين الذين اقبلوا على الاراضي يحيون مواتها ويختطون فيها البساتين والرياض ، يزرعون فيها من كل انواع المزروعات كالقطن وقصب السكر والازهار والحبوب على اختلافها كما بلغوا منزلة خاصة في طريقة جلب المياه الى المزارع والبساتين بواسطة نظام محكم ما يزال الاسبان يعملون به حتى اليوم، فلا غرابة أن جعلوا من الاندلس جنة على وجه الارض بما كانت تنتجه من الحبوب والقطنيات والحرير والارز والورق والجلود ، اما الطبقة الثالثة من هؤلاء المسلمين الذي صدر في حقهم الطرد عن وطنهم العزيز فان مهمتهم كانت الاشتغال بمختلف الصنائع والحرف وصنوف التجارة التي كانوا يعرفون كيف يدبرون دفتها بحكمة ونجاح .

فلما نزلت بهم تلك النكبة النكراء هجروا الى بلاد المغرب واستقروا بها وأثروها بما حملوا اليها من معرفة في مختلف الصنائع ودراية بأساليب التجارة مع اطلاع دقيق على كيفية ادارة الدواوين ، ومن الجائز أن نقول انه بحكم العلاقات التي سادت بين سكان العدوتين طيلة قرون وبخاصة اثناء ازدهار الحضارة الاسلامية في الاندلس والزيارات التي كانوا يتبادلونها من هذا الشط الى ذلك الشط الأخر وبالعكس انتقلت بصورة طبيعية وخاصة بعد ما نزحت جماعات المواطنين المورسكيين الى المغرب كثير من العادات الاندلسية فيما يتصل بنظام الحياة عموما وترتيب المعيشة كاتباع نمط خاص في المأكل والمشرب والملبس والاستمتاع بحياة البذخ والرفاهية متمثلة في اسلوب البناء وتنظيم الحفلات على نغمات الموسيقى الاندلسية الرقيقة ، وليس من شك في أن هذا كله أضفى على الحياة المغربية رونقا وبهجة وأغناها بهذا اللون الجديد من التفنن في العيش مما جعل المجتمع المغربي من أرقى المجتمعات الاسلامية في ذلك العصر .

وانتقل الى المغرب مع جملة النازحين عن الاندلس جماعة من الفقهاء وثلة من العلماء والكتاب والادباء

اغنوا البلاد ايضا بما حملوا اليها في صدورهم من ثقافة وعلم ، فازدهرت الخزائن المغربية بكتبهم وانتاجهم الادبي الرفيع مما اضفى على الكتابة العربية في المغرب ذلك الطابع الانيق في المفهوم وصيغة الكتابة .

وبالتالي يمكن القول أنه كلما تقدمت البلاد المغربية نظرا لهذا التلقيح الذي استفادت منه على طريق المورسكيين كلما انحطت الاندلس من جراء خروجهم منها ، ولم تلبث ان اصابها تدهور في الحياة الاقتصادية بوجه عام ، بل يمكن القول بأن اسبانيا اخذت في الانحطاط والتأخر منذ ان غادرتها جماعة المورسكيين ، وعليه فقد كان ترحيلهم من طرف الكنيسة بمثابة ضربة قاسية على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الاندلس بصورة عامة .

أجل لقد آمن المغرب ايمانا قويا ان الصراع دائم بين الاسلام والنصرانية على أرض الاندلس وان الجهاد في بلاد الاندلس امر لا مفر منه ما دام الصراع الذي كان يندلع بين النصارى والمسلمين صراعا دينيا صليبيا ، وهكذا كان من واجب المغرب الذي وجد نفسه في الواجهة بالنسبة لاوربا ان يقوم بحماية الثغور محافظة على حرمة الاسلام بما كان يعتقد من ان استسلام المسلمين هناك للعدو يعتبر لا محالة ثغرة في صفوف المسلمين بالمغرب ، ومنها يستطيع ان يتغلغل في البلاد الافريقية ليعمل على تنصيرها من اجل ذلك كان مخطط الجيوش النصرانية يرمي دائما الى اخراج المسلمين من الاندلس بغية استيلائها على المغرب وبالفعل فقد حاولت جيوش النصرانية في جموع صليبية منظمة شملت جنودا عرمرمة من البرتغال واسبانيا وفرنسا وايطاليا وانجلترا وغيرها من البلاد المسيحية إكتساح هذا البلد الامين في ايام الدولة السعدية ، مما أدى الى قيام معركة حامية الوطيس هي معركة وادي المخازن التي مكنت الجيش المغربي بقيادة بطله احمد المنصور من سحق الجيوش البرتغالية سحقا لم يسبق له مثيل ، فكانت الضربة القاسية التي لم تنهض بعدها بلاد البرتغال من كبوتها ، ومع ذلك فما أن تمكنت جيوش العدو من اخراج المسلمين من الاندلس حتى قفزت الى المغرب تحتل شواطئه بغية الاستيلاء عليه ، لكن المغرب الذي عرف ابناؤه بالبسالة والتضحية النادرة ضد المحتلين الغاشمين على اختلاف مشاربهم لم يخضع لهذا التكالب على اراض أجنبية عنهم ثم التفت نحو افريقيا السوداء يوجه لها البعثات ويزودها بالمرشدين والعلماء همه في ذلك كله تبليغ رسالة الاسلام وتحقيق علاقات وتعاون مثمر بين المغرب وشعوب القارة الافريقية في الميادين الدينية والثقافية والتجارية .

وهكذا راح المغاربة المتطوعون يؤسسون المعاهد العلمية عبر القارة الافريقية ويبنون الزوايا ويرشدون الناس الى الهدى ودين الحق ، لا يبغون من وراء ذلك جزاء ولا شكورا ، فلا غرابة أن ذاع صيتهم بين أبناء القارة الافريقية حتى نعتوهم بالمجاهدين في سبيل رب العالمين . معترفين بان دخولهم الاسلام طائعين كان الفضل فيه لابناء المغرب الاقصى .

ولسنا في حاجة الى التأكيد ان ملوك المغرب لم يولوا هذا الاهتمام للاقطار الافريقية رغبة في الاستيلاء عليها أو الانتفاع بخيراتها بقدر ما كانت رغبتهم تتجه الى توطيد دعائم الاسلام هناك حتى تكون افريقية كلها ، كما كانت الاندلس من قبل ، بمثابة الجناح الوقائي في الجنوب يحمي المغرب الاقصى عند الاقتضاء من كيد الكائدين ورد هجمات المعتدين ، ذلك أن الباحثين ممن يتحلون بالنزاهة وقول الحق يعلمون قبل غيرهم أن سكان المغرب الاقصى أولى المجد العريق والحضارة الاصيلة كانوا يهتمون على الدوام عند فتحهم الامصار بتمدين أهلها يعلمونهم العلم

ويرشدونهم الى الخير كما كانت همتهم تجري الى حثهم على مسالمة الغير طبقا لما جاءت به الدعوة المحمدية الكريمة محافظين على حرمة الاشخاص ، عاملين على تحقيق كل ما من شأنه أن يضمن لهم الاطمئنان المعنوي المنشـــود وسلامـــة المجتمع .

هكذا تصدى المغاربة الفاتحون الى حمل حضـــارة عريقة لمناطق شاسعة من الصحراء في افريقيا السوداء بما اختطوه هناك من مدن عامرة مزدهرة آهلة بسكانها لا يزال ذكرها ساريا لحد الآن كمدينة سمارة والعيـــون والداخلة والمجبس وغيرها من المراكز الثقافية والتجارية التي كان لها صيت وذكر في تاريخ المجموعة الافريقيـة منـــذ أقدم العصـــور .

يؤخذ اذن من كل ما سبق ان التاريخ الذي لا يكـذب يشهد بفضل المغاربة سكان هذا البلد الامين على بقية هذا الجناح الايسر من الوطن العربي الكبير بما حملوه اليهم في الشمال والجنوب من حضارة اسلامية رائعة اساسهـا العلم وغايتها تحقيق التقدم الانساني المنشود عن طريـق حرية الفكر وضمان حرمة الاشخاص .

المراجـــع :

1 ـ ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض طبعة القاهرة الجزء الاول 1939

2 ـ المعجزة المغربية لاحمد عسة طبعة دار العلـــم للطباعـــة بيروت 1975

3 ـ الاستقصاء لدول المغرب الاقصى للشيخ احمد خالد الناصري المطبعة المصريـــة

4 ـ الانيس المطرب بروض القرطاس المطبعة الوطنية الجزء الثاني عام 1936

5 ـ تاريخ اسبانيا المسلمة تأليف لي بروفانصـــال الجزء الاول مطبعة ميزونـــاف

انطلاقتنا الاجتماعية والاقتصادية ترمـــي الـــى خلق اشتراكية مغربية ، لا اشتراكية تأتـــى فى حقائب ، ولا اشتراكية تأتى فى صحف ، ولا اشتراكية نقرأها فى كتب دراســـة بكليـــات فى الخارج ، ولكن اشتراكية مغربية محضـــة ، تطابق اصولنا وأصالتنا .

جلالـــة الملك الحســـن الثـــانـــي :

مستقبل الصحراء
من خلال الماضي

للاستاذ
حسن السائح

للمغرب بيئة خاصة ، لم يركز المؤرخون ، ولا الجغرافيون على حقيقتها فجاءت استنتاجاتهم ضحلة فى الغالب ، غير نافذة ولا قادرة على تفسير عدة حركات تاريخية أو مظاهر جغرافية .. ذلك انهم يبدأون بالبحث عن الحدود قبل البحث عن المنطلق او نقطة البدء الداخلية للبلاد ، ومن هنا يعرضون على أنفسهم نتائج كانوا سببا فى اختبار مقدماتها ، تلك المقدمات التى تمليها اوليات علم الجغرافية فينقلوها حرفيا دون تمعن أو ترو ثم يعتمدونها كاساس للمنطلق العلمى ٠

ولهذا يرون أن البحر حد طبيعى ، وأن الصحراء كذلك حد من حدود البلاد ، وكأنهم يرون الحدود بمعنى العوازل والحواجز ، بينما الحدود لا تتجاوز مفهوم اصطلاحات فقط .. ولو أنهم انطلقوا فى فهم جغرافية المغرب من الوسط ، وهو جبل الاطلس الذى له امتداد شمالى يصل الى البحر وامتداد جنوبى يستمر فى الصحراء لسهل على الجميع أن يفهم ان الصحراء جزء من المغرب ، وانها امتداد جنوبى لا يختلف عن الامتداد الشمالى الذى يتاخم البحر ، ولكن البحر نفسه امتداد يشبه امتداد الجنوب وليست الصحارى سوى أحواض رملية بينما البحار أحواض مائية .. واذا كان الانسان فى الساحل يتلاءم مع بيئة البحر حيث يبنى الاساطيل ويستوطن الجزر ، فان انسان الصحراء يتلاءم مع بحار الرمال فيعبرها بالجمال ويستوطن الواحات ٠

واذا كانت الصحارى جزء من البيئة الجغرافية للبلاد ، ذات عيون متدفقة وانهار جارية واشجار باسقة ، فقد تغير المناخ وجفت الارض ، وضحلت الانهار فذوت الاشجار وشردت الحيوانات ولم يستطع الكائن الحى أن يثبت قدمه على أراضى الصحراء ٠

وهكذا يتحتم على الانسان أن يتلاءم مع البيئة الجغرافية الجديدة جسما وعقلا ووجدانا وسلوكا .. وفعلا أصبح هذا الانسان حاد البصر لان الحواجز لا تحول بحد نظرته وبين الامتداد الشاسع ، مرهف الحس ، قوى السمع ، وانعكس ذلك على وجدانه فصفا حسه ونبلت نفسه ٠ وطال تقطب وجهه فى السماء ، فماذا هو الانسان الشاعر الذى يستقطب

لهواجس النفسية ويصوغها شعـرا رقيقا ، متدفقا بالقوة والحياة ، وكما صفت نفسه ووجدانه استقام سلوكه فتحلى بالفضيلة وانتهج القيم الاخلاقية والمثل العليا .. فكانت الصحراء مهبط الالهام والشعر وموطن الكرامة والعـزة .

وتحلى الانسان الصحراوى بما يستلزم الكرامة والانفة من شجاعة ودفاع وكرم ونبل حتى اذا لم يجد فى الارض متسعا للفضائل .. كان شعاره : وفـى الارض منأى الكريم عن الاذى .

ولذلك عرف الهجرة سواء عند مـا تحـدى الجفاف ، فانطلق الى الجهات الغربيـة طلبا للعيش او عند ما يضايق فى دينه يهاجر الى ارض أخرى لينعم بطمأنينة الضمير والوجدان ، واذا كان الانسان القديم هاجر الصحراء لما ضاقت به وسائل العيش، فان العصر الحديث يفرض على الانسان البقـاء فى الصحراء ليتلاءم مع طبيعة التطور المعاصر .. واذا كانت الارض اجذبت ، فان تحت الرمال آبارا من الماء المتدفق من البترول الملتهب ، فالانسان اصبح يستطيع ان يتكيف مع البيئة الجديدة ، ويستخرج الثـروة الهائلة ليقيم الحياة الجديدة وفق شروط تلائم بيـن المعاصرة والثـروة .

فكيف يتلاءم الانسان المعاصر بين حياته الجديدة وبين الصحراء .. ؟

ان الانسان المعاصر اعتمد التقنية ليخرج نفسه من مرحلة التخلف الى مرحلة النماء والتطور . وقـد اعانت التقنية الحديثة انسان الصحراء على اكتشاف موارد الثروة الصحراوية المخزونة تحت الرمال ، وهذا ما يغير من وجهة حركة التاريخ القديم ، لان الآلـة اكتشفت المعـادن ، وآبـار البتـرول والغـاز والفوسفاط والمناجم المعدنية ، ولهذا اصبـح علـى الانسان المعاصر أن يطور العقل ليستطيع استخراج خيرات الارض ، وان يلائم بين الصحراء وقدراته ، لا أن يرحل عن الارض كما رحل اجداده من قبل .. حتى لا يذوب فى مجتمعات اخرى ، او تقاوم هذه المجتمعات تسربه كما جعل الرومانيون مـن مملكـة (غسان) دويلة عازلة تقف ضد تسرب الاعراب ، أو كما جعل الفارسيون من (اللخميين) دولة تقوم بنفس الدور .. ولا نناقش الاسباب العميقة لظهور اللخميين أو الغسانيين ، وانما نشير فقط الـى ظاهرة وجـود مثـل هذه الدولة ودورها الحضارى بالنسبة لسكان الصحراء لجيرانهم والشىء الذى لا شك فيه أن (البترول) يغير العلاقة الاولى للانسان مع الارض ويعطى توازنا جديدا قوامه الاستقرار والاستفادة من التطور التقنى الى ابعد الحدود .. واذا كان مـن خصائص انسان الصحراء انشاؤه لحضارة يصفهـا (توينبى) بالحضارة المنطلقة اى التى لم تنطو ولم تنته ، وانما ظلت تدور حول نفسها فى حلقة زمنية ، فلا هى تطورت ولا هى انتهت ومن اجل ذلك ظل انسان الصحـراء يحدد نشاطه بالسنـة ، فيبـدأ اولا بانتظار الغيث وينهى سنته بالحصاد ، ومـن البداية الى النهاية تتجلى جهوده الفكرية والوجدانية، فهو صارم بحرث الارض او يبحث عن مكان للرعـى وهو متطلع للسماء ينسجم معها فى صوفية ملهمة ، فكان من اجل ذلك انسان القيم والاخلاق والصرامة ، وانسان الشعر والفن .

وضمن هذه المعطيات البيئية ظهـرت حضارة الصحراء التى ترتكز على الوحدة القبلية والزعامـة الروحية والعلاقة المتينـة بين السماء والارض ، وتلاحم الانسان بالعلاقات الوجدانية والعاطفية اكثـر مـن تلاحمه بالعلاقات الاقتصادية .

ثم تطورت الحضارة الصحراوية الـى حضارة تمد الانسانية برصيدها وذخرها الروحى لقـد تلاءم انسان الصحراء القديم ، مع بيئة الرمال ، الواحات كما لجأ الى الهجرة والتسرب فى التخوم حين يعجز عن الملاءمة ولاجل ذلك عرف اقتصادا متواضعا يعتمد على الزراعة البسيطة التى يرى توينبى أنها ربطته بالدورة السنوية ، كما عرف تجارة فيما تمده بـه اشجار النخيل من ثمار .. وما ينقل من بضاعة عبر الرمال ، لانه هو ملاح الصحراء كما أن السفن تمخر البحار معتمدة على قيادة رجال البحر .. وما اكثر الشبه بين الواحة وضواحيها ، والجزيرة والسفـن العائمة المتجولة بجانبها .

وقد حاول انسان الصحراء أن يتجاوز الحيـاة فى المدينة ، والذين شيدوا مدينة (اسمارة) يعبرون عن تحقيق مرحلة تناسب واقع اقتصادى اجتماعى ،

للملاءمة بين القرية الكبيرة التى استحالت الى مدينة والقبائل المستقلة النامية التى استحالت إلى بادية . ليقع الحوار بين المدينة والضاحية ، والحضر والبدو، بين تصنع المادة الخام فى المدينة ، واستهلاكها فى المدينة والبادية معا ، وحتى يتم التـوازن الاقتصادى بين البادية والحاضرة ، واخيرا بين الحضر والمدينـة ، والمجتمع المستقر بصفة عامة .

لقد كان المغرب دوما نهاية المد الثقافى ، وبداية الارتياد من جديد ، ومن ذلك محاولة المصريين الفراعنة لعبور المحيط الاطلسى عن طريق المغرب والسفـن الشراعية البريدية الى امريكا كما تؤكد ذلك تجربـة المغامر السويدى المعاصر ، ولا يستبعـد ان يكـون المغاربة قبل ذلك عرفوا هذا العالم بدليل وجود عناصر قبلية من مطماطية ذكرها المؤرخون القدماء . وهكـذا كان المغرب معبر الحضارة الفرعونية الى امريكا .. كما يذكر المؤرخون هجرة العرب الحميريين من اليمن الى مصر ، ومنها الى افريقيا الشمالية مستدلين بذلك على وحدة العنصر البربرى والعنصر العربـى ذى الاصل الواحد من العرب العاربة .

لقد جعل الرومانيون من خط (الليمس) Limus حدا فاصلا بين المغرب الرومانى ، أو المزرعة الكبرى، كما كانوا يسمونها وبين باقى البلاد المغربية ، وجاء الجمل سفينة الصحراء ليحمل الصنهاجيين والزناتيين الى داخل الصحـراء .. واستفـاد المتوغلـون فى الصحارى من المناطق الرعوية البدائية أو الواحات .. وحقق الانسان الصحراوى مرحلة اجتماعية واقتصادية وسياسية حفظ بها توازن الانسان وبيئة الصحـراء وتوازن افريقيا الشمالية وما وراء الصحـراء الـى الجنوب ، فعمل على تطور الفلاحـة فى الواحـات واراضى الرعى ، ونقل التجارة بين افريقيا الشمالية وافريقيا السمراء .

وجاء العرب الفاتحون الى افريقيا الشماليـة لينشروا الاسلام ويوحدوا الشعوب فعبـروا الـى الاندلس عن طريق المغرب ، والى افريقيا السمراء عن طريق المغرب ايضا .. ولا شك ان هذا المعبـر كان سهلا على الفاتحين العـرب لوحـدة البيئـة الجغرافية والبشرية .. وكما جاء الفاتحون العـرب عن هذا الطريق كلما ضاقت بهم البلاد الشرقية لاسباب سياسية ومذهبية حيث نرى الامويين يتوجهون الـى الاندلس عبر المغرب والادارسة بعد ذلك ليستقـروا فى وليلى وبنى هلال يدخلون المغرب فى عهد الموحدين ،، ثم نرى امتدادا آخر الى افريقيا الوسطى عن طريق الحبشة التى هاجر اليها الازديون بعد انتصار الحجاج الثقفى فاستقروا بالزنجبار ، وهكذا وصلت الثقافة الاسلامية الى مجاهل افريقيا عن هذين الطريقين .. لقد كان التفاعل بين الاجناس فى هذه المنطقة عظيما فانصهرت فى وحدة حضارية ، مما سهل على الفنيقيين الاستقرار الحضاري فى المغرب ، بل ان علماء الاجناس البشرية يرون أن اقباط مصر وهم سكانها القدماء ، ينتمون الى العنصر البربرى ، وان البربر تركوا اليمن واستقروا بوادى النيل وسواحل البحـر الاحمـر والصومال والحبشة ثم انتشروا فى افريقيا الشمالية ويعتبر منهم التوارك ، والشاوية (فى الاصل رعـاة الشـاه) .

وكان لهؤلاء جميعا خط قديم فينيقى وحضارة سامية انتشرت فى افريقيا الشمالية وامتدت الـى تخوم افريقيا السوداء وبقى اثرها بارزا فى الطقوس الكهنوتية ، والزواج والدمـى والـرقص والـرسم والفلكلـور .

أما دور المغرب فى هذه الاتصالات فان موقعه الجغرافى جعله مدا للامتداد ومرحلة للصهر والتلاقح فسكان افريقيا السمراء عبروا منه الى أوربا كما عبر هؤلاء اليها عن طريقه ، فلا غرابة ان تعج آسيا واوربا بالرجال السود والسوداوات وان تجد فيها بعد الرجل الابيض يتجول متاجرا ومقيما فى مجاهل افريقيـا ،

ومن المغرب تطورت حضارة التوارك الذيـن يسمون أنفسهم (بموشاك) اى الحر الشريف كمـا يسمى البربر (أمازيغ) أى الاحرار .. ورغـم ان الفتيشتية الوثنية ظلت فى افريقيا فان التوحيد السامى اثر فيها ، فلم تكن فى وثنية متعددة الآلهة كاليونان ، أو متعددة الصور كالبوذية ، فهى وثنية بسيطة تكاد أن تكون نوعا من الوثنية العربية القديمة ، وتدفـق الهجرات لاسباب كثيرة جعل سكان افريقيا الشمالية الغربية من السودانيين والمغاربة وزنوج البـانتـو (أى الكفرة) المنتشرين فى حوض (الكونغو) والذين وصل بعضهم فى القديم الى جنوب افريقيا وتسموا

(بالزولو) ووصل آخرون منهم الى ساحل البحر الهندى .. اما سكان افريقيا الشرقية فهم من زنوج المسائى وزنوج (البانتو) ومن السوحليين المنحدرين من العرب والزنوج وقد كانت العلاقات قوية بين آسيا وافريقيا قديما .. ويتحدث الرومانى (بليا) الذى عاش فى القرن الاول للميلاد يتحدث عن عرب اليمن وتجارتهم فى الحبشة وسواحل افريقيا الشرقية ، وبطليموس اليونانى يتكلم عن وصول العرب الى ساحل (موزمبيك) للتاجرة فى العاج والطيوب والتوابل والمعادن كالذهب والفضة .

كما يتحدث هيرودت عن الصحراء فيقول عنها (اشرت الى الليبيين البدو الذين يسكنون على طول شاطىء البحر وفوقهم وفى داخل البلاد توجد ليبيا ذات الحيوانات المتوحشة وفوق هذه المنطقة يقوم مرتفع رملى يمتد من طيبة فى مصر حتى اعمدة هرقل وفوق هذا المرتفع نحو الجنوب وداخل ليبيا فان البلاد صحراء بدون ماء وبدون حيوانات وبدون امطار وبدون أعشاب ومحرومة من أية رطوبة) .

وجاء الاسلام الذى اوقد الجذوة العربية فالهب جذوة الفكر المغربى بكل عناصره المتساكنة به .. وقد كان عقبة بن نافع اول فاتح وصل الى جنوب المغرب حيث انتهى الى (تاكلاتين) قرب السودان ، واسلم كثير من سكانه ، ويعنون بالسودان سواد البشرة) .

ويرى برث Berth المؤرخ الانجليزى أن عقبة فتح التكرور وغانة معتمدا رواية اسلامية تتكلم عن وجود جالية اسلامية فى العقد السادس من الهجرة ، وربما اخطأ فى زعمه لان غانة تقع فى القديم على نهر النيجر قرب السينغال الذى كان امتدادا لقبيلة صنهاجة المشتق منها اسم السينغال .. والواقع ان من الصعب تحديد الخط الذى وصل اليه عقبة ، لان السودان كان يمتد فى الشمال الى (وادى النون) كما تمتد قبائل صنهاجة وكدالة الى الجنوب .. فلا يبعد ان يلتبس وادى النون بوادى النيجر عند الفاتحين الاولين كما يرى ذلك بعض المؤرخين .. ثم جاءت دولة لمتونة لنرى الامير (ترلوتان) كما عند ابن الخطيب فى (أعلام الاعلام) أو (ترلوتا) كما فى العبر او (يتلوتان) كما فى القرطاس ، وهو امير لمتونى دان لـه ملوك السودان ، واتاه أزيد من عشرين ملكا ، وكان يركب فى مائة الف نجيب وتوفى سنة 222 ثم جاء حفيده (بالتو) بن معى بن فيولوتان بن تيكان الصنهاجى ، ثم بعده تلين بن تلين . ثم محمد ابن نيفات اللمطى ، وقد استشهد فى السودان ، ثم جاء الامير يحيى الكدالى ، ثم دولة ابى بكر بن عمر ابن تلاكاكين وعبد الله ابن ياسين الذى كان رباطه فى السينغال قرب النيجر (بسان لوى) . الا يدل كل هذا على الاستمرار فى التبادل البشرى والثقافى بين المغرب والقارة السمراء ..

فمنذ عقبة بن نافع الذى فتح افريقيا الشمالية الى السنغال ، ومنذ عبد الرحمن بن حبيب الذى حفر الآبار فى الواحات من الصحراء الى موريطانيا كما فى القرطاس ، الى تمركز اللمتونيين فى (اضرار) والمسوفيين والكداليين فى (النيجر) الى هجرة اللمتونيين الى غانة التى تعتبر اقدم مملكة زنجية فى التاريخ القديم .. ولا شك ان التبادل الاقتصادى طور من الصلات بين المغرب وافريقيا على الصعيد المعمارى فبنيت عدة قرى فى الواحات وشيدت منازل من الطابية والخشب ، وتلك بداية الاستقرار فى هذه المناطق ، وتوحدت الطوتمة بين قبائل المغرب الجنوبية وافريقيا الوسطى ، كما تقاربت الانغام الموسيقية والرقص والعادات والاطعمة والزى ، وأصبح بحق ما يقوله مؤلف الاستبصار وهو مؤرخ مغربى قديم يرجع الى القرن الخامس الهجرى . (وكلمة التوحيد والهدايا متصلة من طرابلس الى مدينة غانة) .

ولقد اهتم المؤرخون العرب بالجانب الاقتصادى والاجتماعى ، وبعلم الانطولوجى ، وكتب عن هذا الموضوع عن افريقيا السمراء المتاخمة ، وللمغرب كل من حوقل والبكرى ، والادريسى والحموى والعمرى وابن خلدون بالاضافة الى ملاحظات اجتماعية صحفية بالمعنى المعاصر دونها ابن بطوطة وليون الافريقى ، وكذلك المؤرخون الافارقة كمحمد الكوتى النيجيرى مؤلف تاريخ السودان وتذكرة النسيان لمؤلف مجهول ، والسعدى فى تاريخ السودان ، بالاضافة الى مصادر برتغالية واسبانية وهولندية وانجليزية لا يسلم بعضها من تعصب وتحيز ..

وتعتبر حضارة افريقيا الغربية والوسطى مزيجا من الحضارة البربرية التى وصلت عن طريق المغرب ،

والعربية عن طريق الحبشة وزنجبار . مما يكون حضارة (زنجية) بأبعادها الحضارية لا العنصرية .

ولقد توغل الملثمون فى افريقيا الوسطى فقضوا على ممالك غانة فى عهد (تيولوتان) كما فى ابن خلدون (ج 6 — ص 181) . وكانت حدود غانة من (ادرار) وبلاد انكرود (وهى السنغال) كما تمتد كذلك من نهر النيجر الى مدينة (اركى) ومن عواصمها القديمة غادريار ، ودياريس وسلا وغير ذلك من العواصم ،، وقد وقف شعب (صوصو) المقيم بجنوب غانة فى وجههم ثم سهلوا لهم الدخول الى اودغشت فى الصحراء الكبرى . وبذلك حمل الملثمون الرسالة الثقافية المغربية الى دلتا نهر السينغال والنيجر وصنغاى وكان عهد يوسف بن تاشفين عصر القضاء على الوثنية بين زنوج افريقيا . وهكذا أسلمت غانة كلها . وفى ديوان ابى الربيع سليمان الموحدى عامل تافيلالت رسالة الى ملك غانة فى موضوعات اقتصادية اما مملكة صنغاى فكان اسلامها فى عهد زاكسى الذى اسلم سنة 400 هجرية .

كما انتشر الاسلام بمالى فى عهد كونكو موسى او منسى موسى وفى عهد سعيد منسى سليمان من سلالة سونديانا الذى كان من المثقفين الواعين والذى ضمت مملكته ما يقرب من أربعين مركزا حضريا وقرويا ، وقد حج واشتهر اسمه فى الشرق وصحبه فى عودته الشاعر الاندلسى ابراهيم الساحلى .

وكانت لكونكو موسى صلة بأبى حسن المرينى ، حين هناه مع هدايا نفيسة ، فرد الهدية بأحسن منها، ولكن الوفد وجده قد مات ، وخلفه ابنه ، ثم أخوه سليمان الذى مات ابو الحسن فى عهده وصلى عليه صلاة الغائب .. وفى هذا العهد وصل ابن بطوطة الى افريقيا الغربية ويحدثنا فى رحلته من اعلام مغربية وتقاليد واعراف واحكام اسلامية وابن بطوطة تجول فى مالى وغانا وغينيا ملاحظا انتشار الاسلام فى هذا الجزء من افريقيا كما لاحظ أن سكان بوالاتين لا يحبون الجنس الابيض ، وتعرف على قاض من دكالة وتاجر من سلا ، وعلى جماعة من الاباضيين فى مدينة (اغرى) .. وتكلم ابن بطوطة عن انتشار العدل والامن كما تكلم عن سلطان تكد البربرى .

وبعد ابن بطوطة نقرأ وصف ليون الافريقى (لتمبكتو) وحضارتها العلمية والاقتصادية . ثم جاء عصر المنصور السعدى لنجد السعديين يستولون على عدة عواصم فى صنغاى .

وقد بدأ الخلاف بين المنصور وهؤلاء يوم طالب السعديون سكيا بن اسحاق بمعدن تغازى وضريبة عن بيع (الملح) ونظرا لامتناعه تقدم السعديون لمحاربته معتمدين الاسلحة الجديدة والاستعانة بالجمل للسير اليهم عبر الصحراء ، ولعل هزيمة المسلمين فى الاندلس ومحاولة البرتغال الاستيلاء على الساحل الافريقى للوصول الى (الرجاء الصالح) مما قوى عزيمة المنصور لغزو هذه الاقطار حتى يستطيع الجيش الاندلسى بقيادة جوذر ان يحصل على الذهب ليعزز اسطول الجهاد ، ورغم معارضة علماء المغرب والمقاومة الفقهية للفقيه احمد بابا السودانى ، فقد تقدم المغرب فى غزو افريقيا ونجح فى ذلك فحطم اطماع البرتغاليين الى حين .. وهذا ما اضعف هذه الممالك وزاد فى ضعف مالى استغلال (صنغاى) وغزو البرتغال لمالى كما أسس الملك (أوكاغو) مملكة سونى مستوليا على تمبكتو والتوارك واستمر ذلك الى عهد (بامارا) ، وترجع هذه الدولة الى القرن السابع الميلادى حيث حكمها افراد من اسرة (دجة) وهم من اصل عربى ومنهم الملك (كونكو موسى) و(على كوليس) المعروف بابن على ، ثم حكمها فى اواخر عصورها محمد تورى ، الذى كان أعظم منظم لهذه المملكة فى اطار اسلامى ، وازدهرت فى عصره ازدهارا عظيما وبالاخص تمبكتو ، وكاغو وجيش .

وقد نظم السلطان سيكا الدراسة فى عهده حيث كان بتمكتو عدة مدارس اسلامية وحج واتصل بالامام السيوطى ، وكانت تحد مملكته بساحل العاج جنوبا وشمالا ، وبنيجريا شرقا ، وتشمل قسما من الصحراء ومالى والسنغال وسيراليون وفوتا العليا .

ورغم قوة المستعمرين الذين جعلوا من الكنيسة وسيلة لمحاربة الاسلام فى افريقيا ، فقد ظل الزحف الاسلامى مستمرا ، وعند ما عجزت الكنيسة تبنت اساليب الاسلام ، فرتلت الانجيل على نهج الهمزية والبردة وصلت على النبى (عيسى) على الطريقة

الاسلامية ، بل ان بعض القسيسين خطب للمسيح على المنبر الاسلامى فى المسجد بمدينة (كابرال) بموزمبيق اظهارا لوحدة الدين ·

امـا الاسلام فلم ينتشر الا بثقافتـه الانسانيـة وعدائـه العنصريـة اللونية والزنجية وتقدير الزنجى للجنس العربى وتقدير المسلمين لبـلال الحبشى .. وكان المسجد بيت الاستقرار الروحى للافريقى بعكس اليويو والكنيسة والبيعة والهيكل ·



مؤرخو الشرفاء 6

مؤرخو الدولة العلوية حتى حكم مولاي الحسن.

تاليف الاستاذ
ليفي بروفنصال
تعريب الاستاذ
عبد القادر الخلادي

ان عدد المؤرخين الذين اهتموا بتدوين أخبار الدولة العلوية وخصوصا اولئك الذين لازالت مؤلفاتهم متداولة بالمغرب ، يكاد لا يتجاوز عدد مؤرخي الدولة السعدية ، وفي هذا ما يدعو ، في اول وهلة ، للاستغراب .

نعم فاننا كنا نتوقع ان يتيسر أكثر فأكثر الوصول الى الوثائق التاريخية . ويزداد عدد المشتغلين بدراستها كلما كانت تتعلق بفترات تاريخية أشد قربا من عصرنا ، وذلك بالطبع نظراً لقلة اسباب تعرضها للتلف او الاهمال .

اننا نعثر ، من آن لأخر على اضبارات من تلك الوثائق قد اعتنى ، لحسن الحظ ، بعض العلماء المغاربة ، بحفظها ولكن تأكد لدينا ان كتب التاريخ . وحتى التي تهم اخبار العقود الاخيرة من القرن الرابع عشر الهجري . قليلة جدا

الظاهر ان عدد تلك الكتب لا يتجاوز عدد اصابع اليد الواحدة . ويؤيد هذا الرأي قلة اسماء التواريخ الخاصة بالدولة العلوية ، ضمن المراجع التي اعتمدها المحدثون من المؤرخين المغاربة ، واوردوا لوائحها في مؤلفاتهم

راينا ان الافراني كان اول من سجل أخبار السلاطين الثلاثة الاولين الذين تم على أيديهم تأسيس الدولة العلوية ، وتوطيد اركانها . وثبت لدينا انه لم يظهر بعده كاتب اعتنى بوصف احوال تلك الاسرة المالكة ، الا في اواخر القرن الثاني عشر الهجري (1786م) . ولا شك ان الاضطرابات التي سادت المغرب اثر وفاة المولى اسماعيل والى عهد حفيده سيدي محمد بن عبد الله ، هي التي جعلت المؤرخين يرغبون عن وصف ما اكتنف تلك الفترة من هرج ومحن . ومن شغب وفساد .

ومهما يكن من امر فاننا لا نجد فيما بين اوائل القرن الثامن عشر وأواخر القرن التاسع عشر الميلاديين سوى مؤرخين اثنين عاصرا القسم الاكبر من الاحداث التي

تكلما عنها ، وهما ابو القاسم الزياني ومحمد أكنسوس ، وكان كلاهما بربري الاصل ، مثل الافراني ، ومرتبطا بالحكومة اي على علم بالامور العامة والشؤون السياسية

ويمكن ان نضيف الى الكتب التي ألفها هذان المؤرخان عن الاحداث المغربية الى عهد مولاي الحسن ، كتابين آخرين ، أحدهما مختصر ومجهول مؤلفه وثانيهما مؤلف لمحمد الضعيف ، وهو لا يخلو من همز ولمز

الوزير ابو القاسم الزياني

ان الزياني الوزير المؤرخ يكاد يكون مجهولا اليوم بالمغرب(1) الاقصى . فكتبه لم يطبع منها ولو واحد ، بالمطبعة الحجرية الفاسية ، ولا يوجد الا عدد قليل من نسخها المخطوطة ، كما ان صاحب سلوة الانفاس لم جخصص فيها لترجمته، الا أسطرا لا تسمن ولا تغني من جوع .(2)

ان الادباء المهتمين حاليا بالدراسات التاريخية لا يولونه اي اعتبار ، بل منهم من يصرح بانه سفيه ، وقد سبق لمعاصره اكنسوس ان وصمه ، عدة مرات ، في كتابه "الجيش العرمرم" بالجهل والغباوة (3)

والحقيقة ان الزياني كان يمتاز عن العلماء المعاصرين له بسعة الثقافة وبالصراحة ، لا يتكلف التصنع في احكامه ولا يربأ بنفسه ، في بعض الاحيان ، عن استعمال الحوشي من الالفاظ في اقواله .

هو ابو القاسم بن احمد بن علي بن ابراهيم الزياني ، المولود بفاس سنة 1147هـ (1734/1735م) ، ينتسب الى قبيلة زيان من اهل الاطلس المتوسط .

كان جده ، الفقيه النسابة علي بن ابراهيم ، يسكن بزاوية اوكو قرب ادخسان، وقد نقله الى مدينة مكناس، السلطان مولاي اسماعيل ، عند عودته من زيان ، سنة 1100هـ (1689م) واتخذه اماما لصلاته

لما توفي علي انتقل ولده ، أحمد ، الى فاس فاستوطنها وولد له بها ابو القاسم

أخبرنا الزياني عن جده انه «رفع نسبه الى أبي القبيلة "زيان" ومنه للجد ، مالو الصنهاجي ، ومن مالو رفعه الى اليسع الذي اسلم ، على ما في تاريخ سليمان بن سابق المطماطي نسابة البربر ، في عهد الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان» (القرن الثامن الميلادي)

نشأ ابو القاسم بفاس وبها حفظ القرآن واشتغل بطلب العلم بجامع القرويين ، وجامع الاندلس ، ومدرستي الصهريج والعطارين ، على شيوخها أحمد بن الطاهر الشرقي ومحمد بن الطيب القادري ، وعبد القادر

---

1) لا ننس ان المؤلف قال هذا سنة 1922هـ. اما اليوم فان مؤلفات الزياني تعتبر من التراث الثقافي الواجب احياؤه (المعرب)

2) ذكر المؤلف في هذا التعليق المراجع المغربية التي فيها ترجمة الزياني ، واهمها سلوة الانفاس والاستقصاء كما ذكر كتب الزياني التي ترجمت الى لغة غربية، ومنها الترجمان والبستان والرحلة وبين ان اكثر المترجمين صدروا كتبهم بفصول عن حياة الزياني .

وذكر المؤلف ايضا ان هوداس نشر الترجمان ونقله الى اللغة الفرنسية معتمدا على نسختين مخطوطتين احداهما من تلمسان والاخرى من وهران .

3) لقد اعتنى الاستاذ عبد الله كنون ، في جزء من سلسلة "ذكريات مشاهير رجال المغرب" بتلطيف ما وجه للزياني من انتقادات مرة مبينا ما لمؤلفاته من مزايا قيمة وملتمسا الاعذار لما كان له من هفوات واسفاف. (المعرب)

بوخريص(4) ومحمد بناني(5) ، وبوجه خاص ، على الفقيه الجليل أبي حفص عمر الفاسي المتوفي بفاس في 29 رجب 1188هـ والذي كان من جملة تلامذته طائفة من العلماء المشهورين ، مثل عبد السلام الحسين والعربي القسنطيني ومحمد سحنون والوليد العراقي ويحي الشفشاوني (6) ومحمد الهواري(7) ومحمد بن عبد السلام الفاسي(8)

عندما اتم ابو القاسم دراسته ، وكان في الثالثة والعشرين من عمره (سنة 1169هـ/1785م) عزم والده على الارتحال الى الديار المقدسة، قصد تأدية الحج ، والاستقرار نهائيا ، في المدينة المنورة ، اذ ضاقت نفسه بتوالي الفتن واضطراب الامن في المغرب ، منذ وفاة مولاي اسماعيل ، فباع دارين كانتا له بفاس ، ومكتبته، واتجه وزوجته ووحيدهما ، مؤرخنا الزياني ، نحو القاهرة ، لينضموا الى ركب الحجاج المصريين المتجهين برا نحو مكة المكرمة ، الا ان /هناك، اشار بعضهم على والده بركوب البحر لكونه اقرب مسافة واقل مشقة : فاشترى بما كان لهم من مال سلعة ، واكترى ابلا لحملها الى مرسى السويس ، ومن ثمة ابحروا نحو الينبع ولكن "تكسر المركب ، وضاعت السلعة ، وتلفت الاسباب ، فحمدوا الله على عتق رقابهم . وكانت هذه هي اولى النكبات السبع التي أصابت ابا القاسم خلال حياته، واثرت فيها عظيم التأثير ، كما يخبرنا بذالك هو نفسه في وصفه لهذه الرحلة .

«في الينبع أخرجت والدته من حزامها 300 دينار كانت عدتها لحادث الدهر ان ألم بها ولم يكن للأب ولا للإبن علم بصريحها ولا بابهامها » ، فأكتروا منها مطايا لجدة ومكة ، حتى أدوا الحج وأتموا العمرة ، وبعد الفراغ من مناسك الحج ونوافله ، سافروا مع الركب المصري إلى المدينة المنورة بقصد الزيارة فقط لاالمجاورة لانها ، مع ذهاب البضاعة وقلة ذات اليد واليسارة ، أصبحت مستحيلة ، فرجعوا إلى مصر على طريق البر ، حيث باعوا بعض الاسباب كانوا تركوها بها ، واستعدوا للرجوع إلى المغرب إذ بلغهم خبر وفاة السلطان مولاي عبد الله ، وبيعة ابنه سيدي محمد » (9)

لم يتسن لابي القاسم ، خلال إقامة أسرته بالقاهرة التردد إلى مجالس العلم «ولكنه حصل هناك ، في بيت صاحبهم الذي كان نزولهم عنده ، مسائل من علم الرمل والسيميا ، وخواص المعادن وما ينشأ عنها من الاسرار والعجائب التي يبلغ بها المرء أعلى المراتب»

---

4) ابو محمد عبد القادر بن العربي بوخريص ، ولد حوالي سنة 1118هـ وتوفي بفاس سنة 1188هـ، ولي القضاء بفاس ثلاثين سنة الى أن عزله السلطان سيدي محمد بن عبد الله (عن السلوة ج2 ص 12)

5) محمد بن الحاج الحسن بن مسعود بناني ، ولد سنة 1133هـ ، تولى الافتاء والامامة والخطابة، اشتهر بحاشيته على شرح الزرقاني لمختصر خليل، توفي بفاس سنة 1194هـ .

6) ابو زكريا يحي بن المهدي الشفشاوني ، الشريف الادريسي والعالم المبارك ، تولى الامامة والخطابة بالضريح الادريسي ، مدة ثلاثين سنة توفي سنة 1228 او 1229هـ (عن السلوة ج . 1 ص 95)

7) انظر السلوة ج 1 ص 308

8) انظر السلوة ج 2 ص 318

9) استفدت في تعريب هذه الترجمة مما ورد في كتاب «الترجمانة الكبرى» (ط. وزارة الانباء سنة 1967) وقد اخبرنا المؤلف أنه استفاد من نسخة من كتاب «الترجمانة» كان أعارها إياه الفقيه إبن على الدكالي القاطن بسلا، ومن نسخة أخرى كان وجدها في خزانة السيد محمد بن عبد الله المراكشي الكاتب يومئذ بوزارة المعارف . (انظر ص 143 من المؤلف . تعليق (2)

كان مر على خروجهم من فاس أكثر من سنتين ولما عزموا على الابحار وجدوا المراكب معطلة نظرا لنشاط القرصان في عرض البحر وللحرب التي كانت قائمة بين اسبانيا وفرنسا وبين الانجليز (المسماة حرب السبع سنوات)، وأخيراً ركبوا في مركب للفرنسيين قاصداً ليفورن (Livourne) حيث أقاموا أربعة أشهر، ثم قصدوا براً مرسيليا ومنها برسلونة حيث علموا أن الفرنسيين كانوا محاصرين لجبل طارق . . وبعد أن رفع الحصار عن ذالك المرسى توجهوا اليه ، ومنه الى تطوان ومنه الى فاس ، فدخلوها ولبس معهم .."الا سبعة مثاقيل بقيت من البضاعة"

لما استراحوا من السفر عاد ابو القاسم الى القراءة كما كان ، ثم سأل عن رفقائه في الانس والطلب فوجد اكثرهم تعلق بخدمة السلطان سيدي محمد بن عبد الله لما بويع فتاقت نفسه الى اللحاق بهم ، وتعلقت همته بخدمة السلطان . فنهاه ابوه عنها و "شرح له حالها ومآلها فلم ينفعه نهيه . ولم يرده انذاره وهديه" وهكذا اصبح مترجمنا كاتبا في البلاط العلوي

لاشك ان ابا القاسم بقي ، اول عهده بالبلاط ، خاملا مغمورا ، وان ما ادركه خلال رحلته من معلومات وخبرات جعله عرضة لكثير من الوان الحسد وضروب السعايات ، الا ان السلطان سيدي محمد بن عبد الله لم يلبث ان اسند اليه مراقبة ما يجري من الاحداث في المناطق الوسطى من المغرب وذالك لكون الزياني كان يفهم اللهجة البربرية. (10) ولكن لما شق آيت ومالو عصا الطاعة سنة 1187هـ (1773م) وردوا القائد ابا القاسم الزموري ، اضطر السلطان ، بعد ابعاد الزياني وتهديده بالقتل ، الى الخروج بنفسه لتأديب القبيلة الثائرة، فأشار عليه الزموري بأن يقسم جيشه اثلاثا وعين لكل ثلث مكانا يرابط فيه. فانتهز الزياني تلك الفرصة ليبيّن للسلطان ان الزموري يجهل كل شيء على المنطقة التي تحت تصرفه ، وأن اشارته تعرض السلطان وجيشه للهزيمة فلم يسع السلطان الا ان عهد اليه انقاذ الموقف باستخدام جاهه عند تلك القبائل ، فما عتمت ان القت السلاح ودخلت في الطاعة. فرضي سيدي محمد على كاتبه ورفع منزلته ، وهكذا انفرجت النكبة الثانية وابتسم له الحظ من جديد اذ اصبح سيدي محمد يقدمه في المهمات ويكل اليه تذليل ما يحدث في القبائل البربرية من عقبات واطفاء ما يتأجّج فيها من فتن وثورات .

وهكذا نراه : سنة 1198هـ (1783/1784م) رفقة السلطان بالصويرة ، ثم بتافيلالت ، حيث كان عم هذا الاخير ، الحسن بن اسماعيل ، أعلن عن استقلاله. وهناك قدّمه السلطان أمامه لاخراج البرابر من قصورهم في الأمان : ثم بعثه الى المولى الحسن ليعرض عليه السكنى بمكناس وينفذ له ما يكفيه من الظهر لحمل عياله واثقاله. ولما فرغ من شأن عمه بمكناسة أمره ان يعود الى سجلماسة ومعه اولاده : المولى سليمان والمولى الحسن والمولى الحسين ، وان يصحب معه قدراً من المال ، وعدداً من المدافع والمهاريس والبنب bonbes وطائفة من الطبجية من علوج الالمان وألفا من عسكر الثغور رجالة.."(11). "رده السلطان ، بعد ذالك الى الغرب ليأتيه بجيش من اولاد عبيد الثغور وان يلقاه بهم بمراكش ليزيدهم في جيشه" (12)

---

10) ورد في رحلته ما يثبت انه كان يفهم عدة لغات اجنبية منها الاسبانية والتركية وربما حتى الفرنسية واما البربرية فلا شك انه كان يفهمها ويتكلّم بها

11) أخذت هذه الفقرة من كتاب الاستقصا (ط : الدار البيضاء ج 8 ص 52) (المعرب)

12) نفس المصدر ص 53 (المعرب)

وفي عام 1200هـ (1786م) أرسله سيدي محمد بن عبد الله سفيراً الى سلطان الاستانة عبد الحميد بن احمد العثماني (1789/1774م) ليقدم له مكاتيب وهدايا . فأبحر من الصويرة هو وسفير تركي كان بالمغرب اسمه ابراهيم افندي . نزل بمالقة ثم ركب منها قاصداً العاصمة التركية

يتحدث الزياني ، في الترجمانة ، باسهاب عن رحلته الثانية خارج وطنه ولكنا سنكتفي هنا بذكر بعض ما ورد فيها من اخبار ، ومن ذالك انه لما خرجوا من مالقة ، وقعت فرتونة – (أي زوبعة) في البحر فتكسر أحد صواري المركب ، فقصد ربانه مرسى تونس لاصلاحه" قضى الزياني بتلك الحاضرة عشرة ايام في ضيافة الباي حمودة (1814/1782م) . فلما دخل المركب جزر بر الترك وعاين السفير التركي شاطىء بلا ده ، استأسد وسرح لسانه بالشتم في دولة المغرب واهله . فنهاه الزياني ، فلم ينته ، فأخذ بلحيته وقال له : «والله يا ملعون لاتقرب لله بذبحك» الا ان رئيس المركب خلصه وشفع فيه ، فتركه.

فلما دخل المركب مرسى الاستانة ، رفع سنجق (أي لواء) الباشدور ، واستقبل الزياني بحفاوة من لدن السلطات التركية . تقدم للسلام عليه اربعة من رجال المخزن المغاربة ، كانوا كلفوا بمهمة ولم تتأت لهم بعد العودة الى المغرب ، وهم المولى عبد الملك بن ادريس قريب السلطان وصهره ، ومحمد بن عثمان المكناسي وعمر لوزيرق ، وعبد الكريم بن يحيى(13)

ولما أخبر الوزير الاول التركي بوصول السفير الزياني خُصصت دار لنزوله ووجهت الخيل لركوبه وركوب اصحابه ، والكراريط (العربات) لحمل "حوائجهم" . واقام معه الاغا المكلف بنزول الباشدورات ليطلعه على الاحوال ويعرفه بالتشريفات وبالتقاليد الخاصة بالبلاط التركي

حظي الزياني ، اثناء اقامته بالعاصمة العثمانية ، بحسن الرعاية وجميل التكريم ، وقد تأتى له الوقوف على جميع الاماكن المعتبرة كبيت المال و"دار الضرب" و "دار الصناعة" و "دار القز" الخ.. ، وزيارة المساجد والمدارس وخزانات الكتب ، وقد وصف في رحلته كل ما وقعت عليه عينه وسمعته أذنه . وصفاً دقيقاً ، كما ذكر الكتب التي اشتراها للسلطان سيدي محمد .

ومما يؤكد ما لقيه الزياني بالاستانة من اعتناء وتقدير من لدن ولاة الامر انه "قابل الخليفة في غير الموعد المحدد لمقابلة امثاله من السفراء." وحيث ان امبروطورة روسيا كاتورين الثانية كانت اشهرت الحرب على الدولة العلية أظهرت هذه رغبتها في "السلف" من سلطان المغرب ، ولما استفهم الزياني «هل تسمح نفس سلطان المغرب بالمعاونة» و "هل اذا احتاجت الدولة المال يسلفه لها" قال : «ان سلطاننا له رغبة في الجهاد ، ولولا مشقة البحر وبعد الغرب لسعي للجهاد بنفسه . واما المال فانه يعطيه دون سلف ، اذ لا ترضى همته السلف»

واستغرق مقام الزياني بالاستانة مائة يوم ، عاد بعدها الى وطنه على طريق البحر وبصحبته سفير تركي الى

13) ان هؤلاء "الطلبة" ، كما يلقبهم الزياني ، كان اوفدهم السلطان الى مكة المكرمة لتوزيع هدايا وصلات على الاشراف وعلى فقراء الحجاز والشام والقدس ومصر والعراق ... وكانوا لما وصلوا الى اسطنبول وجدوا الركب العثماني سافر ، فأقاموا الى العام القابل ... وذكر الزياني في الترجمان (ص 84) ما كان من اليزيد بن سيدي محمد من سوء التصرف مع هؤلاء "الطلبة"

المغرب . فنزل بطنجة وقصد توا السلطان ليطلعه على تفاصيل سفارته ، وانتهز تلك الفرصة فناوله كتاباً من عند الخليفة يقول فيه : «... وبعد فانه قد وصلنا من مقامك الاسمى عشرون سفيراً واحسنهم عقلا ونبلا وسياسة ابو القاسم الزياني الذي أدى رسالتك وهديتك بأدب وانفصل عنا بأدب ، فمثله من يكون سفيراً بين الملوك . فان اقتضى نظرك توجيه سفير من اطرافك فليكن هو . فان ظاهره وباطنه سواء»

لما اطلع السلطان على هذه "التزكية" سر سروراً عظيما ودعا للزياني بالخير ، وأثنى عليه ، ونوه به بمحضر اعضاء ديوانه ، وبعد ذلك أمر بارسال "اربعة صناديق من الريالات الفضية للخليفة العثماني . على طريق اسبانيا ثم فرنسا"

وفي السنة التالية (1201هـ/1787م) كُلِّف الزياني بمرافقة طائفة من قبائل الجيش الى وجدة . ثم التحق بالسلطان وهو على رأس جيشه بالحياينة . فعين عاملا بتازة لتهدئة القبائل البربرية المتوثبة عليها . وبعد أن قضى بتازة سنة . تقلب في عدة وظائف من ولاية على مدن . وتدريب الجنود البحرية من آيت عطاء وعبيد تافيلالت . بتطوان ثم بطنجة . ثم في سنة 1202هـ عينه السلطان واليا بتافيلالت ، ولما اظهر الزياني التردد قال له : «طب نفساً لولا اني احبك ما وليتك على اولادي واهل بيتي»

وعلى كل فقد بقي بتافيلالت ثلاث سنوات اي الى وفاة سيدي محمد بن عبد الله (24 رجب 1204هـ 21 أبريل 1790م)

لم يكن اليزيد ، خلف سيدي محمد بن عبد الله راضيا عن الزياني بل كان ممن «ينظر اليهم شزراً ولا يرى الايقاع بهم وزراً» حسب قول الزياني

اورد مؤرخنا ، وصفا مسهبا لما نزل به ، ايام اليزيد ، في كتابه الترجمان (المغرب) ونحن نكتفي هنا بذكر لمحات منها ، قال : «.. وكنا كتبنا له على مال الاشراف و المؤنة لاخوته واخواته ، عين ذالك في زمام... ولما أكملنا ما أمرنا ، توجهنا لحضرته بفاس مع ولده ، وبتنا بدار دبيبغ ، بلغنا ان ديارنا بمكناسة اعطاها للعبيد ، ولم يبق الا دويرة فيها عيالنا ، فتجلدنا بالصبر .. (ص 87).... وأقمت مدة وانا محموم مهموم ، ولما عوفيت لحقته وأقمت بسبتة... فوجهني لمكناس وفاس لقضاء بعض اغراضه ، فلم اشعر الا وقائده بفاس اتاني وقبض علي .. ووجهني لمكناسة... (ص 88).. وكانت هذه نكبته الثالثة

وبعد مدة افرج عنه ، وولاه السلطان على أكادير ...ثم رده وكلفه بعدة مهمات سافر في شأنها الى طنجة ، والعرائش . والرباط ، والدار البيضاء ومراكش ولكن قبض عليه السلطان من جديد...» (ص 91)

بقي الزياني معتقلا في الرباط الى أن توفي اليزيد.. وهكذا انتهت النكبة الرابعة

قصد الزياني مدينة مكناس ثم مدينة فاس حيث حضر بيعة المولى سليمان بضريح المولى ادريس . «وكتب بيعته الشيخ التاودي بن سودة ، ونزل عليها كافة العلماء . على القانون الشرعي (ص 92)

كان المولى سليمان يعرف كفاءة الزياني ، ويقدره حق قدره ، ولذا ولاه على وجدة ونواحيها لكبح جماح عرب انقاد الذين كانوا قد عاثوا فيها فسادا . فاستقال فلم يقبل كلامه ... فتوجه نحو وجدة مكرها ، وخرج معه ركب التجار الذي كان محصوراً بفاس . فخرج عليهم العرب قبل ان يصلوا الى وجدة "ونهبوا ما معه من صامت وناطق . وصاهل وناهق" فسئم الخدمة السلطانية وازمع ، بعد هذه النكبة الخامسة ، الرحلة عن المغرب . فتوجه الى وهران ، ثم الى تلمسان ، ونزل بجوار ضريح ابي مدين ، بالعُبّاد . حيث بقي سنة ونصفها مشتغلا بالمطالعة والتقييد .

وهناك عزم على زيارة الاستانة وبلاد الشرق ليجدد العهد بتلك الديار ، ويتفقد من له بها من الاصحاب والاحباب ، فتوجه الى وهران ، ثم الى الجزائر فقسنطينة، فتونس ... ومن هناك ركب متن البحر قاصداً الاستانة ، وذلك في فاتح جمادى الاولى 1208هـ (5دجنبر 1793)

لَقِيَ بالاستانة ماكان ينتظره من ترحاب وعناية : ومن ثم توجه مع أمير الركب التركي الى المدينة ثم مكة قصد الحج . رجع الى القاهرة مع الركب المصري ، ومعه جاريتان حبشيتان كان اشتراهما من المدينة

وكان يتصل ، حيثما حل ، بالعلماء ورجال الدولة، فيحظى بالاحتفاء والتقدير ، غير انه وقع له في مصر حادث كاد يذهب بحياته ، وذالك انه كان ركب النيل في نزهة صحبة أحد الاغوات ، فهبت على المركب ريح شديدة وانقلب وغرق كل من فيه . ونجا هو بفضل اتقانه للسباحة وبفضل مساعدة اهل مركب آخر كانوا على مقربة منه .

بعد هذه النكبة السادسة ، ركب من الاسكندرية مركبا كان متوجها الى أزمير. ولكن الريح عاكسته فالتجأ الى جزيرة رودس؛ فسافر منها الى انطاكية حيث بقي شهراً توجه فيه الى القدس ثم الى دمشق ، وعاد الى المرسى ليبحر الى ازمير ، مكث هناك مدة ثم ابحر الى تونس حيث نزل . وفي تلك الحاضرة ماتت إحدى جاريتيه وتركت له ولداً في سن الرضاعة . فدفعه الى رجل مغربي مات له صبي وبقيت امرأته بدون رضيع ، وسافر الى قسنطينة فلم يجد الولي بها ، ثم الى الجزائر ، وكان قليل الزاد ، خاوي الوفاض ، يكاد لا يجد ما ينفق ، الا انه لما وصل الى الجزائر علم ان البضاعة التي كان اشتراها بالشرق وصلت سالمة ، فانتعش بعد الانتكاس وعول على الاقامة بتلمسان . فوجه غلاما له من الجزائر لفاس ليأتيه منها بأفراد اسرته وبجواريه ، ويلقاه بهم في تلمسان .

لما علم اهله برجوعه ، وكانت قد انقطعت عنهم اخباره فرحوا وكتبوا اليه ليعود الى فاس ، ولم يرسلوا اليه الا جارية واحدة ، وكتب اليه السلطان نفسه بأمره بالرجوع ويطمئنه معفياً اياه من الخدمة . فامتثل وغادر تلمسان متوجهاً نحو مسقط رأسه ، سنة 1210 هـ (1795 1796 م) . فلما وصل إلى فاس عرض عليه السلطان ولاية العرائش فحاجّه بكتابه فحجّه ، ولكنه عاد فطلب منه بالحاح أن يذهب إلى تفتيش مراسي المغرب ومراقبة عمالها ، ولما كان هذا الوظيف تكليفاً موقتاً قبله ، وقام به على أحسن ما يرام .

بقي بفاس إلى سنة 1213 هـ (1798/1799م) ، فكلفه السلطان بمهمة أخرى موقتة بمراكش ثم قلده الكتابة والوزارة والحجابة فبلغ اذ ذاك من المجد أوجه ، وبقي عدة سنوات يرتع في بحبوحة الهناء . . . ولكن كثر حساده ، وتوالت السعايات به إلى أن أبعد عن منصة السلطنة والنفوذ ، فتمت بذاك نكباته سبعاً

أنهى الزياني هذه الترجمة الذاتية حوالي سنة 1230 هـ 1815 م) وكان عندئذ قد جاوز الثمانين من عمره ..

ذكر صاحب سلوة الانفاس . (ج 1 ص 263) . أن الزياني توفي بفاس عصر يوم الاحد 4 رجب 1241 هـ (17 نوفبر 1833) وكان في التاسع والتسعين من عمره (14) وأن السلطان أمر بدفنه في الزاوية الناصرية التي بحمى السياج .

قال الكتاني في ترجمة مؤرخنا : «له قصائد مدحاً وذماً ، ومعرفة بالتاريخ والعربية والحساب والعروض

14) هذا العدد يتعلق بالسنين الشمسية ، وحسب السنين القمرية ، توفى الزياني في الثانية بعد المائة من عمره

والتنجيم والجدول والاسماء والتدبير .. وكانت له حدة ولسان لايبقي ولا يـدر حتى أداه ذالك إلى الوقـوع في الاولياء الكبار . ونعوذ بالله من ذلك» (السلوة ج ا ص 263)

وقال فيه أيضاً : «وكانت جمجمة رأسه من القرع (!) لانه ضرب عليه بسيف ، فطارت ، فجعلوا مكانها طرفاً من القرع ، فطلع عليها اللحم وعاش . . . ولذالك كان لايكشف رأسه (!)» والظاهر أن هذه الخرافة كانت صدى لألوان اللمز والسخرية التي كان من الطبيعي أن توجه للزياني الذي بز أقرانه ومنافسيه من رجال السياسة والادب ، ولم يتورع من دون شك عن الحط من أقدارهم .



الشيخ المفتي أبو القاسم خجو

(ت : 956هـ - 1549م)

للأستاذ عبد القادر العافية

يعد الشيخ أبو القاسم بن خجو الحسانى الخلوفى من اكابر علماء عصره ، وكان فى طليعة العلماء الذين وجه اليهم محمد الشيخ السعدى دعوته للاجتماع بهم بفاس ، بعد فتحه لها سنة 956 هـ .

عصــره :

عاش أبو القاسم بن خجو فى فترة حاسمة من تاريخ المغرب ، وهى فترة اواخر العهد الوطاسى ، ولا شك أن هذه الفترة من تاريخ المغرب هى فترة ضعف الحكم المركزى بالبلاد ، حيث تعرضت السواحل المغربية للاحتلال البرتغالى ، وتدفقت افواج المهاجرين الاندلسيين على المغرب نازحين من شبه جزيرة ايبيريا تاركين ديارهم ، واموالهم ، وافرادا من اسرهم ..

وبهذا يكون مترجمنا فتح عينيه على كوارث وطنية جسيمة خاصة وان موطنه الذى ولد به قريب من هذه الاحداث الاليمة ، فضياع الاندلس كان له وقع اليم جدا على نفوس المغاربة ، ومما اذكى نار هذا الالم وضاعفه ، سقوط المدن الساحلية المغربية بين العدو الاجنبى الذى لم يكتف بطرد المسلمين من بلادهم بالاندلس بل حاول أن يغزو كل بلاد المسلمين بشمال افريقيا ، ولا شك أن هذه الاحداث الاليمة كان لها وقع على نفس المترجم ، خاصة وان المقاومة الشعبية المغربية قد نظمت نفسها واخذت تعمل على طرد المغيرين الاجانب من الاماكن التى استولوا عليها : كسبتة وطنجة واصيلا والقصر الصغير .. وقد عاش مترجمنا وهو يشاهد باستمرار تعبئة وتحرك كتائب المجاهدين من مركز الجهاد بمدينة شفشاون الى حصار مدنية سبتة وطنجة واصيلا .. ذلكم الحصار الطويل المرير العنيف .. فمترجمنا قد عاش فى صميم عهد الامارة الراشدية بشفشاون ، وادرك جزء من حياة منظم الحركة الجهادية بالمنطقة الشمالية ، ومؤسسى مدينة شفشاون ، على بن موسى بن راشد العلمى ، وعند ما مات الامير على بن راشد (1) كان مترجمنا فى نحو الثلاثين من عمره ، وتوالت الامارة الراشدية الى ما بعد موت صاحبنا ، فحياته اذا تقع فى صميم عهد هذه الامارة الذى يقع ما بين — (876 هـ — 969 هـ) — (1471 م — 1561 م) وحياة صاحبنا على الارجح تقع ما بين (887 هـ و 956 هـ) وبذلك يكون قد عاصر الامارة الراشدية بشمال المغرب ابتداء من حياة مؤسسها الى ما قبل نهايتها بنحو ثلاث

عشرة سنة ، فهو اذن قد عاش ابان ازدهار هــذه الامارة وعرف ثلاثة من أمرائها : على بن راشد ، وولداه ابراهيم ومحمد (2) .

وتعرف مترجمنا فى آخر حياته على السلطان محمد الشيخ السعدى الذى قــدر علمــه وخلقــه ومواهبه ..

نشاتــه وحيــاتــه :

ينتسب الشيخ ابو القاسم بن على بن خجو الحسانى الخلوفى الى اسرة عريقة نبيلة فى شمــال المغرب ببنى حسان بجبال غمارة جوار مدينة شفشاون

ونبغ من هذه الاسرة مجموعة من القــراء ، وفقهاء الدين وحفاظ الشريعة .. فوالده على كــان فقيها ، وكذا أخوه الحسن الذى نجد له فتاوى عديدة فى كتب النوازل وخاصة نوازل العلمى (3) واختــه آمنة كانت عالمة (4) فهو اذن ينتمى الى اسرة علم وثقافة ودين ..

نشأ مترجمنا فى حومة (سعادة) من مدشر اسلاف من فرقة بنى امهارون بقبيلة بنى حسان (5).

ويقع مدشر اسلاف فى الناحية الشرقية مــن القبيلة الحسانية وهذه الجهة تجاور قبيلة بنى زجل ومركز قيادتها تلمبوط ويرتبط هــذا المركــز حــاليا بشفشاون بواسطة طريق ثانوية تتفرع علــى بعــد عشر (كلم) من شفشاون فى اتجاه تطوان من مكان يسمى (دار اقوبع) .

تعلم مترجمنا بكتاب المدشر وتعهدتــه اسرتــه بالعناية والرعاية والتربية الحسنة ، وبعد مــا حفظ القرآن الكريم ونبغ فيه أخذ يدرس قواعد اللغة العربية والفقه المالكــى والعقائــد والمنطــق والاصــول ، والتصوف ..

وبعد اخذه من كل الفنون المعروفــة فى وقتــه بنصيب وافر تاقت نفسه لاستكمال دراسته بمدينــة فاس ، ولسنا ندرى بالضبط متى انتقل اليها وانمــا الذى نعلمه ان مشيخته بفاس كانت تتمثل فى كبــار العلماء والفقهاء والقراء .. وهو قد أطال المكــوث بفاس الى درجة أنها اصبحت المدينة المفضلة عنده ، فهو بالرغم من رجوعه لبلده واشتهاره بعلمه وفضله حيث اصبح احد اركان الفتيا فى بلاد الهبــط وجبــال غمارة ، واصبح يشار اليه بالبنان ، فهو بالرغم من بلوغه هذه المزلة فى بلده من الشهرة والعلم كــان لا يفتأ يذكر فاس ، وأيام فاس وشيوخه بفاس ..

شيــوخــه واساتــذتــه :

لا شك ان صاحبنا قد ادرك بفاس جماعة من كبار العلماء بالمغرب فى ذلك العصر ، وحظى بالاستفادة منهم ، والتمتع بسماع محاضراتهم ودروسهم العلمية وهو قد تتلمذ للامام ابى عبد الله محمد بن غــازى المكناسى ، ولابى العباس احمد زروق البرنــوصى ، ولابن المبارك المكناسى ، وللاستاذ ابى جمعة الهبطى الصماتى صاحب وقف القرآن ، واخذ ببلده التصوف عن شيخه ابى محمد عبد الله الهبطى وهو قد تعرف ودرس على غير واحد من شيوخ وقته وكبار علمــاء عصره .

ولا شك انه استفاد من هــؤلاء العلمــاء علما غزيرا ، ومعرفة واسعة ، فافاد من كل واحد منهم فى ميدان اختصاصه ، ولم يرجع الى بلده الا وقد امتلا وطابه ، واكتملت ملكته ، واتسعت مداركه ، وتعمق ادراكه ..

وكل ذلك اهله ليقوم بدوره خير قيام ، فى التدريس والافتاء والارشاد والاصلاح ، وتحمل عــن وعــى وادراك مسؤوليته الفكرية والثقافية ، والتربوية .. فاصبح المدرس الناجح ، والمفتى اللامع ، والموجه ، والمصلح الاجتماعى ..

تــلامــذتــه :

له عدة تلاميذ ، خاصة وانه كان صاحب مدرسة علمية ببلده (سعادة) ومن تلامذته القاضى ابو عبد الله محمد بن عسكر صاحب دوحة النــاشر الــذى خصه فى دوحته بترجمة هامة .

ومنهم ابنا ابنته ، احمد ومحمد ابنا عرضــون الزجليان الشفشاونيان . وينوه به كثيرا حفيده أحمد ابن عرضون فى كتبه وخاصة فى كتابه (مقنع المحتاج

فى آداب الازواج (6)) ومنهم ولده على بن خجو الذى تصدر للافتاء بعد ابيه .

ومنهم اخته آمنة بن خجو زوجة الامام عبد الله الهبطى .

ومنهم ابو عمران موسى الوزانى (7) وغيرهم ..

انتاجـه الفكـرى :

اشتهر ابو القاسم بن خجو فى ميـدان الفتيـا فكانت تنهال عليه الاسئلة والاستفتاءات من مختلف الجهات والاقاليم فكان يجيب عنها ببراعة علمية فائقة عبر هنا عن اتساع افق فكره ، وعلى سعة اطلاعه وغزارة معرفته ..

وكان يعمل على فتاويه كبار العلماء ، ويذكر لنا صاحب الدوحة أن شيخه الامام عبد الله الهبطـى كان يعمل بمقتضى فتاويه لورعه ورسوخ علمه .

ولابى القاسم بن خجو فتاوى عديدة فى مختلف ابواب الفقه واذا قمنا مثلا بعملية جمع فتاويه من كتب النوازل فاننا ولا شك سنحصل على مجلد ضخم من فتاويه العلمية الهامة .

وبالاضافة الى فتاويه التى امتلات بها صفحات كتب النوازل مثل نوازل العلمى ، ونوازل الزياتى ، ونوازل الوزانى (المعيار الجديد) .

فبالاضـافة الى فتاويه نجد له بعض المؤلفـات منهـا :

1 — غنيمـة السلمانـى .

2 — ضياء النهار (8) .

3 — شرح مسائل بيوع ابن جماعة (9) .

4 — شرح منظومة الشيخ عبد الله الهبطى فى العدة (10) وغيرها .

مكانته العلمية ودعوته الاصلاحية :

لا شك ان صاحبنا اصبح ذا مكانة علمية لتمسكه من الفقه المالكى وبراعته فى استحضار النصوص ، والاستفادة منها ، وبذلك أصبحت مكانتـه العلميـة مرموقة واصبحت فتاويه لها قيمتها ومكانتها فى نفوس العلماء .

فهو بالرغم من شهرته كمفت لا يشق له غبـار فى جبال غمارة وبلاد الهبط ، فانه بالرغم من ذلك كانت ترد عليه الفتاوى من الاقاليم البعيدة ويحدثنا صاحب نوازل العلمى من فتاويه التى كان قضاة فاس يحسبون حسابها ، وجاء فى احدى فتاويه فى موضوع التعدى على الماشية التى تقع فى الزرع — بالذبح والعقر — جاء فى آخر هذه الفتوى قوله : « .. ويجب على من فوت بهيمة على ربها غرم قيمتها صحيحة سليمة مع النكال ، وفى اكلها نظر ، واحرى ان كان ذابحها لـم يستحضر نية الذكاة ، واحرى اذا كان من الجهـال الاجلاف .. ومن تعدى على الدين وعلى خلـق رب العالمين تؤخذ بهيمته او شىء من ماله ويدفع للاسارى الذين لهم حق فى جميع اموال المسلمين لاستنقاذهم بها من يد الكافرين ، ادبا وزجرا للظالمين وذلك سائغ وخارج عن الخلاف عندى ، فانظر ابن عرفة وغيرهما من دواوين المالكية فى الجهاد وفى فداء الاسرى مـن النصارى .. » قال العلمى صاحب النوازل بعد نقل السؤال والفتوى الطويلة الهامة : « وتقيد عقبه بقول ناسخه موسى بن على بن موسى الوزانى : انى حضرت مشاركة المجيب المذكور اعنى سيدى ابا القاسم بـن خجو فى الحالة المتقدمة للفقيه القاضى سيدى محمـد الشامى بفاس .. » (10) وهذا الجزء الاخير من الفتوى بالرغم من اننى اتيت به كشاهد على شهرته ومكانته العلمية خارج جبال غمارة وبـلاد الهبط ، بالرغم من ذلك فاننا نجد فيه ان صاحبنا كان يترصد الفرص ليحرض على العناية بفكاك الاسرى من يـد العدو الغاشم ، ولذلك فهو يحث فى آخر فتواه على ان تصرف اموال المعتدين الظالمين فى فداء اسرى المسلمين من يد النصارى ، ونراه يؤكد ان اسرى المجاهديـن لهم حق فى جميع اموال المسلمين . وسنرى فى بعض رسائله كيف كان يحرض علـى الجهـاد ويستجيش الهمـم ..

دعـوتـه الاصـلاحيـة :

هذا ولقد اجمع الذين ترجموا له — على قلتهم — ان صاحبنا كان من العلماء الافذاذ من الذين يجهرون بالحق ولا يخافون فى الله لومة لائم ..

ولعل اول من ترجم له ، ابن عسكر صاحب « دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر » الذى حلاه بقوله : « الفقيه العلامة الحافظ الفهامة العالم العامل ناصر السنة ومميت البدعة الشيخ ابو القاسم بن خجو الحسانى كان رحمه الله فقيها مطلعا حافظا متقنا ورعا شديد الشكيمة فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر عظيم الانصاف لا يفتى الا بما علم .. » (11)

وترجمة ابن القاضى فى درة الحجال : ج 2 ص 464 فقال : « الفقيه المفتى بالبلاد الهبطية كان فقيها نوازليا يستظهر الفقه المالكى وقوالا بالحق لا يخاف فى الله لومة لائم .. »

وترجمه فى الجذوة : ج 1 ص 111 ط دار المنصور فقال : « ابو القاسم بن على بن خجو الحسانى الفقيه المفتى بالبلاد الهبطية ، اخذ بمدينة فاس عن جماعة من اهلها .. »

وجاءت ترجمته فى سلوة الانفاس : ج 2 ص 149 قال : « الفقيه العلامة الحافظ الحجة الفهامة العالم العامل المبارك الفاضل ناصر الدين ومميت البدعة ... » ونرى انه يستمد عبارات صاحب الدوحة .

وترجمه محمد مخلوف فى شجرة النور الزكية ص 283 .

والاستاذ عبد الله كنون فى النبوغ المغربى : ج 1 ص 184 ط تطوان .

ومن خلال اوصاف مترجميه له ندرك انه بالاضافة الى مكانته العلمية فهو قد اشتهر بين معاصريه بالجراة على قول الحق ، وعلى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فهو اذن من دعاة الاصلاح فى وقته ، ومن الذين لا يخافون فى ذلك لومة لائم ..

ويؤكد لنا الشيخ ابو العباس احمد بن عرضون فى كتابه (مقنع المحتاج ..) بأن الشيخ ابا القاسم ابن خجو كان من دعاة الاصلاح وبانه كان له اسلوب خاص فى نشر الدعوة ، وفى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر .. وبالرغم من ان الشيخ احمد بن عرضون (12) لم يخصص فى كتابه المشار اليه ترجمة للشيخ ابن خجو فانه قد ملا كتابه بالنقول عنه وبوصف احواله .. وبذلك تعتبر مراجعة هذا الكتاب ضرورية لفهم حياة عالمنا ابى القاسم بن خجو ، فمؤلف كتاب مقنع المحتاج احمد بن عرضون هو حفيد الشيخ ابن خجو ولذلك فهو يعرف عنه اكثر من غيره وهو ينقل عنه فى شتى المناسبات وكثيرا ما يقول : « قال جدنا للام ابو القاسم بن خجو » او كان جدنا للام ، يرى كذا ، او يفتى بكذا ..

بل نرى ان حفيده هذا معجب به غاية الاعجاب ويشيد بمواقفه وينقل عنه عدة فتاوى لم ترد فى كتب النوازل ، ومن ذلك فتوى هامة تعرض السائل عنها لوصف حفلة من حفلات ختم القرآن الكريم ، والى وصف بعض البدع الشنيعة التى كانت ترتكب احيانا فى مثل هذا الاحتفال وجاءت الفتوى الطويلة المحبوكة زاجرة ناهية ، واصفة تلك البدع الشنيعة بأنها فسوق وعصيان (15) .

وفى مكان آخر من نفس الكتاب يقول : « لقد كان رحمه الله تعالى شديد الحرص على هدى الخلق، ويتلطف غاية التلطف فى اظهار الحق حتى انه كان يعبر لاهل اللسان الغمارى بلسانهم عند تقريره لهم قواعد الايمان .. » (14) .

ولا شك ان هذا النص زيادة على كونه يعطينا فكرة عن المحاولات التى كان يقوم بها ابو القاسم بن خجو لاصلاح المجتمع فى عصره ، فهو كذلك يدلنا على انه فى القرن العاشر الهجرى لم تكن العربية مفهومة بالجبال الغمارية لدرجة ان الواعظ كان لا يعتمد عليها وحدها ، ولعل ابن عرضون يقصد ان بعض المداشر فى القبائل الغمارية لم تكن تفهم العربية ، وهذه ظاهرة لا تزال موجودة بقلة الى يومنا هذا فى بعض الجهات من غمارة .

ومهما يكن من امر فان الشيخ ابا القاسم بن خجو كان من الذين ندبوا انفسهم لمحاربة البدع ولنشر السنة القويمة ، والمبادىء الصحيحة للاسلام الحنيف

وكان هو والشيخ ابو محمد عبد الله الهبطى كثيرا ما يقومان بجولات ارشادية متنقلين بين القبائل ومعهما تلامذتهما وانصارهما ..

وفى ذلك يقول احمد بن عرضون فى سياق كلامه عما يقع فى الولائم من المنكرات : « وقد اردت ان اقيد

هنا جملة من كلام السيدين الفاضلين المتصاهرين الخيرين سيدى عبد الله الهبطى ، وجدنا للام سيدى ابى القاسم بن خجو رحمة الله عليهما فانهما رضى الله عنهما بذلا مجهودهما فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وعلى يدهما قطعت المناعة الشنيعة من بلاد غمارة ، ولهما فى تقبيح ذلك وردع من ينتمى اليه قصائد ورسائل لا تحصى كثرة ، ولا شك ان من طالع كلامهما يكتسب قلبه قريحة عظيمة ، وغيرة على انتهاك الشريعة المستقيمة ولذلك اردت ان اتبرك هنا بشىء من كلامهما .. » (15)

وبعد ما نقل لنا من كلام الشيخ عبد الله الهبطى ما رآه مناسبا لموضوعه ، نقل كذلك جملة من رسائل جده الشيخ ابى القاسم بن خجو تلك الرسائل التى كان يبعث بها الى أعيان القبائل ووجهائها ، وطلبة المداشر وفقهائها .. ونقتطف هنا من رسالة بعث بها الى بعض الجهات من الجبال الغمارية ، فبعد الحمد والتصلية ، ومقدمة طويلة يقول :

« أما بعد فأخص بالسلام الشامل العام الكامل ، كافة طلبة بنى زجل واشياخهم وعامتهم ، وكافة بصائر (كذا) بنى دركول (16) وبنى فلواط (17) كثر الله عددهم ، وبعد : اعلموا يا احبابنا انا توجهنا فى هذه الايام الماضية مع السيد البركة الناصح للدين ولخلق رب العالمين سيدى عبد الله الهبطى (18) لعند الشيخ ابن مغلاى السعيدى بقصد اقامة الجمعة فى مسجدهم فاجتمع علينا طلبتهم واشياخهم فندبهم سيدى عبد الله المذكور لطاعة الله ، وحذرهم من معاصى الله فأجابوه الى ذلك وكتب عليهم رسما شهد فيه عدولهم — ستقفون على نسخة بالمحول — وشرعوا فى اراقة الخمر الملعونة ، فأردنا منكم أن تنافسوهم فى طاعة الله تعالى ، وفى تحسيم معاصى الله عز وجل ، فشدوا أرواحكم كان الله لنا ولكم فى قبول أمر الله واجتناب نهيه ، ولاحظوا قول الله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى » — آيات كثيرة — الى ان قال : « فليحذر الذين يخالفون عن امره أن تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم .. »

وهذه واحدة من تلك الرسائل التى كان ابو القاسم بن خجو رحمه الله يستجيش بها همم الفقهاء والطلبة ورؤساء واعيان القبائل ، وينقل لنا احمد بن عرضون نص رسالة اخرى تدل على أن مترجمنا كان يعيش أحداث بلاده بكل وعى وتبصر ، ومسؤولية .. ونص هذه الرسالة هو نص هام ، لانه يصور لنا مقدار ما كان يشعر به علماء الدين من مسؤوليتهم على سير الاحداث بالبلاد ، خاصة وان بعض الاجزاء من البلاد اصبحت عرضة للاحتلال الاجنبى وهذا النص يذكرنا باحدى الصيحات الموقظة التى كانت تنبعث من علمائنا — رحمهم الله — هنا وهناك .. يقول احمد بن عرضون : « ومن رسائله رحمه الله : « الحمد لله الذى قال : ولتكن منكم امة يدعون الى الخير الآية : والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى قال : انما الدين النصيحة الحديث ، وعلى آله وصحبه على الدوام .

سادتنا اعلام ديننا سيدى عبد الله بن محمد الهبطى ، والخطيب سيدى الحسن بن عرضون ، والفقيه سيدى سلام بن الحسن ، والخطيب سيدى موسى الوزانى وسيدى على الحاج المدرسنى ، وسيدى عبد الوارث اليالصوتى ، وكافة من يقف عليه من اخيار المسلمين ، سلام الله عليكم ورحمة الله تعالى من الملتمس منكم الدعاء بحسن الخاتمة عبد الله ابى القاسم بن على بن خجو مؤكدا عليكم أن تنفقوا مما رزقكم الله من نعم الجاه فى تحريض ولاة المسلمين على اعانة اهل الثغور بالرجال من كل قبيلة ، ومن حومات الحواضر بزادهم واسلحتهم ، بالنوبة التى لا ضرر معها ليحصنوا الاطراف ويكثروا سواد أهلها بالرماة وانواع الرجال ، اذ لا مشقة على الولاة فى ذلك ، ولا يفتقرون فيه سوى الى تحريك اللحية واللسان ، لكنهم بخلوا على انفسهم وعلى المسلمين بالمصالح التى فيها عز الدين ، وتمذهبوا بمذهب الغافلين السامدين . فاجتهدوا وفقكم الله ، والسلام عائد عليكم ورحمة الله والبركة ، اهـ . (19)

وها نحن نرى أن النص موجه لاشهر علماء الجبل فى ذلك الوقت ، ويريد ابو القاسم بن خجو من هؤلاء العلماء ان يستعملوا جاههم ، ويجمعوا كلمتهم ويطالبوا الولاة بأن يتنفروا الناس للجهاد ، ويبين ابو القاسم انه لا مشقة على الولاة فى ذلك ، ما داموا غير مطالبين بالانفاق على المجاهدين .

فالمجاهدون سيخرجون للجهاد ومعهم زادهم

واسلحتهم حسب العادة فى ذلك اى (النوبة التى لا ضرر معها) .

ويبدو أن هذا النص صدر على اثر ما لوحظ من عناء المجاهدين المرابطين بالثغور ، أو على اثر محاولة من طرف العدو لاحتلال مراكز جديدة ، والنص يتكلم على نطاق الثغور المغربية بصفة عامة ، لانه بالرغم من الجهاد الذى كان منظما فى بعض الجهات ، فان ذلك كان لا يكفى وكان لا بد للسلطة المركزية أن تفكر فى الامر بجدية وعناية ، لان الاعداء كانوا يوالون هجماتهم من غير انقطاع ، فى حين كان الوطاسيـون مشغولـون بخلافاتهم ، وبقيام السعديين عليهم فى الجنوب ، ولذلك كان أمر السواحل يترك للمتطوعين المحليين ، ولا شك ان هذا كان لا يكفى لصد الغارات الشرسة التى كانت تتعرض لها البلاد ، ولذلك كان لا بد من صدور مثل هذه النداءات من علماء الدين الذين كانوا لا يدخرون وسعا فى القيام بواجبهم فى المحافظة على استقلال البلاد وسيادتها ، بل معظمهم كان يشارك فى الجهاد بنفسه بالاضافة الى ما كان يقوم به من التحـريض علـى المقاومة ، وجمع الكلمة على العدو .. (20)

ويبدو أن كثيرا من علماء المغرب فى ذلك العهد كانوا يرون فى قيام السعديين تصحيحا للاوضاع الغير المشرفة التى كانت تتخبط فيهـا البـلاد على عهـد الوطاسيين . وهذا يفسر لنا سرعة الاستجابة التـى لقيتها دعوة محمد الشيخ السعدى للاجتماع عليـه بفاس ، باستثناء طائفة خاصة كانت لها ارتباطـات وثيقة بالوطاسيين .

ومهمـا يكـن مـن أمـر فان مترجمنـا واصل العمـل فـى ميدان الـدعـوة باستمـرار حتـى اشتهـر بين معـاصريه وبين كل الذيـن ترجمـوا له فيما بعد بدعوته الاصلاحية وبقيامه بواجب الامـر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهو حسب النصوص التى بين ايدينا لم يقصر فى هذا الباب بل كانت له فيه جولات رائدة موفقة ، حيث استعمل فى ذلك كل ما أوتى من خبرة وعلم ومعرفة .. ولا شك ان اخلاصه فى ميدان الاصلاح ، والدعوة الى الله والتحريض على الجهاد ، لا شك ان كل ذلك قد رفع قدره فى أعين العامة والخاصة ، ولذلك لا نستغرب اذا علمنا ان السلطان محمد الشيخ السعدى قال فى حقه عند ما تعرف عليه : « ما رايت فيمن رايت مثل هذا الرجل علما وصلاحا » واذا علمنا كذلك ان محمد الشيخ نفسه اسف لموته غاية الاسف .

قال ابن عسكر فى الدوحة : « ولما تغلب السلطان ابو عبد الله الشيخ الشريف على ملك المغرب ، وبعث لسائر الفقهاء ، بالحضور ، بعث اليه فوفد عليه .. ولما لقى السلطان اعجب به وقال : ما رايت ممـن رايت افضل من هذا الرجل علما وصلاحا ، ثم رغب منه ان يقيم بفاس اياما ينتفع منه ، فاقام اياما ثم اناخ به اجله ، فتوفى رحمه الله سنة 956 من القرن ، وحضر السلطان والكافة جنازته ، وككسر النـاس نعشـه وحملوه اطرافا للتبرك ، ودفن بجوار روضة الشيخ ابن عباد داخل باب الفتوح من مدينة فاس » (21)

فابو القاسم بن خجو رحمه الله كان من العلماء العاملين الذين يعملون فى اكثر من ميدان فهو قد شغل نفسه بالتدريس والوعظ والارشاد ، والتجول فـى القبائل من اجل الدعوة والاصلاح ، بالاضافـة الى كتاباته ورسائله الى النواحى والاقاليم .. والـى جانب هذا كله كان يتصدر الفتوى العلمية ، ويؤلف وينظم المنظومات فى وصف البدع والتحذير منها (22) كما شغل نفسه بالتصوف وبمراجعة مؤلفاته وكتبه ، وبالرد على المبتدعة فيه ، وكل هذا لم ينسه القيـام بعمله فى تواضع كأحد الفلاحين العاديين فهو « كـان يغرس دوالى العنب بيده ويجعلها صدقة يأكل ثمارها جميع من مر بها » (23) .

وكان الى جانب هذا وذاك على اطلاع بما يجرى فى البلاد الاسلامية فى ذلك الوقت فهو فى بعض كتبه يتحدث عن مصر والشام والحجاز وكانه يتحدث عـن مدشر قبيلته بحيث كان على خبرة بما يجرى فى مساجد هذه البلاد ومدارسها العلمية ، وبما يروج بين الناس من افكار (24) .

وفى الختام لا ابالغ اذا قلت ان مترجمنا هذا يحتاج الى دراسـة جامعية عن حياته واعماله وآثـاره .. ونتمنى أن يجود الزمان قريبا بمن يقوم بهذه الدراسـة .

هوامش

(1) توفى امير شفشاون على بن موسى بن راشد سنة 917 هـ = 1511 م ·

(2) ابراهيم بن على بن راشد كان له دور هام فى قيادة الكتائب الجهادية التى كانت تحاصر الثغور الساحلية المحتلة ، كما كان له نفس الدور فى الحروب التى كانت تجرى بين الوطاسيين والسعديين ، حيث اسند اليه السلطان احمد الوطاسى منصب الوزارة · انظر منظومة الكراسى بتحقيق الاستاذ البحاثة السيد عبد الوهاب بن منصور ص 30 المطبعة الملكية بالرباط 1963 ·

اما بنت على بن راشد اخت ابراهيم ومحمد فهى المشهورة بالست الحرة حاكمة تطوان ، وزوجة السلطان احمد الوطاسى ، انظر عقد صداقها معه بالقسم الاول من مجموعة الوثائق المغربية نشر وتقديم البحاثة السالف الذكر — رقم الوثيقة : 115 ص 345 · وتاريخ تطوان ج 1 ص 117 للاستاذ محمد داود

(3) على سبيل المثال انظر الجزء الاول ص 178 فتوى تتعلق بالزيت الملوث هل يجوز استعماله فى الصابون ام لا ؟

(4) هى زوجة الشيخ عبد الله الهبطى ذكرها ولده محمد الصغير فى منظومة ترجم فيها لوالده وسماها (المعرب الفصيح ، فى ترجمة الشيخ النصيح) مخطوطة بخزانة الاستاذ البحاثة السيد محمد المنونى ·

(5) تشمل قبيلة بنى حسان ثلاث فرق :

1 — بنو على ، 2 — بنو مهارون ، 3 — الخمس ، وهى تقع بين تطوان وشفشاون ·

(6) مجلد ضخم مخ — خع — ر — تحت رقم 1026 ك ·

(7) ترجم له صاحب دوحة الناشر ترجمة (26) ص 40 هـ الرباط 1976 بتحقيق الاستاذ محمد حجي·

(8) (ضياء النهار المجلى لغمام الابصار فى نصرة اهل السنة الفقراء الاخيار) مخ · خع = تحت رقم 1845 د ، وهو مختصر من (كتابه غنيمة السلطانى) ·

(9) (فى شرحه لنظم بيوع ابن جماعة ذكر جملة من البدع الشائعة فى عصره فى نحو اربعين صفحة) انظر النبوغ المغربى للاستاذ عبد الله كنون الحسنى ج 1 ص 185 ط تطوان ·

(10) مخ خع = 927 د ·

(10) نوازل العلمى ج 1 ص 267 — ط — فاس 1332 هـ ·

(11) الدوحة ص 15 — ط — الرباط 76 ·

(12) احمد بن الحسن بن عرضون قاضى شفشاون ونواحيها لاكثر من ربع قرن وهو من اشهر وازكى قضاة عصره له عدة مؤلفات (ت 992 هـ) ·

(13) مقنع المحتاج ص 419 ·

(14) نفس المصدر ص 372 ·

(15) نفس المصدر ص 116 ·

(16) هناك ابنى دركول بقبيلة بنى زروال وبها قبر الشيخ عبد الوارث اليالصوتى ، وهناك (بنى دركول) اخرى بقبيلة الاخماس العليا وهى المقصودة فى النص تقع على نيف واربعين (كلم) من شفشاون فى طريق الحسيمة ·

مجتمع عصره توفى سنة 963 هـ · انظر الدوحة بتحقيق الاستاذ حجى ص 7 ·

(19) مقنع المحتاج ص 131 وهؤلاء الستة من العلماء المذكورين فى النص ترجم صاحب الدوحة لاربعة منهم فانظرهم هناك ·

اما الحسن بن عرضون فهو والد احمد بن عرضون الذى نقل النص ، ووالد محمد بن عرضون القاضى الاديب الحسوبى الفرضى انظر الدرة ، والجذوة ، والنشر والسلوة فى ترجمة محمد هذا · وللحسن والدهما نوازل معروفة بين علماء الجبل وبقى من الستة (سلام بن الحسن) لم اقف له على ترجمة ·

(20) انظر موضوع : من جهاد العلماء العدد الثالث من مجلة الاعتصام (لخريجى دار الحديث الحسنية) وكتاب اضواء على ابن يجبس التازى لابى بكر البوخصيبى — ط — البيضاء 76 ·

(21) الدوحة ص 15 — ط — الرباط ·

(22) انظر ذلك فى مقنع المحتاج السالف الذكر ص 133 ·

(23) الدوحة نفس المرجع ·

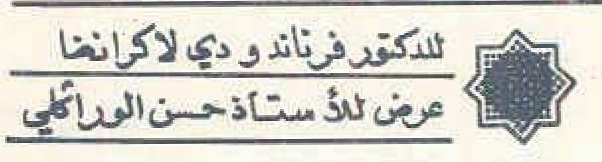
(24) له وصف هام لبعض مظاهر علماء الازهر فى القرن العاشر الهجرى انظر مقنع المحتاج لاحمد ابن عرضون ص 140 ·

شفشاون — عبد القادر العافية



مقامات ورسائل أندلسية

ترجمة ودراسة



ما زال التراث العربي الاندلسي بعامة يظفر باهتمام الدارسين الاسبان ، وما زال الاسهام الادبي باعتباره واجهة من واجهات هذا التراث ، يستأثر بعناية النابهين من اولئك الدارسين ، واذا كان احد اعلامهم ، وهو الاستاذ الدكتور اميليو غرسية غومث قد خص الشعر ، فصيحا وغير فصيح ، وهو ما يشكل جزءا من ذلك الاسهام ، بالبحث الجاد ، والدراسة المتعمقة ، فان علما آخر هو استاذنا الدكتور فرناندو دى لاكرانخا ، قد افرد النثر ، رسالة ومقامة ، وهو ما يشكل الجزء الثاني من الاسهام المذكور ، بابحاث تتميز بدقتها وموضوعيتها .

وقد عمد الدكتور فرناندو لاكرانخا ، اخيرا الى ما كان نشره من تلك الابحاث ، والى ما لم يكن سبق نشره منها (المقدمة والفصل الرابع) فجمعه بين دفتي كتاب ، صدر عن المعهد الاسباني — العربي للثقافة في مدريد بعنوان «مقامات ورسائل اندلسية ، Maqàmas y Risàlas andaluzas» وقد ابى عليه لطفه وكرمه الا ان يهديني ، مشكورا ، نسخة من كتابه القيم ، لما يعلمه من اشتغالي بالمقامة الاندلسية، دراسة وتحقيقا .

يتألف الكتاب من مقدمة ، وثمانية فصول . اما المقدمة فقد ادار الحديث في قسم منها حول افكار، من اهمها :

ا) — ان الوحدة التي تنتظم فصول الكتاب لا تتمثل في ان الاعمال المدروسة فيها نتاج طائفة من الكتاب اظلهم عصر واحد ، وانما تتمثل في ان صياغة هذه الاعمال جميعها ، كان اصحابها يلتزمون فيها ، رسائل كانت او مقامات ، الاسلوب المسجوع، الموشى بمختلف الوان البديع .

ب) — ان الاندلس التي كانت تفتح ابوابها لكل ما يجد من تيارات ، وفنون في ادب المشارقة ، تلقت بغبطة وشغف ، المقامة المشرقية ، وخاصة ما كتبه الهمذاني ، والحريري ، ولقد ظفرت مقامات هذا الاخير ، على وجه اخص ، بذيوع وانتشار كبيرين بين اوساط الادباء والعلماء في الاندلس ، وكان من نتيجة ذلك ان اقبل كثير منهم على محاكاتها ، وعني كثير منهم بشرحها ، واذا كنا نعرف اليوم ، مما وضعوا عليها من شروح ، شرحا قيما ، الفه احمد بن عبد المؤمن الشريشي (— 618 هـ/1222 م) ، فاننا لا نكاد نعرف من نتائج الاندلسيين الذين حاكوا به المقامة المشرقية

غير ما تناقلتـه المصادر حـول اصحابه من اخبـار واشارات ، فقد ضاعت نصوص جل ما انشاه كتاب الاندلس من مقامات ، ويظهر ان المقامـة الكلاسيكية على النحو الذى كتبها به الهمذانى والحريرى ، شكلا ومضمونا ، لم تجد من الكتاب الاندلسيين مـن يرتقى بها او يمد فى حبلها باستثناء ابى الطاهـر السرقسطى الاشتركـوبى (ــ 538 هـ/1143 م) الـذى وصلتنـا مقاماتـه الخمسون (1) التى عارض بهـا المقامـة المشرقية الكلاسيكية فى شكلها ومضمونها · وفى اعقاب ذلك يشير المؤلف الى ان المقامات التى درسها وترجم نصوصها فى فصول كتابه ليس لها ، فى حقيقة الامر ، من هذا النوع الادبى غير الاسم ، ذلك انها لم تحتفظ ببنية المقامة الكلاسيكية كـما لم تحتفظ بمضمونها ، وكما حدث بالمشرق ، فان كلمة (مقامة) اصبحت تطلق على كتيب او رسالة قد يكون ما يعالج فيه موضوعا فى الطب او الزهد او الجغرافية او الفقه ، وبالنتيجة فقد امتزجت فى الشرق وفى الغرب ، المقامة بالرسالة، اذ فقدت الاولى ملامحها المتميزة فى التركيب والمحتوى، ولم يبق لها من تلك الملامح غـير الصياغة التى كانت تعتمد الاسلوب المسجوع ، وهو كان ، فى الآن نفسه، الميزة الجوهرية فى الصياغة التى كان يصطنعها كتاب الرسائل ، ويمضى المؤلف ، بعد ذلك، موضحا كيف ان اى تمرين بلاغى ، يصاغ فى نثر مسجوع ، محلى بالشعر او غير محلى، ويكتب بأية مناسبة من مثـل التهنئة بتولى القضاء فى ناحية ما ، او وصف منظر ، او غير هذا وذاك ، قد يدعى رسالة حينـا ، ويدعى مقامة حينا آخر ، ويستدل المؤلف على عدم تفريـق الاندلسيين انفسهم بين المقامة والرسالة واطلاقهـم الاسمين معا على النص الواحد بمثالين ، احدهما من الذخيرة لابن بسام ، فقد قدم هذا نصا لابى محمد بن مالك القرطبى بقوله : (فصول من مقامة تعرب عن حفظ كثير) (1) · وعاد فى نهايته فعلق بقوله :

(ومد ابو مالك فى رسالته هذه اطناب الاطناب وشن الغارة فيها على عدة شعراء وكتـاب (2)) · اما المثال الثانى فقد ورد فى كتاب « المرقبة العليـا للنباهى ، حيث ترجم لابى عبد الله بن عسكر المالقى، وذكر ان له (مقامة سماها « رسالة اذخار الصبر فى افتخار القصر والقبر » (3) ·

وفى القسم الآخر من مقدمة الكتاب يكشف المؤلف عن صلته بالنثر الاندلسى وعنايته بدراسته منذ منتصف الخمسينات ، حيث شرع فى جمع نماذج من هـذا النثر فى كتب ، بعضها مطبوع ، وبعضها مخطوط ، بهدف اعداد بحث موسع حول النثر الاندلسى ، وهو موضوع كان الدارسون مشغولين عنه بالبحث فـى الشعر الفصيح والشعبى ، موشحا وزجلا ، ولقـد اكب الدكتور دى لاكرانخا منذ ذلك الحين على دراسة تلك النماذج وترجمتها ، ودراسة منشئيها ، فاستوت له من ذلك جملة ابحاثه ، نشر القليل منها فى مجلات تكاد تكون موقوفة على المختصين ، من مثل مجلة الاندلس التى تصدر عن مدرستى الدراسات العربية فى مدريد وغرناطة ، ومجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد، واذن فان المؤلف اذ عاد فجمع تلك الابحاث بين دفتى كتاب قد اتاح لها ان تتحرك فى نطاق اوسع فتفيد على نحو اوسع كذلك ·

❋ ❋ ❋

اما فصول الكتاب الثمانية فقد عـرض فيهـا المؤلف لاعلام فى النثر الاندلسى ، يدرس شخصياتهم فى كثير من التدقيق ، ويحلل نماذج من كتاباتهم فى كثير من التركيز ، وهذه الشخصيات تمثل ، بما اختار لها المؤلف من نماذج ، الملامح البارزة للنثر الاندلسى عبر فترة طويلة ، اولها مطالع القرن الخامس ، ونهايتها اواخر القرن الثامن الهجرى ، ففى الفصل الاول درس المؤلف شخصية احمد بن برد الاصغر ورسالتيـه :

---

(1) فرغنا من تحقيق مقامات ابى الطاهر اعتمادا على عدة نسخ ، هى نسختـان له المصورتان بمعهـد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، ونسخـة مكتبة الفاتيكان ، وقطعـة منها بالمكتبة الوطنيـة بباريس ، واخرى بمكتبة القروبين بفاس · وكتبنا دراسة مفصلـة حـول شخصيـة ابى الطـاهـر الاشتركوبى وآثاره ومقاماته ·

(1) الذخيرة : 2/1 : 247

(2) نفسه ، 1 / 2 : 257 ·

(3) نفسه ، 1 / 2 : 257 ·

(4) المرقبة العليا · ط القاهرة (1948) ص 123

رسالة السيف والقلم ، ورسالة النخاسة ، وفى الفصل الثانى عرض لابن فتوح و (مقامته) فى شعراء عصره ، وفى الفصل الثالث درس شخصية عمر بن الشهيد وعرض بالتحليل والشرح لاثرين (رسالة ومختارات من مقامة) مما روى له ابن بسام فى الذخيرة ، وهؤلاء الكتاب الثلاثة يعتبرون ، على تفاوت فيما يقدر لكل منهم من مكانة ، من اشهر ناثرى القرن الخامس فى الاندلس ، ثم يمضى المؤلف فيدرس فى الفصلين الرابع والخامس كاتبين من انبه كتاب القرن السادس ، وهما: ابن عياض اللبلى ومقامته الدوحية او الغزلية ، وابن غالب الرصافى ومقامته فى وصف القلم . وفى الفصل السادس يدرس من اعلام كتاب القرن السابع شخصية ابى البقاء الرندى ورسالته فى وصف جارية ، اجاب بها عن رسالة كان وجهها اليه فى نفس الموضوع الفقيه الكاتب ابو بكر البرذعى ، وهما من محتويات كتاب « روضة الانس » للرندى . وفى الفصلين الاخيرين يدرس ابن مرابع الازدى ومقامته فى استجداء كبش العيد ، والفقيه عمر المالقى ومقامته فى امر الوباء ، والكاتبان من أبرز الناثرين الاندلسيين فى القرن الثامن .

والى ان هذه الفصول تتميز ، كما اسلفت ، بدقتها وتركيزها ، فان اهم ما يسترعى النظر فيها بالخصوص :

أ — عناية المؤلف بتصحيح اخطاء بعض الدارسين واوهامهم فيما يتصل ببعض الشخصيات التى درسها وآثارها التى عرض لها بالبحث ، وعلى سبيل المثال نراه فى الفصل الذى عقده عن ابن برد الاصغر ورسالتيه ، ينبه الى الخطأ الذى وقع فيه الاستاذ أ . نيكل حين وهم فجعل من ابن برد الجد وابن برد الحفيد شخصية واحدة ، وتحدث عن مكانته الرفيعة لدى العامريين ونسب له رسالة السيف والقلم ، كما نبه الى خطأ الاستاذ هنرى بيرس الذى عزا الى ابن برد الحفيد بيعة (شنجول) ، ابن المنصور العامرى ، بولاية العهد للخليفة هشام الثانى ، وعزا له كذلك رسالتين مكتوبتين باسم سليمان المعتصم وهما من انشاء ابن برد الجد ، وفى الفصل الذى كتبه عن ابى حفص عمر بن الشهيد ، بين كذلك (وهم) الاستاذ هنرى بيرس فى حكمه بوجود مشابه واضحة بين رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد وبين مقامة لابن الشهيد من مرويات الذخيرة . والامثلة من هذا القبيل كثيرة .

ب — وفضلا عن اهتمام المؤلف بتتبع مظاهر التأثير الذى كان لبعض النماذج الكتابية التى درسها ، فى منشآت الناثرين الاندلسيين وغير الاندلسيين من مثل تأثير رسالة السيف والقلم لابن برد فيما كتبه ابن غالب الرصافى (— 572 هـ / 1177 م) وابن نباتة المصرى (— 716 هـ / 1316 م) ، فضلا عن مثل هذا التأثير فاننا نجده يستقصى ما كان لتلك الآثار من تأثير ، تجاوزت به دائرة لغتها وادبها ، الى آفاق لغوية وادبية اخرى ، مما (يطعم) بعض فصول الكتاب بنكهة ممتعة ، ندعوها (ادبا مقارنا) ، فمن ذلك عنايته بالكشف عن تأثر الكتاب اليهود فى الاندلس ببعض النصوص العربية التى درسها ، وهكذا عرض لتأثير رسالة السيف والقلم نفسها فى احدى مقامات الحريزى ، الكاتب اليهودى الاندلسى الذائع الصيت ، التى سماها (صفر تحكمونى) ، وفى احدى قطع Les contes rimés ليعقوببن اهزار الطليطلى،وهو احد كتاب يهود الاندلس فى القرن الثالث عشر الميلادى كما عرض لتأثير مقامة عمر ابن الشهيد فى المقامة العاشرة من مقامات (صفر تحكمونى) سالفة الذكر ومن هذا القبيل ، لفتات اخرى فى بعض فصول الكتاب .

ج — والى ذلك جميعه ، وحرصا من المؤلف على الافادة والتدقيق معا ، فقد اهتم باثبات النصوص العربية لبعض النماذج التى درسها والتى لا تزال مصادرها مخطوطة ، وهكذا اورد فى نهاية الفصل الذى افرد به ابن غالب الرصافى ، النص العربى كما روى له ابن الخطيب من مقامته فى وصف القلم ، كما اورد بآخر الفصل الذى خص به ابا البقاء الرندى ، نص رسالة ابى بكر البرذعى ونص جواب ابى البقاء عليها ، نقلا عن روضة الانس .

د — وبرغم أن النصوص النثرية التى درسها المؤلف ، صيغت كلها فى اسلوب مسجوع ، كثير التنميق والتوشية ، الامر الذى تصبح معه عملية نقلها الى لغة اخرى على جانب من العسر ليس يخفى ، وبرغم ان المؤلف نفسه يعترف بذلك فان من الانصاف أن

نعترف له بالاجادة فيما ترجم ، والبراعة فيما نقل ، ولولا ضيق المجال لضربنا ، على ذلك ، الامثلة . وهنا تجدر الاشارة الى أن النصوص التى ترجمها استاذنا الدكتور فرناندو دى لاكرانخا فى هذا الكتاب والتى تؤلف فى مجموعها منتخبا موجزا من عطاءات الناثرين الاندلسيين فيما بين القرنين الخامس والثامن الهجريين (الحادى عشر والخامس عشر الميلاديان) ، لم يسبق ترجمتها الى اية لغة اخرى ، كما ان جل اصحاب تلك النصوص لم يسبق التعريف بهم على الوجه الاكمل والمستوفى ، واذن ، فاذا كان من حق الدكتور دى لاكرانخا علينا أن نذكر له ريادته فى ترجمة تلك النماذج من النثر الاندلسى ، فانه ينبغى لنا كذلك أن نذكر له سبقه على افراد تلك النماذج وكتابها بدراسات علمية ، فيها من الاحاطة بقدر ما فيها من الموضوعية، وفيها من التحقيق بقدر ما فيها من الاناة ، وكل هذا انما يؤكد فضل استاذنا دى لاكرانخا فى الكشف عن جانب من تراث العربية فى اسبانيا الاسلامية والتعريف به لدى القارىء الاسبانى .

ان هناك قوما يسيطرون على أرض واسعة تزخر بالخيرات الظاهرة والمغمورة، وتسيطر على ملتقى طرق العالم .. وهى موطن الحضارات الانسانية والاديان ، ويجمع هؤلاء القوم ديانة واحدة ولغة واحدة وتاريخ واحد وآمال واحدة . وليس هناك اى حاجز طبيعى يعزل القوم من الاتصال ببعضهم البعض .. ولو حدث واتحدت هذه الامة فى دولة واحدة فى يوم من الايام لتحكمت فى مصير العالم ولعزلت أوروبا عنه ، ولذلك يجب زرع جسم غريب فى قلب هذه الامة يكون عازلا من التقاء جناحيها ويشتت قواها فى حروب مستمرة ورأس جسر ينفذ اليه الغرب لتحقيق مطامحه » .

عن تقرير سرى كتبه كامبل
بيترمان رئيس وزراء بريطانيا
عام 1902

طابع الاسلام بين الأديان

للأستاذ محمد المنوني

* قدمت هذه الدراسة الى المؤتمر الاسلامي العالمي للسيرة النبوية ، المنعقد في باكستان من 1 الى 12 ربيع النبوي 1396 هـ / 14 مارس 1976 م ، على ان ننشر في العدد التالي – بمشيئة الله سبحانه – موضوع الباكستان وسير المؤتمر .

تهدف هذه المحاولة الى تبرير الخصائص التي تشخص الاسلام ، وتميزه على الملل والاهواء التي كانت منتشرة عند ظهور الدين الجديد .

وقد عاصر هذه الفترة بالجزيرة العربية تقاليد العرب الجاهلية . والطقوس المبتدعة لليهودية والنصرانية .

وعلى حدود الجزيرة انتشرت النحلة المجوسية في دولة الفرس ، بينما اعتنق الرومان المسيحية : الديانة التي أخذ بها عرب الحيرة بالعراق ، وغسان بالشام ، كما انتشرت بين أقباط مصر وفي الحبشة ، ودخلت شمال افريقية واسبانيا وما وراءها ، على اختلاف في الفرق والكنائس التي يتبعها معتنقو المسيحية هنا وهناك .

ومن الواضح أنه كان لهذه الملل – العربية وسواها – تقاليد وطقوس مستمدة من معتقداتها ، وهو ما ستتبين نماذج منه عند مقارنتها ببديلها الذي جاء به الاسلام ، أو بمناسبة ما أقره – من ذلك أو عدله – الدين الجديد .

ونشير أولا الى طبيعة التجديد المستمر من هدي السيرة النبوية الكريمة ، فهو لم يأت على وتيرة واحدة ، وسار في اتجاهات تتنوع تبعا للمصلحة التشريعية .

فقد بعث الاسلام ما تناسى مما جاءت به الشرائع السابقة من أصول عامة ، "وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه" سورة المائدة : 50 ، كما أقر عادات وتقاليد قديمة وكسا هذا وذاك ثوب المشروعية ، ومن ذلك واقع تجديد الملة الإبراهيمية ، وواقع أحكام تكاتمها اليهود أو عدلوها ، ثم اعادها القرآن الكريم الى وضعها الشرعي ، متمثلة في تحرير الربا ، وحد الزنا ، وحد السرقة ، وما الى ذلك .

والى هذا يأتي التجديد – تارة أخرى – بالإبقاء على أصل الشعيرة مع المخالفة في صفتها ، كحال الصلاة والصيام بالنسبة لشكلها عند الكتابيين ، وكحال الحج بالمقارنة مع صفته لدى المشركين العرب (1).

على أن الحالة الواضحة – أكثر – في عملية التجديد الاسلامي ، انما تبدو في العمل على هدم مخلفات الجاهلية الباطلة ، وطمس عادات الملل الاخرى ، واقامة نظم جديدة بديلة عن هذه وتلك .

وبالنسبة للمشركين العرب : أعلن الاسلام بالإجهاز على باطلهم في عدة مناسبات ، فقال رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم – في خطاب فتح مكة المكرمة :

".. يا معشر قريش : ان الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالاباء ، والناس من آدم ، وآدم من تراب . ثم تلا مولانا صلى الله عليه وسلم : يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله أتقاكم" .الأية (2).

وبعد هذا يخطب الرسول الاعظم ، صلوات الله عليه وآله وسلم ، على جموع المومنين في حجة الوداع ، ويأتي في النطق النبوي الكريم ، قوله عليه السلام : "ألا وكل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع" (3). ويعلق الامام ابن تيمية على هذه الفقرة ويقول (4) : "وهذا يدخل فيه ما كانوا عليه من العبادات والعادات ، مثل دعواهم يال فلان ويال فلان ، ومثل أعيادهم وغير ذلك من أمورهم .. و يدخل في هذا اللفظ ما كانوا عليه في الجاهلية ، وأقره الله في الاسلام ، كالمناسك ، وكدية المقتول بمائة ، وكالقسامة ونحو ذلك ..." .

والى جانب موقف الاسلام من الجاهلية ، حظر بصفة قاطعة التشبه بالملل والاديان الاخرى ، بما أن هذه الظاهرة يذوب معها كل تجديد ، فتفقد الدين ميزته ، وتجعله في مركز المغلوب التابع للغالب ، ولهذا يقول مولانا صلى الله عليه وآله وسلم : "من تشبه بقوم فهو منهم" (5).

قال الامام ابن تيمية (6) : ".. ان من أصل دروس دين الله وشرائعه ، وظهور الكفر والمعاصي ، التشبه بالكافرين .." (7).

وقال في مناسبة أخرى : "... وهذا يوجب العلم اليقيني بأن إمام المتقين ، كان يمنع أمته منعا قويا عن أعياد الكفار ، ويسعى في دروسها وطموسها بكل سبيل" .

وقد أكثر مولانا – عليه وآله أفضل الصلاة والسلام– من مخالفة اليهود في التشريعات ، حتى قالوا : "ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا الا خالفنا فيه" (8)..

فهذا يدل – حسب ابن تيمية (9) على كثرة ما شرعه الله لنبيه من مخالفة اليهود ، بل على أنه خالفهم في عامة أمورهم حتى قالوا : ما يريد أن يدع من أمرنا شيئا الا خالفنا فيه .

قال ابن حجر (10) : "وقد جمعت المسائل التي وردت الاحاديث فيها بمخالفة أهل الكتاب ، فزادت على الثلاثين حكما" .

ومن هدي السيرة النبوية في مخالفة النصارى ما جاء به عن أبي قلابة رضي الله تعالى عنه قال : "أراد ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يرفضوا الدنيا ، ويتركوا النساء ، ويترهبوا ، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فغلظ فيهم المقالة ، ثم قال انما هلك من كان قبلكم بالتشديد ، شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فأولئك بقاياهم في الاديار والصوامع ، فأعبدوا الله ولا تشركوا به ، وحجوا ، واعتمروا ، واستقيموا يستقم بكم ، قال ونزلت فيهم يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ، ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين" (11) .

ومن نماذج مخالفة الاسلام للمجوس "نهيه – عليه السلام – عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت الغروب" ، وعلل ذلك بأنها تطلع وتغرب بين قرني شيطان ، وأنه – حينئذ – يسجد لها الكفار (12) .

فهذه بضعة نماذج مختارة بين مثيلات لها ذوات عدد ، وكلها تبرز موقف الإسلام ، في العمل على هدم مخلفات الكفر أياكانت صفته ، حتى تكون هذه الظاهرة عنصرا رئيسيا في طبيعة التجديد الذي بعث به صاحب السيرة النبوية ، عليه وآله أفضل الصلاة والسلام .

ومن الجدير بالاعتبار ، أن الصحابة الاولين رضوان الله تعالى عنهم ، قد اغتبطوا بالخصائص التي تميز الدين الجديد عن الحياة الجاهلية ، واعتزوا بمعطياتها معلنين بها في المحافل الكبرى ، وهو ما يشيد به جعفر بن أبي طالب في مخاطبته للنجاشي عاهل الحبشة :

"كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الاصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الارحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف .

فكنا على ذلك ، حتى بعث الله الينا رسولا منا ، نعرف نسبه ، وصدقه ، وأمانته ، وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا — من دونه — من الحجارة والاوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الامانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة ، والزكاة والصيام .

وبعدما عدد أمور الاسلام قال : فصدقناه ، وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ..." (13).

+++

والآن بعد هذا المدخل ، نلقي نظرة سريعة على معالم الاسلام : في المعتقدات ، والعبادات ، والاخلاق ، والاسرة ، لياتي — بعد ذلك — تحليل طابع الاسلام بالنسبة للتفكير واللغة والعادات .

ونشير — أولا — الى ظاهرة انتشار الاسلام بشكل خارق في امر يسير ، فلم يات عهد الخليفة الثالث : عثمان بن عفان رضي الله عنه ، حتى كان الدين الجديد ، ومعه القرآن الكريم ، يعم الجزيرة العربية ، وسائر الشرق الاوسط ، ودخل بلاد فارس والروم ، والمومنون كلهم أمة واحدة ، ودين واحد ، ومقالة واحدة ، وهذ ما يلاحظه الإمام ابن حزم (14) ، ويشرحه حسب الفقرة التالية .

"مات رسول الله صلى الله عليه وسلم والإسلام قد انتشر ، وظهر في جميع جزيرة العرب من منقطع البحر المعروف ببحر القلزم ، مارا إلى سواحل اليمن كلها ، الى بحر فارس الى منقطعه ، مارا الى الفرات ، ثم على ضفة الفرات إلى منقطع الشام ، إلى بحر القلزم ، وفي هذه الجزيرة من المدن والقرى مالا يعرف عدده إلا الله عز وجل ، كاليمن والبحرين وعمان ونجد وجبلي طي وبلاد مضر وربيعة وقضاعة والطائف ، ومكة ، كلهم قد أسلم وبنوا المساجد ، ليس منها مدينة ولا قرية ولا حلة لاعراب ، إلا وقد قرأ فيها القرآن في الصلوات ، وعلمه الصبيان والرجال والنساء وكتب ، ومات رسول الله — صلى الله عليه وسلم — والمسلمون — كذلك ليس بينهم اختلاف في شيء أصلا ، بل كلهم أمة واحدة ، ودين واحد ومقالة واحدة ..

ثم ولى أبو بكر سنتين وستة أشهر ، فغزى فارس والروم وفتح اليمامة ، وزادت قراءة الناس القرآن ...

ثم مات أبو بكر وولى عمر ، ففتحت بلاد الفرس طولا وعرضا ، وفتحت الشام كلها ، والجزيرة ومصر كلها ، ولم يبق بلد الا وبنيت فيه المساجد ، ونسخت فيه المصاحف ، وقرأ الائمة القرآن ، وعلمه الصبيان في

المكاتب شرقا وغربا ، وبقي كذلك عشرة أعوام وأشهرا ، والمومنـون كلهم لا اختلاف بينهـم في شيء ، بل ملة واحدة ، ومقالة واحدة ...

ثم ولى عثمان فزادت الفتوح واتسع الامر ، فلو رام أحد إحصاء مصاحف أهل الإسلام ما قدر ..".

+++

وقد ميز الدين شعيرة الصلاة بشكل الإعلام الجديد للحضور لها ، متمثلا لذلك في صيغة الأذان الإسلامي ، زاده الله - سبحانه - عزة ودواما ، وهي ظاهرة اندهش لها اليهود ، حتى قالوا للنبي عليه السلام : "لقد أبدعت شيئا لم يكن فيما مضى (15) "، هذا فضلا عن ميزات أخرى تحلت بها الشعيرة ذاتهـا .

ومن الخصائص الاسلامية للصيام ما جاء في الحديث الشريف الذي يقول : "لا يزال الدين ظاهرا ما عجـل الناس الفطر ، لان اليهود والنصارى يؤخرون" (16).

وعن الحج يقول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إن المشركين كانوا لا يفيضون من جمع حتى تطلع الشمس ، ويقولون : أشرق ثبير ، وان النبي -صلى الله عليه وسلم-خالفهم ثم أفاض قبل أن تطلع الشمس" (17)

ومن بين الاخلاق التي أتى بها الاسلام أو أحيا العمل بها ، نشير إلى الاهتمام بالنظافة : الصفة التي صـارت مبنى الإسلام في عباداته وعاداته .

ان الله - تعالى - طيب . يحب الطيب ، نظيـف يحب النظافة (18) . وعن سيدنا جابر بن عبد الله قال : تانا مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرأى رجلا شعثا قد تفرق شعره، فقال: أما كان يجد هذا ما يغسل به شعره ، ورأى رجلا آخر عليه ثياب وسخة ، فقال : أما كان يجد هذا ماء يغسل به ثوبه (19).

ومن سيرة النبي - عليه السلام - في هذا الاتجاه، أن أم الدرداء قالت لمولاتنا عائشة : ما كنت إذا سافرت مع النبي صلى الله عليه وسلم أو حججت أو غزوت معه : ما كنت تزودينه ؟ قالت : كنت أزوده قارورة دهـن ، ومشطا ومرءاة ، ومقصا ، ومكحلة ، وسواكا (20).

وفي نظافة البيوت جاء الحديث النبوي: "نظفوا أفنيتكم، ولا تشبهوا باليهود : تجمع الاكباء في دورها" (21)

وفي لفظ آخر : "طهروا أفنيتكم ، فان اليهـود لا تنظف أفنيتهـا" (22) .

ومن الواقع التاريخي في هذا الصدد : أن سيدنا عمر ابن الخطاب وجد في فناء دار سيدنا أبي سفيان قمامات ، فضربه بالدرة ، وأمره بتنظيفها (23).

ومن هدي السيرة النبوية في نظافة المأكول والمشروب ما ثبت أنه - صلى الله عليه وآله وسلم - "كان يوتـي بالتمر ليأكله فيه دود ، فيفتشه يخرج السوس منه" (24)

وفي حديث الهجرة الى المدينة المنورة : وردت قصة الراعي الذي صادفه سيدنا أبو بكر الصديق في الطريـق واستمنحه لبنا ، وقبل حلب الشاة أمره رفيق الغار رضي الله عنه ، بأن ينفض ضرعها من التراب والشعر والقذى ، ثم أمره أن ينفض كفيه قبل أن يباشر الحلب (25) .

ومن ملحقات نظافة الماكول : حديث : "لا تشموا الطعام كما تشمه السباع" (26).

وحديث : " بركـة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده (27)" بمعنى غسل اليدين في الحالتين معا. وحديث : "من نام وفي يده غمر ولم يغسله فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه" (28).

وقد كانت النظافة من أهداف خصال الفطرة التي بعث الإسلام العمل بها ، ومنها الختان ، والاستحداد ،ونتف الإبط ، وتقليم الاظفار ، وقص الشارب ، وإعفاءاللحية ، وغسل البراجم ، والاستنجاء ، والانتضاح (29) .

ويبرز ابن حجر (30) أهمية هذه الاخلاق في نظافة المسلم وتجميل ظاهره وباطنه ويقول . " ويتعلق بهذه الخصال مصالح دينية ودنيوية تدرك بالتتبع ، منها تحسين الهيئة ، وتنظيف البـدن جملـة وتفصيلا ، والاحتيـاط

لاطهارتين، والإحسان إلى المخالط والمقارن بكف ما يتأذى به من رائحة كريهة، ومخالفة شعار الكفار من المجوس واليهود والنصارى وعباد الاوثان، وامتثال أمير الشارع، والمحافظة على ما أشار اليه قوله — تعالى — «وصوركم فأحسن صوركم» لما في المحافظة على هذه الخصال من مناسبة ذلك، وكأنه قيل: قد حسنت صوركم فلا تشوهوها بما يقبحها، أو حافظوا على ما يستمر وبه حسنها وفي المحافظة عليها محافظة على المروءة، على التآلف المطلوب، لان الإنسان إذا بدا في الهيئة الجميلة كان أدعى لانبساط النفس إليه، فيقبل قوله، ويحمد رأيه، والعكس بالعكس".

وقد رأينا من أعمال الفطرة خصلة السواك، وجاء الحض عليه — أيضا — في حديث: "لولا أن أشق على أمتي لامرتهم بالسواك"، رواه مالك في الموطأ، زاد البخاري: مع كل صلاة، وفي رواية أحمد: "مع الوضوء" بدل الصلاة (31).

وفي حديث مولاتنا عائشة: السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب (32)، "قال الإمام النووي (33): هو مستحب في جميع الاوقات، ويتأكد في خمسة أوقات: عند الصلاة وعند الوضوء، وعند قراءة القرآن، وعند الاستيقاظ من النوم، وعند تغير الفم بأكل ماله رائحة، أو ترك الاكل، أو طول السكوت، أو كثرة الكلام".

+++

وننتقل — الأن — إلى نظام الاسرة، لنوضح أن الإسلام قضى على تقاليد الجاهلية في هذا القطاع قضاء حاسما.

في ميدان الحياة الزوجية:

أ — نظم الدين الجديد عملية الزواج في وضعها الإسلامي، وألغى أشكال النكاح الجاهلي (34).

ب) كان الجاهلي يتزوج العشر من النساء والاكثر والاقل، فجاء القرآن بتقليل العدد والعدل بين النساء، "فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع، فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت ايمانكم، ذلك أدنى أن لا تعولوا" سورة النساء: 3.

ج — حظر التشريع الجديد التزوج بنساء الآباء والجمع بين الاختين، ضمن ما حرم نكاحه من جهة النسب أو الرضاع: الايتان من سورة النساء: 22 — 23.

د — شرع عدة المطلقة، وحدد عدة المتوفي عنها بأربعة أشهر وعشر بدلا من سنة، الايتان من سورة البقرة: 226، 232.

وفي العلاقات الابوية: منعت الرسالة المحمدية قتل الاولاد، وجعلت الكف عن هذه الجريمة ضمن التزامات بيعة النساء: «يا أيها النبيء إذا جاءك المومنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا»: الاية 12 من سورة الممتحنة.

وكان الرجل يتبنى غير ولده ويلحقه ببنيه، فيصير في رتبة الإبن الحقيقي، فجاء القرآن بإبطال حكم هذه القاعدة، "ادعوهم لابائهم هو أقسط عند الله" الاية من سورة الأحزاب: 5

ومن الوجهة الاخلاقية: نهى الإسلام المرأة أن تظهر من زينتها ومحاسنها ما تثير به شهوة الرجل وهو تبرج الجاهلية الاولى، وقد قرنه حديث نبوي بالتزامات بيعة النساء (35).

وبالنسبة للتركات: كان العرب لا يورثون النساء ولا الصبيان، ولا يورثون إلا من حاز الغنيمة، وقاتل على ظهور الخيل. فجاء الإسلام بإبطال ذلك كله، ونظم الميراث تنظيما عادلا، "للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون"

الاية 7 من سورة النساء ، مع الايات 11، 12، 175 من نفـس السورة .

وأخيرا : فقد كان حرص السيرة النبوية عظيما على استدامة تمتع المومنات بالحقوق التي خولهـن الإسلام ، فأوصى الرسول – عليه السلام – بالنساء خيرا في حجة الوداع ، ومنع الرجال من معاملتهن بالظلم ، وحضهم على معاشرتهن بالمعروف . عن الصحابي عمرو بـــن الاحوص ، أنه شهد حجة الوداع مع النبي صلى الله – تعالى – عليه وآله وسلم ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر ووعظ ، ثم قال : ألا واستوصوا بالنساء خيرا ، فإنما هن عندكم عوان ، ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك ، الحديث ، أخرجه الترمذي وصححه (36).

وفي سياق نفس الخطبة عند مسلم (37): فاتقوا الله في النساء، فانكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمـــة الله ..

وإلى هنا فقد قدم هذا العرض نماذج معدودة مـــن معطيات الطابـع الإسلامي في العقيـدة والعبادات ، والاخلاق والاسرة ، ويصل بنا المطاف إلى شـــرح المشخصات الإسلامية في التفكير واللغة والعادات .

ففي مجال التفكير : يحض الإسلام أتباعه على النظر – بكامل الحرية – في عجائب السماوات والارض ، ويريد منهم أن يتعمقوا ويستنتجوا ويبتكروا ، غير انه حماهم من البحث في موضوعات معينـة :

إما لان العقل البشري يقف دون الوصول الى حقائقها.

وإما لانها لا ينبني عليها حكم تكليفي .

أو موضوعات يفضي الاشتغال بها إلى الاوهـــام والخيـالات .

ومن نماذج القسم الاول : البحث في السمعيـات الغيبيـة .

"ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربـي ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ، سورة الإسراء : 85 .

إشارة إلى أن العقلية البشرية – مهما تقدمت – فـلا ترقى إلى معرفة حقيقة الروح ، فكان التفكير في هـذه مضيعة للوقت الذي يمكن أن يصرف في استكشـاف الحقائق ذات المخرج الواضـح .

وفي الآية الكريمة الاخرى : "يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، فيم أنت من ذكراها ، الى ربك منتهاها" ، سورة والنازعات : 41 – 43 .

وفي حديث جبريل – عليه السلام – عند سؤاله متى الساعة : "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل" ، قـال الإمام القرطبي (38): "مقصود هذا السؤال ، كف السامعين عن السؤال عن وقت الساعة ، لانهم كانوا قد أكثـروا السؤال عنها كما ورد في كثير من الأيات والاحاديث ، فلما حصل الجواب بما ذكر هنـا حصل اليـأس مـن معرفتهـا" .

وفي نفس الاتجاه ياتي البحث في مدة بقاء الدنيا، (39) وقد عني به أفراد من العلماء ، وقد روا لنهاية هذا العالم تقديرات مختلفة ، غير أنه يتبين – مع مر الزمن – خطأ هذه التقديرات ، وعقم تلك الابحاث التي ضاع فـي الاشتغال بها زمن ليس باليسير (40) .

وننتقل – الآن – إلى القسم الثاني : مع الموضوعات التي لا ينبني عليها حكم تكليفي ، ومن نماذجها الاشتغال بتفسير المتشابهات الواردة بالقرآن الكريم والحديـث النبوي الشريف ، وهي التعابير المحتملات لمعان كثيـرة لا تتضح تفاصيلها ، حيث لم ينصب لنا دليل على فهـم المراد منها (41)، وذلك كالوجه والعين واليد والمجيء، المنسوبات للذات العلية ، ومثل الرحمان على العـرش استوى ، وحديث النزول ..

وقد بين القرآن الكريم أن التكليف في المتشابهات ،

لا يعدو الإيمان بها على المعنى المراد منها عند الله سبحانه (42)، كما حذر الحديث الشريف من الخوض في تتبع ما وراء ذلك، عن مولاتنا عائشة رضوان الله – تعالى – عنهـا قالت: تلا مولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، "هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله، وما يعلم تأويله إلا الله، والراسخون في العلم يقولون: آمنا به كل من عند ربنا، وما يذكر الا أولو الالباب.

قالت (مولاتنا عائشة): قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّى الله عز وجل، فاحذروهم" (43).

ويستنتج الشاطبي (44) من صدر الأية الكريمة، أن مقدار الوارد من المتشابهات قليل بالنسبة للمحكمات، حيث يقول القرآن العزيز عن هذه: هن أم الكتاب، بمعنى معظمه وأكثره، بينما يقول في المقابل: وآخر متشابهات إشارة لقلتها إزاء سابقاتها.

على أن ابن حزم (45) يخصص المتشابه في القرآن بنوعين لا ثالث لهما: الحروف المقطعة في أوائل بعض السور، مع الاقسام الواردة أوائل سور أخرى: كالذاريات ونحوها.

ومن لواحق هذا الموضوع، ورد النهي صراحة عن الاسترسال في التفكير في كنه الذات العلية، في حديث أنس ابن مالك: "لن يبرح الناس يتساءلون: حتى يقولوا هذا الله خالق كل شيء. فمن خلق ربك. فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته" (46).

قال القاضي عياض (47): "ومعنى لينته: وليقف عن التخطي الى ما بعد وجوده تعالى. وما يجب له وما يستحيل عليه. فانه غاية ما ينتهي العقل اليه، ويكف عن التفكير فيما سوى ذلك".

ومن توابع الموضوع ذاته: التفكير فيما يفضي الى الجدال في الدين "وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره"، سورة الانعام: 68، وفي الحديث الشريف: "فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم"، (48) وقد ذكر الشاطبي بيانا ببعض المواضع التي يكره فيها السؤال (49).

ومنها: السؤال عما لا ينفع في الدين، والسؤال عن شرار المسائل وهي الاغلوطات، أو يبلغ السائل بمسألته الى حد التكلف والتعمق، أو يظهر من السؤال معارضة الكتاب والسنة بالرأي، أو ياتي السؤال على شكل التعنت والإفحام، وطلب الغلبة في الخصام.

وبهذه الامثلة الخمسة ينتهي عرض نماذج من الموضوعات التي لا ينبني عليها حكم تكليفي، فلا تكون مجالا للتفكير الإسلامي، شأنها في ذلك شأن سابقتها، وهي المسائل التي يقف العقل البشري دون الوصول إلى حقائقها.

ونتخلص – الآن – إلى النقطة الثالثة من نفس الاتجاه لنلتقي مع موقف الإسلام من التفكير الذي يؤدي إلى التعلق بالاوهام والخيالات، ومن ذلك اعتقاد الشؤم أو الخير في أشياء معينة، ومنه ما يسمى بالتطير، أو الهامة، وهذه اسم طائر كانوا في الجاهلية يتشاءمون به، ومن ذلك – أيضا – السحر والكهانة والعرافة والاستسقاء بالانواء وهي النجوم. والاستقسام بالازلام، ومنا الى هذه النماذج.

وقد شن الإسلام حربا شعواء على شغل الفكر بهذه الاوهام والخيالات، وجاء في ذلك أحاديث نبوية عديدة منها:

لا عدوى ولا صفر ولا هامة (50).

ليس منا من تطير ولا من تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو تسحر أو تسحر له (51).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم وآله للصحابة إثر مطر من الليل : هل تدرون ما قال ربكم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال أصبح من عبادي مومن بي وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مومن بي كافر بالكواكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فهو كافر بي مومن بالكواكب (51).

ومن كلام العلماء في هذا الاتجاه ، ما لابن العربي عند آية (53) : "وأن تستقسموا بالازلام" ، حيث يقول : "معناه تطلبوا ما قسم لكم وجعل من حظوظكم وآمالكم ومنافعكم ، وهو محرم فسق ، فمن فعله ، فانه تعرض لعلم الغيب ، ولا يجوز لاحد من خلق الله أن يتعرض للغيب ويطلبه" ...

وقال الإمام المازري (54)عن الكهان : "إن اتبانهم يؤدي إلى تغيير الشرع بما يلبسون به من أخبارهم عن الغيب".

وهنا ينتهي عرض المشخصات الإسلامية في مجال التفكير . ويأتي — بعدها — التعقيب بذكر مصادر البحث الإسلامي في الشؤون الدينية . وقد حددها الرسول — عليه وآله الصلاة والسلام — في القرآن الكريم ومشتقاته . ولهذا يشتد الإنكار النبوي على من يشتغل بغير ذلك . أتى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه النبي — صلى الله عليه وعلى آله وسلم — بكتاب أصابه من بعض اليهود ، فلما قرأه على مولانا عليه السلام ، غضب وقال : "لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به ، أو بباطل فتصدقوا به . والذي نفسي بيده : لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني" (55)

وترجم البخاري آخر كتاب الاعتصام : باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : "لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء" وساق حديث : "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وما أنزل اليكم الآية".

ثم ساق عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما : "كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء ، وكتابكم الذي أنزل على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أحدث (الكتب) ، تقرؤونه محضا لم يشب ، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه .. لا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ، لا — والله — رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذين أنزل عليكم" (56).

وبالنسبة لغير توراة اليهود ، نشير إلى مجلة لقمان ، وهي صحيفة فيها حكمته ، وكانت مع سويدين صامت أخي بني عمر بن عوف من الخزرج ، وقد ذكرها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما سمعها منه قال له : "ان هذا لكلام حسن ، والذي معي أفضل من هذا : قرآن أنزله الله — تعالى — علي ، هو هدى ونور" (57).

وفي هذا الصدد أيضا جاء أن النبي — صلى الله عليه وسلم — أتي بكتاب في كتف ، فقال : كفى بقوم حمقا أو ضلالة ، أن يرغبوا عما جاء به نبيهم الى نبي غير نبيهم ، أو كتاب غير كتابهم ، فأنزل الله عز وجل : أو لم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ، الآية" (58).

وعن مواقف الصحابة : نحيل على ما ورد عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله — تعالى — عنه ، فقد أتاه رجل فقال يا أمير المؤمنين : إنا لما فتحنا المدائن أصبت كتابا فيه كلام معجب ، قال : أمن كتاب الله ؟ ، قال لا ، فدعا بالدرة فجعل يضربه بها ، فجعل يقرأ ، "الر ، تلك آيات الكتاب المبين ، إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون" ، الى قوله تعالى : "وإن كنت من قبله لمن الغافلين" ، ثم قال الخليفة الراشد : انما أهلك من كان قبلكم ، أنهم أقبلوا على كتب علمائهم وأساقفتهم ، وتركوا التوراة والإنجيل حتى درسا ، وذهب ما فيهما من العلم (59) .

وعلم نفس الخليفة أن رجلا كتب كتاب النبي دانيال عليه السلام ، فأحضره لديه ، وما زال يعنفه حتى أقسم ليمحون ما كتب (60) .

وكان سيدنا عمران بن حصين رضي الله عنهما يروي

حديث : الحياء لا يأتي إلا بخير ، فقال له بشير بن كعب : مكتوب في الحكمة ، "إن من الحياء وقارا ، وإن من الحياء سكينة " فاشتد غضب الصحابي راوي الحديث على مخاطبه ، وقال له ، وقد احمرت عيناه : "أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتحدثني عن صحيفتك" (61).

وقد أخذ عدد من أعلام الفكر الإسلامي بهذه المستندات، فحرموا على المسلمين الرجوع إلى التوراة والإنجيل. قال الإمام ابن تيمية (62) وهو يتحدث عن اليهود:

"...فأما مجرد الرجوع إلى قولهم أو إلى ما في كتبهم فلا يجوز بالاتفاق ، والنبي — صلى الله عليه وسلم — وإن كان قد استخبرهم فأخبروه ، ووقف على ما في التوراة ، فإنما ذلك لانه لا يروج عليه باطلهم ، بل الله — سبحانه — يعرفه ما يكذبون مما يصدقون ، كما أخبره بكذبهم غير مرة، وأما نحن، فلا نأمن أن يحدثونا بالكذب.." (63).

وبعد ابن تيمية يحكي الزركشي الإجماع على عدم جواز والاشتغال بكتابة التوراة والإنجيل ونظرهما .

ثم ألف السخاوي كتابه : "الاصل الاصيل في تحريم النقل من التوراة والإنجيل" (64)

والأن ، بعد طابع التفكير الاسلامي ، ننقل الكلام إلى ميزة اللغة التي صارت شعار الملة المحمدية .

وقد جاء الإسلام ولغات الامم —التي تتوجه الدعوة لها — مختلفة ، فإلى جانب العربية، كانت العبرية والفارسية واللاتينية والقبطية والحبشية ، وسواها وسواها ، غير أن الدين الجديد اختار اللسان الذي نزل به القرآن الكريم ، وهو الذي يقول عنه ابن تيمية (65) : "إن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله ، واللغات من أعظم شعائر الامم التي بها يتميزون" .

ويوجه نفس المصدر (66) هذا الاختيار : "إن الله لما أنزل كتابه باللسان العربي ، وجعل رسوله مبلغا عنه الكتاب والحكمة بلسانه العربي ، وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به ، لم يكن سبيل الى ضبط الدين ومعرفته إلا بضبط هذا اللسان ، وصارت معرفته من الدين ، وصار اعتياد التكلم به أسهل على أهل الدين في معرفة دين الله ، وأقرب إلى إقامة شعائر الدين ، وأقرب إلى مشابهتهم للسابقين الاولين — من المهاجرين والانصار — في جميع أمورهم" .

وقبل ابن تيمية تناول الإمام الشافعي(67) هذا الشعار ، وعرض الاحتجاج له في فقرات مطولة جاء فيها :

".. فإذا كانت الالسنة مختلفة بما لا يفهمه بعضهم عن بعض ، فلا بد أن يكون بعضهم تبعا لبعض ، وأن يكون الفضل في اللسان المتبع على التابع ، وأولى الناس بالفضل في اللسان ، من لسانه لسان النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يجوز — والله تعالى أعلم — أن يكون أهل لسانه أتباعا لاهل لسان غير لسانه في حرف واحد ، بل كل لسان تبع للسانه ، وكل أهل دين قبله فعليهم أتباع دينه" .

والإمام الشافعي يوضح الحالات التي يعتبر فيها تعلم اللسان العربي إجباريا ، كما يشير للمناسبات التي يحسن فيها الفقه في العربية ، دون أن يكون ذلك إلزاميا ، وهكذا يقول في كتابه "الرسالة" :

"فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده ، حتى يشهد أن لا إلاه إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله ، ويتلو به كتاب الله تعالى ، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك . وما ازداد من العلم باللسان — الذي جعله الله لسان من ختم به نبوته ، وأنزل به آخر كتبه — كان خيرا له.." .

وهذه الخيرية في تعبير الشافعي ، واضحة في الدلالة على مرونة الإسلام ، عندما يقتضي الحال استخدام لغة سوى العربية ، وهي نقطة حللها مؤلف "الصراط

المستقيم (68) قائلا " ولهذا نقول: ينبغي لكل أحد يقدر على تعلم العربية أن يتعلمها ، لانها اللسان الاولى بأن يكون مرغوبا فيه ، من غير أن يحرم على أحد أن ينطق بالعجمية ..

.. وأما اعتياد الخطاب بغير العربية – التي هي شعار الإسلام ، ولغة القرآن – حتى يصير ذلك عادة للمصر وأهله ، ولاهل الدار ، وللرجل مع صاحبه ، ولاهل السوق ، أو للأمراء ، أو لاهل الديوان ، أو لاهل الفقه ، فلا ريب أن هذا مكروه ، فانه من التشبه بالاعاجم . وهو مكروه".

وهكذا نتبين من هذا العرض ، ان الإسلام جعل من اللسان العربي لغته الرسمية ، وشعاره الذي يتميز به عن الاديان الاخرى ، ومع مر الزمن لم تبق هذه الظاهرة قاصرة على المجالات الدينية ، وإنما ولجت ميادين الإدارة والاقتصاد والعلوم .

ومن نماذج هذا التطور أنه لما توفر المسلمون على الاطر العربية ، بادروا – في العصر الاموي – إلى نقل ديواني الخراج والجبايات إلى اللغة العربية ، بدلا عن الفارسية في دواوين العراق ، وعوضا عن اللاتينية بالشام ، وعن القبطية بمصر (69) .

وقد كان المسلمون الاولون يتداولون النقود الاجنبية : الفارسية والرومانية . ولما تركز الدين ، بدأوا في ضرب السكة العربية من أيام الخليفة الراشد : عمر بن الخطاب ، ثم انتظم عمل النقود الإسلامية من عهد الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان (70) .

ثم ازدهرت – بعد هذا – حركة تعريب العلوم والآداب في صدر الدولة العباسية ، فترجمت المؤلفات المتنوعة إلى لغة الإسلام ، بدلا عن لغات أجنبية ، وفيها اليونانية ، والفارسية ، والهندية ، والسريانية ، واللاتينية .

وإلى جانب اللغة ، تبرز العادات كشعار مميز في حياة الإسلام ، وسيستوعب تحليلها :

الزي

الاعياد

عادات ملحقة

مع الإشارة إلى نماذج من تنظيم التوقيتات الإسلامية .

وبالنسبة للشعار الاول ، جاء الإسلام بالحث على تمييز أتباعه في أزيائهم : لباسا وما جانس اللباس ، ومن هدي الصحابة في هذا الاتجاه ، ما ورد في كتاب توجيهي بعث به عمر بن الخطاب إلى القائد العربي بأذربيجان من فارس : عتبة بن فرقد ، وجاء في الرسالة العمرية (71) : "وإياكم والتنعم وزي أهل الشرك" .

وفي سياق آخر للرسالة نفسها (72) : "وعليكم بالمعدية .. وذروا التنعم وزي العجم" ، والمعدية إشارة لزي بني معد بن عدنان ، ويؤكد هذا التفسير ما ورد في رواية ثالثة (73) : "وعليكم بلباس أبيكم إسماعيل" .

على أن المشرع لم يحدد زيا إسلاميا خاصا ، وإنما نهى عن لباس ثياب الكفار الخاصة بهم .

واستحب لون البياض على غيره ، وآثره في المحيا والممات ، وقال عليه وآله الصلاة والسلام : "عليكم بالبياض من الثياب ، ليلبسها أحياؤكم ، وكفنوا فيها موتاكم ، فإنها من خيار ثيابكم" .

وفي الحديث الأخر : "البسوا البياض ، فإنها أطهر وأطيب ، وكفنوا فيها موتاكم" (74).

وهنا يعلق المناوي (75) قائلا : "جاء في عدة أحاديث أن أحب الالوان الى الله البياض ، وذلك يوجب القطع بكونه أفضلها" .

وقد ترجم البخاري (76) : "باب الثياب البيض" ، بينما يؤكد الغزالي (77) أن هذا اللون كان أكثر اللباس النبوي ، ومن هنا صار اللون ذاته – في الغرب الإسلامي – أحد شعارات الإسلام ، وقد وصف ابن أبي زرع (78)

استقبال أمير المسلمين يعقوب المريني لملك قشتالة سانشو بضاحية مدينة شريش بالاندلس ، وهو يذكر عن العاهل المغربي أنه أمر الجيوش المرينية بلباس البياض ، فكان — حسب نفس المصدر — أن ابيضت الارض ببياض المسلمين، بينما أقبل سانشو في وفده لابسين السواد .

وبالنسبة لغطاء الرأس، يبين النطق النبوي الكريم الصفة المفضلة: "فرق ما بيننا وبين المشركين العمائم على القلانس" قال شارح الحديث (79) : " فلبس العمامة سنة ، للتمييز بيننا وبين الكفار ، وتكون بقدر عادة أهل البلد."

وإلى جانب الزي المميز يستحسن الدين من المومنين أن يحافظوا على جمال لباسهم ، وحسن هيأتهم ، عن سهل بن الحنظلية الاوسي ، ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال لجمع من الصحابة رجع بهم من غزاة : "إنكم قادمون على اخوانكم ، فاصلحوا رحالكم ، وأصلحوا لباسكم ، حتى تكونوا كأنكم شامة" (80).

وفي الحديث الأخر : "السمت الحسن، والتؤدة، والاقتصاد، جزء من أربعة وعشرين جزءا من النبوءة" .(81)

ويتأكد استعمال الزينة عند المسجد والصلاة ، "يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد" سورة الاعراف : 29.

"إذا صلى أحدكم فيلبس ثوبيه ، فإن الله — عز وجل — أحق من تزين له ..(82)"

ولاهتمام الإسلام بهذا الشعار ، عاب من يشين هيئته ويشوهها ، كان مولانا — صلى الله عليه وآله — في المسجد ، فدخل رجل ثائر الرأس واللحية ، فأشار اليه — عليه السلام — بيده كأنه يامره باصلاح شعره ولحيته ، ففعل ثم رجع ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم ، أليس هذا خيرا من أن ياتي احدكم ثائر الرأس كأنه شيطان .

ومن هذا: نعيه — عليه السلام — على أفعال من الجاهلية: "ليس منا من لطم الخدود ، وشق الجيوب (84) ."

وفي هذا الاتجاه جاء النهي عن الزينة المفضية إلى خلق الله ، فلعن مولانا — صلى الله عليه وآله وسلم الواشمة والمستوشمة ، والواصلة والمستوصلة ، والمتفلجة ، والنامصة ، والمتنمصة (85).

وقد ندد الاسلام بالزي الذي يفضي الى تشبه الرجال بالنساء والعكس ، فلعن مولانا عليه وآله الصلاة والسلام: الرجل يلبس لبسة المرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجل (86) .

وعن ابن عباس — رضي الله عنهما — "لعن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال(87)" ، واللعن — هنا — مراد به الزجر عن تشبه الجنسين — أحدهما بالأخر — في اللباس والزينة وبعض الصفات والحركات ونحوها(88).

كذلك حظر الإسلام حظرا باتا اللباس الذي يشابه لبسة الكفار الخاصة بهم ، "إياكم ولبوس الرهبان ، فإنه من تزيا بهم أو تشبه فليس مني" .

وعن لباس اليهود : "إذا كان لاحدكم ثوبان فليصل فيهما ، فإن لم يكن له إلا ثوب فاليتزر ، ولا يشتمل اشتمال اليهود (90).

وأخيرا : نشير إلى أن أنس بن مالك — رضي الله تعالى عنه — رأى غلاما وله قرنان أو قصتان . فقال احلقوا هذين أو قصوهما — الشك من الراوي في الموضعين — فإن هذا زي اليهود (91) .

+ + +

ومن الزي ننتقل لشعار العيد ، وقد وجد الإسلام أعيادا قديمة يحتفل بها العرب أو اليهود فعمل على إلغائها واستعاض عنها بأعياد جديدة تمييزا للدين الجديد .

قدم مولانا — صلى الله عليه وسلم — المدينة المنورة ولاهلها يومان يلعبون فيهما ، فقال : ما هذان اليومان ؟

قالوا : كنا نلعب فيهما في الجاهلية ، فقال الرسول عليه وآله أفضل الصلاة والسلام : "إن الله قد أبدلكم بهما خيرا منهما: يوم الاضحى ويوم الفطر"(92)،وفي حديث آخر: "يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام ، وهي أيام أكل وشرب(93)" .

ونستفيد من الحديث الاخير زيادة مزية لهذه الايام على غيرها ، فيجتمع فيها إلى جانب المكان ، ذكرى اليوم الذي كان قد أقامه -صلى الله عليه وآله- بعامة المسلمين بعرفة،حيث شرع الله-سبحانه- كمال الإسلام، "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا" سورة المائدة :4 (94) .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله -تعالى- عنه : أن رجلا من اليهود قال له : يا أمير المومنين : آية في كتابكم تقرؤنها ، لو علينا -معشر اليهود- نزلت لا تخذنا ذلك اليوم عيدا ، قال : أي آية ؟ قال : "اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا" قال عمر : قد عرفنا ذلك اليوم ، والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو قائم بعرفة يوم الجمعة ، رواه البخاري (95) ، زاد الطبراني وغيره وهما لنا عيدان (96) .

ونعود للحديث الذي نعلق عليه وهو يقول : يوم عرفة ويوم النحر ، وأيام منى عيدنا أهل الإسلام، وهي أيام أكل وشرب ، ويهمنا منه الفقرة الاخيرة : "أيام أكل وشرب" ، لنستفيد منها أن العيد الاسلامي ، يراعي فيه -بعد المصلحة الدينية- جانب المنفعة الدنيوية : من الاكل والشرب والزينة والراحة وما إلى ذلك ، ولهذا رخص الرسول -عليه وآله أفضل الصلاة والسلام -في الالعاب المباحة عند هذه المناسبة.

عن مولاتنا عائشة رضوان الله عنها : أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تدففان وتضربان ، والنبي -صلى الله عليه وسلم- متغش بثوبة، فانتهرهما أبو بكر ، فكشف النبي -صلى الله عليه وسلم - عن وجهه وقال : دعهما يا أبا بكر ، فإنها أيام عيد (98).

وفي رواية أخرى يا أبا بكر : إن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا (99) ، مع التصريح بأن الجاريتين تغنيان بما تقاولت به الانصار يوم بعاث (100).

وساق البخاري(101) إثر هذا -عن الرواية نفسها- قصة لعب الحبشة في المسجد النبوي .

ويعلق علامة تونسي على الحديثين هكذا : "لله در البخاري في إيراد خصوص اللعب المذكور يوم العيد ، حيث يوخذ منه أن اللهو الذي يرتكب لإظهار المسرة العيدية ، ينبغي أن لا يكون خاليا عن مصلحة شرعية ، حتى يخرج ذلك اللعب عن دائرة اللهو الباطل .

وفي هذا إشارة إلى أصل عظيم من أصول تمدن الامة ، وهو أن يجعل الالعاب مشحونة بتربيات تمكن القلوب من حب الدين والوطن ، ويرتوي بمكارم الاخلاق ، حتى يكون الإنسان في مباشرة تلك الالعاب ومشاهدتها يتنزل عليه المثل المشهور : "يسر حسوا في غناء ... (102)" .

ولله در الصديقية حيث جمعت بين حديث الجاريتين وحديث الحبشة ، فإن غناء بعاث يحرك الحماسة القلبية، ولعب الحبشة يعلم سرعة الحركات البدنية ، والامران هما ملاك التقدم في الحرب".

+ + +

وبالإضافة إلى الأعياد السنوية ، شرع الإسلام عيدا أسبوعيا هو يوم الجمعة . في مسند عبد الرزاق بإسناد صحيح :

"جمع أهل المدينة قبل أن يقدمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ... فقالت الانصار إن لليهود يوما

يجتمعون فيه كل سبعة أيام ، وللنصارى كذلك ، فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه ، فنذكر الله تعالى ، ونصلي ، ونشكره ، فجعلوه يوم العروبة(103)".

وعند ابن خزيمة عن نفس اليوم من حديث شريف : "فهو لنا ، ولليهود يوم السبت ، وللنصارى يوم الاحد(104)".

وفي الصحيحين (105) : "أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا ، ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له، فالناس لنا فيه تبع : اليهود غدا، والنصارى بعد غد".

ولتحلية هذا اليوم بطابعه المميز ، شرعت فيه شعائر العيد : من الغسل واستعمال خصال الفطرة ، فضلا عن استحباب الزينة والطيب .

عن مولاتنا عائشة رضوان الله -تعالى- عنها قالت : "كان الناس ينتابون الجمعة من منازلهم ومن العوالي ، فياتون في العباء ، ويصيبهم الغبار والعرق فتخرج منهم الريح ، فأتى رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- انسان منهم وهو عندي ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا(106)".

وعن ابن عباس : أن مولانا رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- قال في جمعة من الجمع : "يا معشر المسلمين : إن هذا يوم جعله الله عيدا فاغتسلوا ، ومن كان عنده طيب فلا يضره أن يمس منه ، وعليكم بالسواك (107)".

وعن خصوص اللباس في هذه المناسبة ، يروي عبد الله بن سلام : انه سمع مولانا رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- يقول على المنبر في يوم الجمعة : "ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته (108)".

وعن مولاتنا عائشة رضوان الله -تعالى- عنها : أن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- خطب الناس يوم الجمعة فرأى عليهم ثياب النمار ، فقال : "ما على أحدكم -إن وجد سعة- أن يتخذ ثوبين لجمعته سوى ثوبي مهنته(109)".

وعن نفس الرواية : "كان لمولانا رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- ثوبان يلبسهما في جمعته ، فاذا انصرف طويناهما إلى مثله(110)".

وقد عد العبدري (111) من بدع الجمعة التخلي - يومها - عن الغسل والزينة ، وهو يقول في هذا ضمن مهمات إمام الصلاة :

"... وينهى الناس عما أحدثه بعضهم من الإتيان للجمعة من غير غسل ولا تغيير هيئة ، فإن هذا من البدع الحادثة بعد السلف رضوان الله عليهم ، وقد كانوا -رضي الله عنهم- إذا أراد أحدهم أن يؤكد الامر لصاحبه يقول له : ولا تكن ممن يترك الغسل للجمعة ، ومن كتاب (القوت) " : وكان أهل المدينة يتسابون فيقولون : لانت شر ممن لا يغتسل يوم الجمعة" ...

وكذلك ينهاهم عما تركوه من لبس الحسن من الثياب لها ، واستعمال الطيب ... وقد ترك ذلك بعضهم ، وهو عكس ما كان عليه السلف رضوان الله عليهم أجمعين ...".

ولاكتمال حلية العيد في هذا اليوم ، يروى الغزالي (112)عن ابن سيرين : يستحب للرجل أن يعمل لاهله في كل جمعة حلاوة .

ومن ملحقات ميزة العادات تحية الاسلام: "استعمال السلام عند الملاقاة" ، وهي شعيرة أحياها الدين الجديد بعدما تنوسي العمل بها ، اخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال : "كانوا يقولون في الجاهلية : حييت مساء حييت صباحا ، فغير الله ذلك بالسلام" ، وفي حديث

عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : "ما حسدتنا اليهود على شيء ما حسدتنا على السلام والتأمين" ، وفي مسلم عن أبي ذر في قصة إسلامه : "وكنت أول من حياه بتحية الإسلام، فقال: وعليك السلام ورحمة الله (113)".

وبعد تحية الإسلام، نشير إلى عادة الجاهلية في افتتاح الكتابة بكلمة "باسمك اللهم" فابدلها الإسلام "بالبسملة" في صدر الكتب (114)، وفي حديث عمرة القضاء : "أن قريشا صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم فيهم سهيل بن عمرو ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي : أكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل : ما ندري ما بسم الله الرحمن الرحيم ، ولاكن اكتب ما نعرف : باسمك اللهـــم(115)".

+ + +

والآن بعد شعار العادات : نذيل بالإشارة إلى نماذج من منهج الدين في تنظيم التوقيتات الإسلاميـــة .

ونسجل –أولا– اختيار الإسلام لافتتاح اليوم بغروب الشمس ، ويختتم بغروبها من اليوم القابل ، مخالفـــا –بهذا– ماكان عليه الروم والفرس ، فيفتتح اليوم عندهم بطلوع الشمس ، ويختم بطلوعها من اليوم القابل .

والليل الشرعي : من غروب الشمس إلى طلوع الفجر الثاني ، وهو المراد بالخيط الابيض من قوله تعالى: "حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر" "سورة البقرة : 186" .

والنهار من الفجر الثاني إلى غروب الشمس، وبذلك تتعلق الاحكام الشرعية : من الصوم والصلاة وغيـــرهما (116) .

ومجموع الايام هو الاسبوع ، وقد كان اليهـــود يسمونه سبتا ، فجاء الإسلام بتسميته جمعة ، اعتبـــارا لليوم الأشرف منـــه (117).

وفي الجاهلية لم يكن تحديد عدد الشهور السنويـــة منضبطا ، فكان في العرب من يجعل العام من ثلاثة عشر شـهـرا (118) ، وكانوا – حسب الخطابي – (119) يخالفون بين أشهر السنة بالتحليل والتحريم ، والتقديم والتأخير، لاسباب تعرض لهم، منها استعجال الحرب، فيستحلون الشهر الحرام ، ثم يحرمون – بدله – شهرا غيره، فتتحول في ذلك شهور السنة وتتبدل، فإذا أتى على ذلك عدة من السنين استدار الزمان ، وعاد الامر الى أصله .

ولما اتفق وقوع حجة الوداع عند ذلك ، نادى النبي عليه وآله الصلاة والسلام–في المناسبة ذاتها ،بحظر تغيير نظام العام ، وإبقائه على وضعه الأول: السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم لا تتحول : ولا تستبدل ، وهكذا وقف المشرع الاول – عليه السلام – بمنى أواسط أيام التشريق، وقال : "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والارض: السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم: ثلاث متواليات: ذو القعدة. وذو الحجة،والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان (120)".

وفي مساق آخر : وقف رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بالعقبة فاجتمع اليه من شاء الله من المسلمين، فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ، ثم قال : "وإنما النسيء –من الشيطان– زيادة في الكفر ، يضل به الذين كفروا ، يحلونه عاما ويحرمونه عاما(121)".

وأصل الحديثين من القرآن الكريم في الآيتين : "إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يـوم خلق السماوات والارض ، منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيم ، فلا تظلموا فيهن أنفسكم" سورة التوبة : 36 .

"انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا ، يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله.." نفـس السورة : 37 .

وإلى جانب تنظيم السنة العربية ، أحيا الإسلام توقيت العبادات بمراعاة رؤية الهلال ، وألغى - في هذا الاتجاه - اعتبار التوقيت بالحساب . مخالفا بهذا طرائق الروم والقبط وفارس واليهود في معرفة مداخل الشهور (122).

وفي أيام الإمام الراشد عمر بن الخطاب رضي الله -تعالى- عنه ، بدت الحاجة ملحة لوضع تاريخ للمسلمين فجمع أمير المومنين الناس ، وكان من بين الاراء التي طرحت أن قيل : إن للعجم حسابا ، وذكر البعض حساب اليهود الذي يسندونه إلى الاسكندر ، فعقب الخليفة الثاني وقال : نحن العرب لا نسند حسابنا إلى الاكاسرة ولا إلى الاسكندر ، بل نسنده إلى مبدإ السنة التي هاجر فيها نبينا صلى الله عليه وسلم ، فجرى أمر التاريخ الاسلامي على ذلك (123).

+ + +

وبعد فهذا عرض لطائفة من النماذج التي تبرز طابع الإسلام بين الاديان ، والموضوع -بعد هذا- لا يزال يتطلب مزيدا من التفريعات ، لتتناول طابع الإسلام في المعاملات والعقوبات وتكوين الدولة وما الى ذلك، حيث ستأتي دراستها في تكملة ملحقة متى سنحت الفرصة ، مستمدا من الله -سبحانه- عونه وتوفيقه .

●●●

التعاليق

1 - انظر ابن تيمية : "اقتضاء الصراط المستقيم". "المطبعة الشرقية" ، ص 51-52 ، 55 ، 57 ، 64، 65، 84 .

2 - "السيرة الحلبية" : "المطبعة الازهرية المصرية" ، 113/1 ، والاية الكريمة من سورة الحجرات : 13 .

3 - "صحيح مسلم" بشرح النووي : "المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج" : ط الهند، 397/1

4 - اقتضاء الصراط المستقيم" ، ص 53 - 54 .

5 - "سنن أبي داود" : نشر "دار احياء السنة النبوية" : الحديث رقم : 4031 ، وانظر اقتضاء الصراط المستقيم" ، ص 39 - 40 .

6 - "المصدر الاخير" ، ص 56 .

7 - "المصدر" ص 91 .

8 - "صحيح مسلم" 143/1 .

9 - "اقتضاء الصراط المستقيم" ص 30 .

10 - "فتح الباري" : المطبعة الكبرى الميرية" سنة 1301 هـ، 306/10 .

11 - "ابن جرير الطبري في "جامع البيان في تفسير القرآن" : "المطبعة الكبرى الاميرية": الطبعة الاولى عام 1327 هـ ، 7/7 ، والآية القرءانية من سورة المائدة : 87 .

12 - "صحيح مسلم" 276/1 .

13 - "سيرة ابن هشام" : نشر دار الفكر ، 358/1 ، وانظر فتح الباري 275/13، ويوخذ على هذه الرواية ذكر الصيام والزكاة ، ولم يكونا قد فرضا انذاك .

14 - ابن حزم : "الملل والنحل" : "المطبعة الادبية" بمصر ، 78/2 - 80 .

15 – الزرقاني : "شرح المواهب اللدنية": "المطبعة الازهرية المصرية" ، 375/1 .

16 – "سنن أبي داود" رقم : 2353

17 – "صحيح البخاري" بهامش فتح الباري : المطبعة المشار لها ءانفا ، 424/3 ، "وسنن أبي داود" رقم 1938 ، وانظر "اقتضاء الصراط المستقيم" ص 57 .

18 – "جامع الترمذي" : ط. الهند، ص 397 .

19 – "سنن أبي داود" رقم 4062 .

20 – رواه الطبراني في الاوسط ، حسب الروداني في "جمع الفوائد" "المطبعة الخيرية" في بلدة ميرته بالهند ، 314/1 ، قال المناوي : "كان – صلى الله عليه وآله وسلم – يتعاهد نفسه . ولا تفارقه المرآة والسواك والمقراض" نقله العزيزي في "شرح الجامع الصغير": "المطبعة الازهرية المصرية" ، 353/1–354 . وفي سنن أبي داود رقم : 4162 : كانت للنبي – صلى الله عليه وآله وسلم – سكة يتطيب منها .

21 – هذه تتمة حديث ان الله طيب ... "الذي تبينا – وشبكا – انه في "جامع الترمذي" ص 397 ، وجاء في التعليق عليه زيادة : يجمعون الاكباء في دورهم" ، والاكباء هي الكناسات ، قال المناوي : كان المصطفى – صلى الله عليه وآله وسلم – وأصحابه بمزيد حرص على نظافة الملبس والافنية . نقله العزيزي 353/1 .

22 – الطبراني في الكبير ، حسب السيوطي في "الجامع الصغير" ، وعلق عليه العزيزي بأنه صحيح الاسناد ، 388/2 .

23 – الحفني : في "حاشية الجامع الصغير" بهامش شرح العزيزي 122/2 .

24 – أنظر "سنن أبي داود" رقم 3832 ، 3833 ، حيث أورد الحديثين تحت "باب في تفتيش التمر المسوس عند الاكل" .

25 – "صحيح البخاري" 459/6 ، 8/7 .

26 – نسب تخريجه في "الجامع الصغير" الى الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب ، غير أن العزيزي ضعفه ، 424/3 .

27 – "سنن أبي داود" رقم 3761 ، جامع الترمذي" ص 277 .

28 – "سنن أبي داود" رقم : 3852 .

29 – استوفى ابن حجر جملة مهمة من خصال الفطرة ، في "فتح الباري" 283/10–284

30 – "فتح الباري" 285/10 .

31 – أنظر "المصدر الاخير" 312/2 ، 4/ 137 .

32 – "صحيح البخاري" 137/4

33 – نقله الابي في "اكمال الاكمال"، "مطبعة السعادة" بمصر ، 34/2 .

34 – في "صحيح البخاري" 158/9 – 159 عن السيدة عائشة رضي الله عنها : "ان النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء : فنكاح منها نكاح الناس اليوم : يخطب الرجل الى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها .

ونكاح آخر : كان الرجل يقول لامرأته اذا طهرت من طمثها أرسلي الى فلان فاستبضعي منه ، ويعتني لها زوجها ولا يمسها أبدا حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه ، فاذا تبين حملها أصابها زوجها اذا أحب ، وانما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد ، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع .

ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها ، فاذا حملت ووضعت ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت اليهم ، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع ، حتى يجتمعوا عندها تقول لها : قد عرفتم الذي كان من أمركم ، وقد ولدت فهو ابنك يافلان ، تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها، لايستطيع أن يمتنع منه الرجل .

ونكاح الرابع : يجتمع الناس الكثير ، فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها ، وهن البغايا : كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما لمن أرادهن دخل عليهن ، فاذا حملت احداهن ووضعت حملها ، جمعوا لها ودعوا لهم القافة ، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاطته به ، ودعي ابنه ، لا يمتنع من ذلك .

فلما بعث محمد — صلى الله عليه وآله وسلم — بالحق ، هدم نكاح الجاهلية كله الا نكاح الناس اليوم" .

وانظر كتاب "المحبر" لمحمد بن حبيب الهاشمي البغدادي : "مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية" في حيدر آباد الدكن — ص 340 .

35 — الحديث بهذه الزيادة في مسند الامام أحمد حسب "تفسير ابن كثير" : طبع دار الفكر 353/4 .

36 — جامع الترمذي ص 187 .

37 — 397/1 .

38 — نقله في "فتح الباري" : المطبعة الخيرية 90/1 .

39 — نفس المصدر والمطبعة 207/13 .

40 — انظر ابن خلدون في "المقدمة" : "المطبعة البهية المصرية" ، ص 289 — 290 و 293 — 294 .

41 — انظر الشاطبي في "الموافقات" : "المطبعة الرحمانية" بمصر 91/3 .

42 — "المصدر" 343/3 .

43 — "صحيح مسلم" 339/2 . والاية في صدر الحديث من سورة آل عمران : 7 .

44 — "الموافقات" 86/3 — 87 .

45 — "الإحكام" "مطبعة العاصمة" بالقاهرة ص 491 .

46 — "صحيح البخاري" 212/13 — 213 في كتاب الاعتصام ، مع ملاحظة أن الفقرة الاخيرة في الحديث مزيدة من كتاب بدء الخلق ، و"صحيح مسلم" 79/1 .

47 — نقلة الابي في "اكمال الاكمال" 240/1 .

48 — "البخاري" 203/13 ، و "مسلم" 262/2 .

49 — "الموافقات" 319/4 — 321 .

50 — "صحيح البخاري" 144/10 و 206 ، وصحيح مسلم 230/2 .

51 — الطبراني في الكبير ، حسب السيوطي في "الجامع الصغير" .

52 — "البخاري" 434/2 ، و "مسلم" 59/1 .

53 — "أحكام القرآن" "مطبعة السعادة" بمصر 225/1 .

54 — نقلـه محمد بن المدني كنون في "الدرر المستنيرة" ، المنشور بالمطبعة الحجرية الفاسية — على هامش كتاب "الزجر والاقماع" لنفس المؤلف : الملزمة 17 . ص 1 .

وتذيل على هذا التعليق بفقرة تفسيرية للقاضي عياض يقول فيها : "كانت الكهانة في العرب ثلاثة أضرب : أحدها : أن يكون للانسان ولي من الجن يخبره بما يسترقه من السمع من السماء ، وهذا القسم بطل من حين بعث الله نبينا صلى الله عليه وسلم .

الثاني : أن يخبره بما يطرأ أو يكون في أقطار الارض وما خفي عنه مما قرب أو بعد ، وهذا لا يبعد وجوده . ونفت المعتزلة وبعض المتكلمين هذين الضربين وأحالوهما ولا استحالة في ذلك ولا بعد في وجوده ، لاكنهم يصدقون ويكذبون ، والنهي عن تصديقهم والسماع منهم عام .

الثالث : المنجمون ، وهذا الضرب يخلق الله —تعالى — فيه لبعض الناس قوة ما ، لاكن الكذب فيه أغلب ، ومن هذا الفن العرافة وصاحبها عراف ، وهو الذي يستدل على الامور بأسباب ومقدمات يدعي معرفتها بها ، وقد يعتضد بعض هذا الفن ببعض — في ذلك — بالزجر والطرق والنجوم وأسباب معتادة ، وهذه الاضرب كلها تسمى كهانة ، وقد أكذبهم — كلهم — الشرع ونهى عن

تصديقهم واتيانهم"
نقله النووي في "شرح مسلم" :232/2 ، ثم الابـي في "اكمال الاكمال" ببعض تصرف : 45/6 .

55 ــ أخرجه أحمد وابن أبي شيبة والبزار مـن حديث جابر بن عبد الله ، حسب "فتـح الباري" 259/13 .

56 ــ "صحيح البخاري" 260/13 .

57 ــ "سيرة ابن هشام" 36/2 .

58 ــ "جامع بيان العلم وفضله" ، بواسطـة "مختصره" لاحمد بن عمر المحمصـاني البيروتي : الطبعة الاولى ص 118 ، والآيـة الكريمة من سورة العنكبوت : 51 .

59 ــ ابن الجوزي في "سيرة عمر بن الخطاب": "المطبعة المصرية" بالازهر ، ص 107ـ108.

60 ــ "المصدر" ص 108 ، والايات الكريمة في مفتتح سورة يوسف : 1 ــ 3 .

61 ــ "صحيح البخاري" 433/10 ، و "سنن أبي داود" رقم 4796 .

62 ــ "اقتضاء الصراط المستقيم" ص 81 .

63 ــ انظر محمد عبد الحي الكتاني : "التراتيـب الادارية" : "المطبعة الاهلية" بالرباط ــ 429/2 .

64 ــ "المصدر" 429/2 ،وذكره السخاوي فـي ترجمته من "الضوء اللامع : نشر "مكتبـة القدسي" ، 18/8 .

65 ــ "اقتضاء الصراط المستقيم" ص 96 .

66 ــ ص 78 .

67 ــ نقلـه في "تفسير المنار" : الطبعـة الاولى 311/11 ــ 312 .

68 ــ ص 97 ــ 98 .

69 ــ الجهشياري : "كتاب الوزراء والكتـاب" "مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي" بمصر ، ص 23 ــ 24 .
الصولي : "أدب الكتاب" : "المطبعة السلفية" : ص 192 ــ 193 .
القلقشندي : "صبح الاعشي" : "المطبعة الاميرية بالقاهرة 423/1 .

70 ــ أنظر المقريزي : "كتاب النقود الاسلاميـة القديمة" ، المنشور ضمن مجموعة "النقـود العربية وعلم النميات" ، بعناية الاب أنستاس ماري الكرملي البغدادي : "الطبعة العصرية" بالقاهرة ص 31 ــ 32 و 34 ــ 38 .

71 ــ "فتح الباري" 241/10 ، مع اقتضاء الصراط المستقيم" ص 58 .

72 ــ "اقتضاء الصراط المستقيم" ص 60 .

73 ــ النووي : في "بستان العارفين" : ادارة الطباعة المنيرية" بمصلر ، ص 41 .

74 ــ "الشمائل الترمذية" بشرح المناوي : المطبعة الشرفية" بمصر عام 1318 هـ 120/1 .

75 ــ "شرح الشمائل الترمذية" 120/1 .

76 ــ 10 / 238 .

77 ــ "احياء علوم الدين" : المطبعة العثمانيـة المصرية" : الطبعة الاولى 331/2 .

78 ــ "روض القرطاس" : المطبعة الحجريـة الفاسية عام 1305 هـ . ص 263 .

79 ــ هو الحنفي في حاشية الجامع الصغير 18/3 : والحديث أصالة في سنن أبي داود رقم: 4078

80 ــ المناوي : في الشرح الكبير على الجامع الصغير "فيض القدير" : "مطبعة الجمالية" بمصر 240/1، 241: عن سنن أبي داود، والحديث وارد بها عند رقم : 4089 .

81 ــ "جامع الترمذي" ص 294 .

82 ــ البيهقي : في "السنن الكبرى" ؛ حسـب

"مقالات الكوثري" : "مطبعة الأنـوار" بالقاهـرة ، ص 170 .

83 ـ "الموطا" : مطابع دار القلم ، بيروت ، رقم 1726

84 ـ "صحيح البخاري" 131/3 ـ 132

85 ـ جاء بهذا ثلاثة أحاديث في "سنن أبي داود" : أرقام 4168 ـ 4170 ، ويعقب أبـو داود قائلا : وتفسير الواصلة : التي تصل الشعر بشعر النساء ، والمستوصلة : المعمول بهـا ، والنامصة : التي تنقش الحاجب حتى ترقه ، والمتنمصة : المعمول بها ، والواشمة الـتي تجعل الخيلان في وجهها بكحل أو مداد ، والمستوشمة : المعمول بها ، وانظر "صحيح البخاري" وشرحه : "فتح الباري" 10/313 ـ 319 .

86 ـ "سنن أبي داود" رقم : 4098 .

87 ـ "صحيح البخاري" 279/10 .

88 ـ انظر "فتح الباري" 279/10 .

89 ـ أخرجه الطبراني في "الاوسط" بسند لا بأس به ، حسب "فتح الباري" 231/10 .

90 ـ "سنن أبي داود" رقم 635 ، وجاء فـي تصديره : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قال عمر رضي الله عنه .

91 ـ "سنن أبي داود" رقم 4197 .

92 ـ أورده في "اقتضاء الصراط المستقيم" ص 87 ونسبه لابي داود وأحمد والنسائي ، وعزاه في "فتح الباري" 368/2 للنسائي وابن حبان باسناد صحيح بلفظ "قدم النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما ، فقال : قد أبدلكم الله ـ تعالى ـ بهما خيرا منهما : يوم الفطر والاضحى" .

93 ـ "سنن أبي داود" رقم : 2419 .

94 ـ انظر "اقتضاء الصراط المستقيم" ص 103 .

95 ـ "صحيح البخاري" 78/1 .

96 ـ "فتح الباري" 78/1 .

97 ـ "صحيح البخاري" 22/10 من خطبة لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله ـ تعالى ـ عنه : "ان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قد نهاكم عن صيام هذين العيدين : أمـا أحدهما فيوم فطركم من صيامكم ، وأمـا الأخر فيوم تأكلون من نسككم" ، والمراد الاكل من النسك مع الاطعام منه ، كما دل عليه القرآن والحديث ، وأشارت اليه "من" التبعيضية في الخطبة العمرية .

98 ـ "صحيح البخاري" 395/2 .

99 ـ "فتح الباري" 368/2 .

100 ـ "صحيح البخاري" 366/2 .

101 ـ 369/2 ـ 370 .

102 ـ هو الشيخ سالم بوحاجب المالكي في "تعاليقه على صحيح البخاري" ، حسب نقـل "التراتيب الادارية" 126/2 ـ 127 .

103 ـ "فتح الباري" 294/2 .

104 ـ "نفس المصدر" والجزء والصفحة

105 ـ "البخاري" 293/2 ـ 294 ، و"مسلـم" 282/1 .

106 ـ "مسلم" 280/1 ، و "أبو داود" رقم 352 و 353 ، ونسبه في "جمع الفوائد" 98/1 للشيخين وأبي داود والنسائي .

107 ـ المـوطـا رقـم 141

108 ـ "سنن أبي داود" ، حسب ابن القيم فـي "زاد المعاد" ، هامش شرح المواهـب اللدنية للزرقـاني 380/1 .

109 ـ "المصدر" والجزء والصفحة ، حيث نسبه لسنن ابن ماجه ، وورد الحديث ـ أيضا ـ في الموطا رقم 239 ، والنمار جمع نمرة :

كل شملة مخططة من مآزر الاعراب .

110 – نسبه في "جمع الفوائد" 98/1 للطبراني في الأوسط بلين .

111 – "المدخل" : "المطبعة المصرية" بالازهر 237/2 – 238 .

112 – "احياء علوم الدين" 44/2 ، وفي "صحيح البخاري" 356/2 عن الصحابي سهل بن سعد : "كانت فينا امرأة تجعل على أربعاء (جمع ربيع : الجدول أو الساقية...) في مزرعة لها سلقا ، فكانت اذا كان يوم الجمعة تنزع أصول السلق فتجعله في قدر ، ثم تجعل عليه قبضة من شعير تطحنها ، فتكون اصول السلق عرقه ، وكنا ننصرف من صلاة الجمعة فنسلم عليها ، فتقرب ذلك الطعام الينا فنلعقه ، وكنا نتمنى يوم الجمعة لطعامها ذلك" .

113 – الزرقاني في "شرح المواهب اللدنية" 373/5 ، وانظر "فتح الباري" 3/11 مع ص 12 حيث يقول : اخرج النسائي بسند جيد عن جابر رفعه "لا تسلموا تسليم اليهود ، فان تسليمهم بالرؤس والاكف والاشارة" .

114 – الصولي في أدب الكتاب ، ص 31 – 32 .

115 – "فتح الباري" 385/7 .

116 – "صبح الاعشى" 329/2 – 330 .

117 – "التوشيح" للسيوطي حسب "التراتيب الادارية" 69/1 .

118 – انظر "فتح الباري" 244/8 .

119 – "المصدر" 245/8 .

120 – "صحيح البخاري" 244/8" ، وسنن أبي داود رقم 1947 ، وانظر "تفسير ابن كثير" 353/2 – 354 .

121 – "المصدر الاخير" 357/2 .

122 – انظر "اقتضاء الصراط المستقيم" ص 40–41 و 93 ، 100 .

123 – هذا سياق "الفيض الوارد" تأليف الشهاب محمود الالوسي ، المنشور بالمطبعة الكستليه "طبعة حجرية" سنة 1278 هـ ، ص 254 – 255 . وانظر صبح الاعشى 240/6 – 241 مع شرح الزرقاني على المواهب اللدنية 352/1.

توضيح :

اعتمدت هذه التعاليق في الاحالة على :

"صحيح البخاري" : المتن المطبوع على هامش فتح الباري : المطبعة الكبرى الميرية سنة 1301 هـ في أغلب الاجزاء، مع المطبعة الخيرية بالنسبة للجزءين : 1و 13 .

"صحيح مسلم" : المتن المطبوع مع شرح النووي بالهند .

"الشمائل الترمذية" : المتن المنشور ضمن شرح المناوي بالمطبعة الشرقية في مصر .

"الجامع الصغير" للسيوطي : المتن المنشور ضمن شرح العزيزي بالمطبعة الازهرية المصرية

الاسلام والنصر

اللواء الركن
محمود شيت خطاب

اذن لنا المفكر الاسلامى الكبير اللواء الركن محمود شيت خطاب بنشر فصول كتابه القيم « الاسلام والنصر » فى حلقات مسلسلة « بدعوة الحق » · وذلك تقديرا من المؤلف الفاضل لدور مجلتنا فى اشاعة الوعى الاسلامى وتركيز المفاهيم الاصيلة فى اوساط الاجيال الصاعدة ·

ويسر « دعوة الحق » التى تقدر مؤلف « الاسلام والنصر » حق قدره وتضعه فى مقام الصفوة بين كتاب العصر ، ان تبدا منذ هذا العدد فى تقديم هذا النوع الرفيع من الكتابات الاسلامية الحركية الجادة لقرائها ·

وقد صدر الكتاب فى لبنان وحالت ظروف الحرب دون توزيعه على نطاق واسع ، فلعل فى مبادرتنا هذه افادة للجميع ·

— 1 —

ا — قبيل معركة اليرموك الحاسمة بين العرب المسلمين والروم فى العام الثالث عشر من الهجرة (1) 634 م ، قال رجل من المسلمين لخالد بن الوليد : « ما أكثر الروم وأقل المسلمين » ! فقال خالد : « ما اقل الروم وأكثر المسلمين ! انما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان » (2) ·

ومعنى ذلك ، أن الجيش ليس بعدده وعدده بقدر ما هو بمعنوياته ، والجيش الذى لا يتحلى بمعنويات العالية لا قيمة له فى الحرب ، والفئة القليلة ذات المعنويات الرصينة ، تغلب الفئة الكثيرة ذات المعنويات المنهارة ·

وقد كان نابليون بونابارت يقول : « قيمة المعنويات بالنسبة للقوى المادية تساوى ثلاثة على واحد » ، اى أن الجيش تكون قيمته 75 ٪ فى الناحية المعنوية و 25 ٪ فى الناحية المادية ·

وقد أيد نابليون فى قولته هذه كبار القادة العسكريين فى الماضى ، والكثير من القادة العسكريين فى الوقت الحاضر ·

غير أن اللواء (فوللر) فى كتابه : (الاسلحة والتاريخ) ، يخالف هذا الراى ، لاختراع الاسلحة النووية والهيدروجينية ، وللتحصينات الهائلة التى طرأت على وسائل تقذف هذه الاسلحة وعلى اساليب استعمالها ·

وليس هناك شك ، فى أن الاسلحة الحديثة ذات تأثير فى الناحية المادية للجيوش الحديثة ، اذ جعلت نسبة هذه الناحية بالنسبة الى الناحية المعنوية 50 ٪ لكل منهما ·

اى أن الناحية المعنوية لا تزال ذات قيمة عظيمة ، حتى بعد ظهور الاسلحة الجهنمية الحديثة ، وان المعنويات كانت ولا تزال وستبقى عاملا حاسما من عوامل النصر ·

لقد كان الجيش الايطالى فى الحرب العالمية الثانية (1939 — 1945) مجهزا بأحسن التجهيزات ، ومسلحا بأفتك الاسلحة ، ومنظما وفق أحدث اساليب التنظيم ، ومدربا وفق أحدث اساليب التدريب ، الا ان معنوياته لم تكن عالية بالرغم من كل ذلك ، لهذا كان

---

(1) ابن الاثير 2 / 157 ·
(2) الطبرى 2 / 594 ·

الحلفاء يعتبرون المواضع التى يحتلها الجيش الايطالى فراغا عسكريا ، وكان هذا الجيش يستسلم بسهولة ويسر للحلفاء فى كل معركة يخوضها ·

لقد كانت الناحية المادية فى الجيش الايطالى متميزة جدا ، ولكن الناحية المعنوية فيه كانت ضعيفة ، لذلك لا يمكن اعتباره جيشا ذا قيمة عسكرية ضاربة · وما يقال عن الجيش الايطالى ، يقال عن كل جيش قديم او حديث ، لا يتحلى بالمعنويات العالية ·

ب — وفى الحروب القديمة ، اى الحروب التى خاضتها الشعوب قبل الحرب العالمية الثانية ، كان الجيش هو المسؤول الاول والاخير عن احراز النصر ·

اما فى الحروب الحديثة ، ابتداء من الحرب العالمية الثانية ، فقد اصبحت الحرب اجماعية (3) ، تحشد لها الامم كل طاقاتها المادية والمعنوية ، لذلك اصبح الشعب كله مسؤولا عن احراز النصر وليس الجيش وحده ، بالرغم من أن الجيش النظامى والاحتياطى بقى رأس رمح فى الحرب ·

ان الحرب (الاجماعية) ، تقتضى زج كل قادر على حمل السلاح فى الحرب ودعم المحاربين بكل طاقات الشعب المادية ، لذلك كان اعلان الحرب معناه، أن يكون الشعب كله — لا قواته المسلحة وحدها — فى الصفوف الامامية ، وخاصة بعد تطوير القوة الجوية، واختراع الاسلحة النووية ، فقد أصبح كل مكان فى البلاد المحاربة ساحة حرب ، لا تقل اهمية وخطرا عن الجبهة الامامية فى ميدان القتال ·

لذلك اصبحت اهمية المعنويات فى الشعب كأهميتها للجيش سواء بسواء ·

كما أن الجيش من الشعب ، فاذا كانت معنويات الشعب عالية ، كانت معنويات الجيش عالية ايضا ، والعكس صحيح ·

من هنا تأتى اهمية المعنويات للشعب كله ، وتبرز ضرورة ادامة المعنويات فى الشعب والجيش على حد سواء ·

— 2 —

ما هى المعنويات ؟

ا — كان تعريف المعنويات قبل الحرب العالمية الثانية : بأنها الصفات التى تميز الجيش المدرب المنقاد الى أسس الضبط (4) عن العصابات المسلحة ، وتتجلى بهذه الصفات الطاعة القائمة على الحب ، وتنمى الشجاعة ، وتظهر الصبر على المشاق ، وتبدى كل المزايا التى تجعل الجندى مطيعا باسلا صبورا(5)·

وهذا التعريف يشمل الجيش وحده كما نرى ، لان الحروب كانت حروب جيوش لا حروب أمم ، كما اصبحت فى الوقت الحاضر ·

ب — اما تعريف المعنويات اليوم ، فهو : القوى الكامنة فى صلب الانسان ، التى تكسبه القابلية على الاستمرار فى العمل ، والتفكير بعزم وشجاعة ، مهما اختلفت الظروف المحيطة به ·

وهذا التعريف شمل الشعب كله لا الجيش وحده·

واذا أردنا ايضاح هذا التعريف وتبسيطه ، فيمكن القول بأن الفرد فى الشعب ، يجب أن يكون شجاعا لا يجبن ، قويا لا يضعف ، عزيزا لا يهون ، صامدا لا يتراجع ، صابرا لا ينهار ، متفائلا لا يقنط ، مستعدا للتضحية بماله وروحه من أجل مثله العليا ·

ج — وكلمة المعنويات : ترجمة لكلمة Morale الانكليزية ، وقد ترجمت فى أول الامر الى : القوى الادبية ، والى : الروحيات ، ثم شاع استعمالها فى الجيش وخارجه بتعبير : المعنويات ·

— 3 —

فما هى عوامل رفع المعنويات ؟

ا — الدين :

عامل الدين من أهم عوامل رفع المعنويات فى الشعب ، خاصة بالنسبة للعرب · يقول ابن خلدون :

---

(3) تسمى الحروب الاجماعية فى قسم من الجيوش العربية الشقيقة : الحرب الشاملة او الحرب الاعتصابية ·

(4) الضبط : الطاعة العمياء · ويطلق عليه فى قسم من الجيوش العربية الشقيقة : تعبير الانضباط ·

(5) الجغرافية العسكرية 1 / 18 ، طه الهاشمى ، بغداد 1934 ·

« ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصبغة دينية من نبوة او ولاية او اثر عظيم » ·

لقد غرس الاسلام فى نفوس العرب حب الضبط والنظام ، وحبب اليهم الاستشهاد فى سبيل الحق ، وجعلهم يرون هذا الاستشهاد نصرا دونه كل نصر ، كما بعث فيهم الاعتزاز بالنفس ، والشعور بأن عليهم رسالة واجبة الاداء للعالم (7) ·

وحد الاسلام عقائد العرب ، ووحد أعمالهم ووحد صفوفهم ، ونظمهم ، وغرس فيهم روح الضبط والطاعة ، وطهر نفوسهم ، ونقى أرواحهم ، وخلق فيهم انسجاما ماديا ومعنويا (8) ·

لقد وجد الاسلام بتعاليمه ــ التى تغرس الضبط والنظام فى النفوس ، وتدعو الى توحيد الله تعالى ، وتوحيد الصفوف ــ أرضا خصبة فى العرب الذين كانت لهم خبرة طويلة فى الحروب ، والذين لا يهابون الموت ويتعشقون الحرية ، فكان من فضل الاسلام على العرب ، انه جمع شملهم ، ووحد قلوبهم ، واشاع فيهم النظام والضبط ، وبذلك أصبحوا قوة هائلة وجدت لها (متنفسا) فى توحيد الجزيرة العربية اولا ، وفى الفتح الاسلامى ثانيا ، فحملوا رايات الاسلام شرقا وغربا : شرقا الى اقصى الشرق ، وغربا الى اقصى الغرب ، وحملوا أعباء الفتح الاسلامى وحدهم ، فكان لهم بتوفيق الله وتسديده فضل نشر الاسلام فى البلاد المفتوحة شرقا وغربا (9) ·

ولكن كيف رفع الاسلام معنويات العرب ؟

غرس الاسلام عقيدة الايمان بالقضاء والقدر ، وأن النفس لن تموت الا بأجلها ، والمرء يموت فى يومه ، سواء أكان ذلك فى ساحات الوغى أم على فراشه الوثير ·

وأمر الاسلام بالشجاعة والثبات والاقدام : « يا أيها الذين آمنوا ، اذا لقيتم فئة فاثبتوا » (10) ، وقال تعالى : « ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا » (11) ، وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ، ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة ، فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » (12) ·

وحث الاسلام على (الطاعة) ، والطاعة هى روح الجندية : « وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير » (13) .. وقال تعالى : « ويقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا » (14) ·

وأمر الاسلام بالصبر : « ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم » (15) · وقال تعالى : « اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله » (16) ، وقال تعالى : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا » (17) ·

ذلك بايجاز ما أمر الاسلام به من مزايا (فردية) هى نفسها المزايا الخالدة للجندى المتميز فى كل مكان وزمان ، وهى فى نفس الوقت لها اثر فى (المجموع) لانها تبنى جيشا مقاتلا من الدرجة الاولى ، وشعبا قويا ثابتا لا يقهر أبدا ·

ولكن الاسلام لم يقتصر على تربية (الفرد) ليتحلى بالمعنويات العالية ، بل شملت تعاليمه الامة كلها ، فأمر بالوحدة وهى أساس القوة ، وحث على

---

(6) انظر التفاصيل فى مقدمة ابن خلدون 1 / 266 ، بيروت ، 1967 ·
(7) قادة فتح العراق والجزيرة 19 ، القاهرة 1964 ·
(8) قادة فتح الشام ومصر 272 ، بيروت ، 1966 ·
(9) قادة فتح الشام ومصر 274 ·
(10) الآية الكريمة من سورة الانفال 8 : 45 ·
(11) الآية الكريمة من سورة البقرة 2 : 250 ·
(12) الآية الكريمة من سورة الانفال 8 : 15 ــ 16 ·
(13) الآية الكريمة من سورة البقرة 2 : 285 ·
(14) الآية الكريمة من سورة النور 24 : 47 ·
(15) الآية الكريمة من سورة النحل 16 : 110 ·
(16) الآية الكريمة من سورة آل عمران 3 : 300 ·
(17) الآية الكريمة من سورة الانفال 8 : 46 ·

الاستعداد الحربى ، وهو اساس النصر ، وأمر بالجهاد — وهو اساس القوة والنصر معا .

امر بالوحدة : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » (18) . وقال تعالى : « ان هذه امتكم امـــة واحـــدة » (19) .

وحث على الاستعداد الحربى : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم » (20) .

وأمر بالجهاد بالاموال والانفس : « انفـــروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكـــم فى سبيـــل الله » (21) . وهو بالاضافة الى كل ذلك ، حث على اليقظة والحذر : « يا ايها الذيـــن آمنـــوا خـــذوا حذركم » (22) ، وقال تعالى : « فليصلـــوا معـــك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم » (23) .

ذلك هو اثر الاسلام قبل الحرب وفى اثنائها فى اعداد متطلبات النصر ، ومن اهم عوامل رفع المعنويات هو احراز النصر فى ميدان القتال .

ولكن اثر الاسلام يمتد الى ما بعد الحرب ، فلا يفسح مجالا لانهيار المعنويات ، وذلك بالعمل علـــى احباط محاولات العدو لاحراز النصر فى مجالات الحرب النفسية ، لاكمال انتصاراته فى الحرب .

والحرب النفسية — كما هو معلوم — تستهدف تحطيم المعنويات ، لان الامة التى تخسر الحرب وتحتفظ بمعنوياتها سليمة ، لا بد وان تعيد الكرة على اعدائها ، وتنتصر عليهم فى المدى البعيد أو القريب .

وليس هنا مجال تفصيل اهداف الحرب النفسية ، لان ذلك يخرجنا عن الموضوع الذى نتصدى له اليوم .

ومع ذلك فان الحرب النفسية ، لكى تحقق اهدافها فى تحطيم المعنويات تستهدف بث الاشاعات المغرضة ، وتعمل على تفرقة الصفوف ، وتجعل اليأس والقنوط يدب فى نفوس ابناء الشعب ، وتضخـــم نتائـــج نصر العدو ، وتخوف من استئناف القتال على اعتبار انه يؤدى الى الموت والدمار والفقر والفاقة .

والاسلام يحـــارب الاشاعات ويأمـــر بمكافحـــة مروجيها واخبار السلطات عنهم : « واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا » (24) . وقال تعالى : « لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة ، لنغرينك بهم ، ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا » (25) . وقال تعالى: « يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا علـــى مـــا فعلتـــم نادمين » (26) .

والاسلام يعمل على رص الصفوف ، ويحارب التفرقة محاربة لا هوادة فيها : « انما المومنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم » (27) . وقال تعالى : « فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » (28) .

والمسلم لا ييأس ابدا ولا يقنط من رحمة الله : « لا تقنطوا من رحمة الله » (29) . وقال تعالى : « ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون » (30) . وقال

---

(18) الآيـــة الكريمة من سورة آل عمران 3 : 103 .
(19) الآيـــة الكريمة من سورة الانبياء 21 : 92 .
(20) الآيـــة الكريمة من سورة الانفال 8 : 60 .
(21) الآيـــة الكريمة من سورة التوبة 9 : 41 .
(22) الآيـــة الكريمة من سورة النساء 4 : 71 .
(23) الآيـــة الكريمة من سورة النساء 102 .
(24) الآيـــة الكريمة من سورة النساء 4 : 83 .
(25) الآية الكريمة من سورة الاحزاب 33 : 60 .
(26) الآية الكريمة من سورة الحجرات 49 : 6 .
(27) الآية الكريمة من سورة الحجرات 49 : 104 .
(28) الآية الكريمة من سورة آل عمران 3 : 103 .
(29) الآية الكريمة من سورة الزمر 39 : 53 .

تعالى : « ولا تيأسوا من روح الله ، انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون » (31) .

والاسلام يذكر المسلمين بأن الايام دول بين الناس ، يوم لك ويوم عليك : « وتلك الايام نداولها بين الناس » (32) . وقال تعالى : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح ، للذين احسنوا منهم واتقوا أجر عظيم » (33) . وقال تعالى : « الذين قال لهم الناس : ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل » (34).

والاسلام يقرر ان الموت قدر ، وان المرء لا يموت الا بأجله الموعود : « وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله » (35) .

وهو يقرر أن الذى يموت مجاهدا فهو شهيد ، ومقام الشهداء من اعظم المقامات فى الجنة : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا ، بل احياء عند ربهم يرزقون (36) .

تلك هى معالجات الاسلام للحرب النفسية التى يريد بها العدو تحطيم المعنويات .

ولست اشك فى ان العقائد الاخرى ، لا تطمع أن تصل الى ما وصل اليه الاسلام فى رفع المعنويات قبل الحرب وفى اثنائها وبعدها .

من هنا يجب أن يحرص المسؤولون الرسميون والمسؤولون عن اهليهم ، ان يغرسوا مبادىء الدين الحنيف فى النفوس والعقول معا (37) .

ب ــ القيادة :

القيادة المتميزة ترفع المعنويات ، والقيادة الضعيفة تحطم المعنويات . ولا تقتصر القيادة على الناحية العسكرية فحسب ، ولو ان هذه القيادة لها القدح المعلى فى الحرب ، بل تشمل القيادة بالاضافة الى القيادة العسكرية ، القيادة السياسية ، والقيادة الصناعية ، والقيادة الفكرية ، والقيادة العائلية .. الخ

فاذا كان كل أولئك الرعاة موضع ثقة رعيتهم ، فان معنويات تلك الرعايا بخير ، والا فاقرأ على المعنويات الفاتحة .

لقد استيقظ الشعب العربى ، فهو يعرف قادته كل المعرفة . واستيقظ الجنود العرب ، فهم يعرفون قادتهم اعمق المعرفة ، واستيقظ العمال العرب ، فهم يعرفون قادتهم أوثق معرفة ، واستيقظ المثقفون العرب ، فهم يعرفون مزايا قادة الفكر العربى غاية المعرفة ..

والعائلة فى الدار ، تعرف رب العائلة ، وتضعه فى المكان الصحيح .

والقادة الذين يظنون انهم يخفون حقيقة امرهم ، مخطئون كل الخطأ ، او واهمون كل الوهم ، فأمرهم مكشوف ، وحقيقتهم معروفة .

ولكن كيف يصبح القائد موضع ثقة رجاله ؟

يجب أن ينسى نفسه لاجلهم ، ويجب أن يفعل ما يقول ، وينفذ أوامره على نفسه ، قبل ان يطالب غيره بتنفيذها ، ويجب أن يكون عالما بواجباته ، نزيها كل النزاهة ، متمسكا بأهذاب الخلق الرفيع ، حريصا على اداء اعماله كل الحرص بأمانة وشرف ، حريصا على مصير الذين هم تحت قيادته ، سريع القرار صائبه ، يتحمل المسؤولية ، ولا يحاول القاء تبعاتها على الآخرين ، يبادل رجاله حبا بحب وثقة بثقة ، يعرف مزاياهم فيولى الرجل المناسب العمل المناسب ، دون تحيز أو انحراف ، له مبادىء معروفة سليمة يؤمن بها كل الايمان ، ليست له شخصية مزدوجة ، يضحى بمصالحه من اجل رجاله ، ولا يضحى برجاله من اجل مصالحه ، لا يكل ولا يمل من العمل ، يساوى نفسه برجاله فى حياته الشخصية ، ولا يستأثر دونهم

---

(31) الآية الكريمة من سورة يوسف 12 : 87 .
(32) الآية الكريمة من سورة آل عمران 3 : 140 .
(33) الآية الكريمة من سورة آل عمران 3 : 172 .
(34) الآية الكريمة من سورة آل عمران 3 : 173 .
(35) الآية الكريمة من سورة آل عمران 3 : 145 .
(36) الآية الكريمة من سورة آل عمران 3 : 169 .
(37) انظر تفاصيل أثر الدين فى المعنويات مفصلا فى الفصل القادم : اثر الاسلام فى احراز النصر .

بالغنم ، ويلقى بالغرم عليهم ، له شخصية قوية نافذة ، ورأى واضح سليم ، وله ماض مشرف مجيد . .

مثل هذا القائد ، يسير رجاله معه حتى الموت عن طيبة خاطر ودون تردد .

ومثل هذا القائد ، يرفع المعنويات الى عنان السماء .

ومثل هذا القائد ، يقود رجاله الى النصر بسهولة ويسر .

كان رجال خالد بن الوليد ، يفعلون الاعاجيب فى ميدان القتال تحت رايته ، ذلك لانه كان : (لا ينام ولا ينيم) بالاضافة الى مزاياه القيادية الاخرى . وصدق الله العظيم : « ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز . الذين ان مكناهم فى الارض ، اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الامور » (38) .

فى هذه الآية الكريمة ، صفات القائد المنتصر ، باسلوب رائع معجز ، ولكنه شامل كامل .

واشهد اننى لم اقرا حتى فى الكتب المعتمدة الحديثة ، بحثا عن صفات القائد المنتصر فيه كل هذه الروعة والدقة والايجاز والشمول .

جـ ــ النصر :

النصر فى ميدان الحرب ، والنصر فى ميدان العلم ، والنصر فى ميدان العمل ، وكل نصر فى اى ميدان من الميادين يؤدى الى رفع المعنويات .

ولكن النصر له تكاليف ، واولها التخطيط له ، والعمل الدائب ، لوضع ذلك التخطيط فى حيز التنفيذ .

ولم يكتب النصر فى اى ميدان لاحد ، دون الاعداد الكامل السليم لكل متطلبات النصر .

ان النصر لا يتحقق مطلقا بالكلام الفارغ ، وبالادعاءات الكاذبة ، بل ان هذا الكلام وتلك الادعاءات بعد انكشاف حقيقتها ، تلحق ابلغ الضرر بالمعنويات .

الوعد بالنصر السريع مثلا ، ثم تثبت الاحداث العكس ، يؤدى الى انهيار المعنويات .

وفى القضايا العسكرية ، يجب انذار الجيش والشعب بما يمكن ان يحدث فى الحرب فعلا ، حتى لا يؤخذ الجميع على حين غرة ، فيؤدى ذلك الى زعزعة الثقة والمعنويات .

ان النصر يكون بالعرق والدموع والدماء ، ويكون بالبذل والتضحية والفداء .

اما الكلام وحده ، فلا يؤدى الا الى الهزيمة .

ان الاعمال وحدها هى التى ترفع المعنويات ، اما الاقوال بدون اعمال فتدمر المعنويات . والعرب فى هذه الظروف يحتاجون الى كثير من العمل وقليل من الكلام .

وقد سألنى صديق قبل ايام قائلا : لماذا سكت وقد ارتفعت الاصوات ؟

فقلت له : اخدم امتى بصمتى ، حين يضرها غيرى بالكلام .

وما عسى ان تفيد الاقوال ، خاصة اذا كذب الواقع الافعال ؟

وصدق الشاعر :

السيف اصدق انباء من الكتب
فى حده الحد بين الجد واللعب

ان انتصارا واحدا للعرب على اسرائيل ، كفيل بأن يبدل معنوياتهم من حال الى حال .

وكل ادعاء يخالف ذلك هراء وافتراء .

قرات فى مذكرات المرحوم طه الهاشمى ، ان (المس بيل) فى العشرينيات من هذا القرن ، طالبت باستخدام الضباط المتقاعدين الذين خدموا فى الجيش العثمانى سابقا فى الجيش العراقى الذى كان فى ابتداء تشكيله .

---

(38) الآيتان الكريمتان من سورة الحج 22 : 40 ــ 41 .

واجابها المسؤول البريطانى الذى كان يعمل فى السفارة البريطانية فى حينه : « كيف نستخدم هؤلاء الضباط فى الجيش العراقى الجديد ، وهم من هم وطنية واخلاصا » ؟ ؟

« انهم سينشئون جيلا وطنيا لا غبار عليه » ·

وابتسمت (المس بيل) بخبث وقالت : « لا تخش شيئا ! ان المستر (فلانا) فى وزارة المعارف !!! وهو المسؤول عن تربية الجيل الجديد » !!

ان العرب يمتلكون عقيدة سامية تصون معنوياتهم فى ايام السلام والحرب ·

وقد حارب الاستعمار بوسائله الجهنمية هذه العقيدة ، وبذل كثيرا من الجهد والمال لتحقيق اهدافه الهدامة ، لانه يعلم ان الامة بدون عقيدة لا قيمة لها فى الحياة ، ولا خطر منها على الاستعمار ·

وكان من المتوقع أن يتبنى العرب عقيدتهم بعد نيل حريتهم ، ولكنهم لم يفعلوا شيئا مذكورا فى هذا المجال !

هل يبنى الشعب العربى باشاعة الفحشاء والمنكر بين ابنائه ؟

هل يبنى هذا الشعب بالاغانى الخلاعية ، والافلام الداعرة ، وقصص المخدع ، والاستهتار بالقيم الروحية ؟

ماذا فعلنا لغرس مبادىء الدين الحنيف فى قلوب التلاميذ والطلاب فى المدارس والجامعات ؟

ماذا فعلنا لغرس هذه المبادىء بين ابناء الشعب؟

ماذا فعلنا لغرسها فى نفوس العسكريين ؟

لقد كان انتصار العرب المسلمين ايام الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام ، وفى ايام الفتح الاسلامى العظيم ، انتصار عقيدة لا مراء ·

لم ينتصر العرب والمسلمون مطلقا بكثرة العدد، وقد كان اعداؤهم متفوقين عليهم بالعدد والعدد فى كل معركة خاضوها ، وقد انتصرت الفئة القليلة من العرب المسلمين على الفئة الكثيرة من العرب غير المسلمين ، ومن الفرس والروم وحلفائهم ، بالعقيدة وحدها ، واتحدى من يثبت خلاف ذلك · فلماذا نستبدل الذى هو ادنى بالذى هو خير ؟

ان المعنويات عامل مهم من عوامل النصر ، بل هى اهم عامل من عوامل النصر على الاطلاق ، وهى التى تصون العدة وتجعل لها فاعليتها فى يد الجيش ·

ولا نصر بدون عقيدة منشئة بناءة ، تصاول فى ايام السلام ، وتصمد فى ايام الحرب ، وتكافح عوامل الحرب النفسية التى يشنها الاعداء ·

ان الاسلام بالنسبة للعرب ، هو السلاح السرى الذى جعلهم يقودون العالم قرونا طويلة فى ميادين السياسة والحضارة والحرب ·

فل نستعمل هذا السلاح اليوم ، كما استعمله اجدادنا من قبل ، لننتصر كما انتصروا ولنقود العالم كما قادوه ، أم نبقى فى مهب الرياح العاتية تتقاذفنا المبادىء والافكار التى قد تنجح فى الامم الاخرى · ولكنها لن تنجح فى الشعب العربى لانها تنزعه من جذوره ، وقد اثبت الواقع العربى المرير هذه الحقيقة؟

ان الوقت مع العرب على اعدائهم ، اذا سلكوا الطريق السوى . .

وانى لابشر العرب بالنصر عاجلا وآجلا ، ولكننى اطالبهم بتكاليف النصر ، واولها البذل والتضحية والفداء·

اننى ابشر العرب بالنصر ، ولكننى لا ابشرهم بالراحة · والايام القادمة ستكشف للعرب الحقائق الناصعة ، وكل آت قريب · وصدق الله العظيم : « يا ايها الذين آمنوا ، ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » (39) ·

---

(39) الآيــة الكريمة من سورة محمد 47 : 7 ·

الروح بين الدين والحرية

العلمية

للاستاذ

محمد حمادي العزيز

الروح هى الوجود ، وهى الحياة .

وقبل وجودها ، وبدونها ، يستحيل كل اثر للوجود وللحياة .

والانسان هو الروح .

وهذه حقيقة واضحة جدا ، لان الانسان روح تتصل بجسم وتحل فيه الى حين مؤجل تتكلف اثناءه بجميع نشاطاته الحياتية نهارا وليلا ، وتضطلع باعباء الاشعاع الروحى والعقلى والنفسى ، وبمسؤوليات التفتحات الانسانية فى مختلف الميادين الاجتماعية والحضارية والثقافية والانمائية والعمرانية .

فالروح ، اذن ، هى الانسان بعبارة دقيقة لان الجسم بدونها لا يستطيع حراكا .

وانسان بدون روح لا يوجد ، ولا يحيا ، ولا يعيش بالمفهوم الميتافيزيقى الفيزيقى المعروف لدينا فى كوكبنا الارضى .

والروح مخلوق شانه شان كل مخلوق فى الوجود اللانهائى اللا محدود خلقه الله الخالق .

ولهذا فهى ترتبط بالله الخالق ارتباطا وثيقا ما لها منه مهرب لانه مفروض عليها .

ويتعمق هذا الارتباط الوثيق للروح بالله الخالق ويتسع حتى يغدو علاقات متينة ، واعية سامية ووجدانية عليا ، ينظمها الدين الحنيف .

ويفرض الدين الحنيف الايمان بالله الخالق اذا نشأ الانسان فى بيئة اجتماعية متدينة .

ويفرض الايمان بالله بدوره على الانسان الذى يؤمن أن يتدين اذا لم يكن قد نشا نشاة دينية فى بيئة اجتماعية متدينة .

اما اذا لم يكن الانسان قد نشا نشاة دينية فى بيئة اجتماعية متدينة فانه ، بطبيعة الحال وبحكم واقعه ، لا يكون متدينا ، وقد يحتمل ان يكون مؤمنا غير متدين ، وقد لا يحتمل ان يكون مؤمنا حسب ما يخضع له من الوان التاثيرات البنوية والاجتماعية

والفكرية والحضارية التى ينتمى اليها او التى يخضع لها بحكم املاءات حياة مجتمعه او بحكم املاءات التعايش المجتمعى ·

ويتنوع تنظيم العلاقات بين الروح المخلوقة وبين الله الخالق بتنوع النشآت البنوية والاجتماعية، وبتنوع ميراثها الدينى والعقائدى والطقوسى، وبتنوع مسلماتها الايمانية او الايقانية الغيبية ، وبتنوع تراثها الاجتماعى والحضارى والثقافى والتقاليدى ، وبتنوع اصول ثقافاتها وحضاراتها ومشاربها الفلسفية وتطلعاتها الغائية ·

ويعتبر كل تنوع من التنوعات العديدة فى تنظيم العلاقات بين الروح والله الخالق التى عرفها الانسان منذ بداية الوجود الانسانى الى يومنا هذا ، او التى يحتمل ان يعرفها فى المستقبل حالات روحية وعقلية ونفسية لها جذورها العميقة جدا فى التكوين الروحى والنفسى والعقلى التاريخى للانسان يرثه تسلسليا من اعماق الماضى البعيد عن طريق أبيه وعن طريق امه ، وعن طريق بيئته الاجتماعية ، وعن طريق تربيته وتعليمه وثقافته وتجربته الحياتية وتجاوباته العديدة مع الافكار الرائدة والغائية للنضالات الرامية الى نصرة المثل العليا للرقى بمستويات الانسانية والانسان غائيا ومضمونيا وواقعيا ·

ويعد الايمان بالله وبدينه الحنيف أهم وابرز ارث روحى ونفسى وعقلى يرثه الانسان من اعماق ماضيه البعيد والعريق فى القدم بواسطة تسلسل اسلافه ·

والدين ، فى حقيقته ، التزام جازم وقوى بالسير فى سبيل الله الواضح الغايات ، المحدد المعالم ، البين الامتدادات والابعاد فى حياة الانسان قبل الموت فى دنياه على الكوكب الارضى وفى حياته الخالدة بعد الموت فى الآخرة فى النعيم المقيم ·

وينظم هذا الالتزام بالدين الحنيف الحرية للانسان تنظيما خاصا توافق غاياته ، ومعالمه وامتداداته وابعاده كما ارادها الله الخالق للانسان ورسمها له ·

فالحرية فى الدين الحنيف حرية دينية (الهية) رسم حدودها الله الخالق للانسان رسما حكيما ، وسماها «حدود الله» ، وامر الانسان المؤمن المسلم الا يتعداها ، ووعد سبحانه من يحترمها بالجزاء الحسن ، وأوعد من يتعداها بالعقاب الشديد ·

وفى هذا يقول الله تعالى فى القرآن الكريم :

« ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه » (1) ·

والدين الحنيف اذ ينظم الحرية للانسان انما يحد من اطلاقها فلا تبقى حرية مطلقة ·

وغايته من هذا التنظيم انهاء ما يترتب على الحرية المطلقة من فوضى ، وفساد ، واعتداء ، وظلم وغير هذا من مساوىء وشرور تضر بالحياة الانسانية·

وعند ما يغيب الدين الحنيف فى بيئات اجتماعية خاصة فى مختلف العصور التاريخية لاسباب سياسية او مذهبية (اديولوجية) أو اجتماعية فان القوانين الوضعية التى يشرعها الانسان هى التى تتولى تنظيم الحرية للحد من اطلاقها ·

ولكن دين الله الحنيف لا يغيب نهائيا لان الايمان بالله وبدينه ارث يرثه الانسان وراثة روحية ونفسية وعقلية باطنية من الماضى العريق فى القدم بواسطة تسلسلات نسب اسلافه ·

وسواء أحب الانسان هذا أو كرهه ، أقر به او رفضه فان الايمان بالله وبدينه يوجد فى تكوينه الروحى والنفسى والعقلى التاريخى جنبا الى جنب مع العناصر الاخرى ·

ودين الله منذ كان انما فرضه الله علينا لتنظيم الحرية ·

ان الحرية لا تكون حرية حقيقية الا اذا خضعت لتنظيم الدين الحنيف ، ولتنظيم القوانين العادلة المسنونة باجتهاد تشريعى يتوافق وروح الدين الحنيف والتطلعات الغائية للانسانية ·

ومنذ القديم والانسان ، باسم الحرية ومن اجلها ، يصارع الدين الحنيف وكل تنظيم قانونى لها للابقاء على أسباب الفوضى والفساد والاعتداء والظلم·

---

(1) الآية 1 من سورة الطلاق ·

وهو صراع روحي ونفسي وعقلي ، في حقيقته وغاياته ، له تجذرات باطنية متأصلة في اعماق نفس الانسان الامارة بالسوء (اللاشعور) منذ بداية الوجود الانساني في الجنة وعند انزاله الى كوكبنا الارضي ·

ويتلاشى هذا الصراع الروحي والنفسي والعقلي، باسم الحرية ومن اجلها ، ضد الدين عند الانسان المؤمن المسلم بفضل المبادىء والاوامر والوصايا الحكيمة التي فرضها الله الخالق في دينه الحنيف ، وعند ذاك تصفو روحه اذ تصبح الحرية بالنسبة له منظمة تنظيما دينيا (الهيا) حقا وعادلا ·

ان ما اراده الله الخالق هو الذي كان وسيكون دائما وابدا ·

وارادة الله نافذة ولن يستطيع ان يقف امامها اي واقف كيفما كان شأنه ·

ومنذ الازل اراد الله الخالق ان يوجد الوجود اللانهائي اللامحدود بكل من وما فيه من مخلوقات وموجودات ، وكان امرا سهلا هينا على قدرته الربانية المطلقة ·

ولقد ارتضت اراداته الدين الحنيف لابناء الانسان على كوكبنا الارضي وما استطاع ، ولن يستطيع ان يعارض ارادته اي معارض مهما حاول ، وان بدا له ان محاولته ناجحة ·

وفي هذا يقول الله تعالى في القرآن الكريم :

« يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ، ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون » (1) ·

ولم يكن الانسان في اي زمان ولا في اي مكان حرا ولا مختارا في امر وجوده وحياته ومصائره فيهما، ولن يكونهما ابدا ، وهو كذلك لن يكون حرا ولا مختارا في امر الايمان بالله وبدينه !

ان حرية الانسان الحقة ، اذن ، توجد في الايمان بالله وبدينه الحنيف ·

وعلى هذه الحرية التي ينظمها الايمان بالله وبدينه الحنيف يتوقف صفاء الروح واطمئنانها واستمرار تدرجاتها في المراتب الروحية العليا ، ويتوقف عليها مصيره في الحياة الاخرة بعد الموت ·

وفي ضوء هذا نستطيع ان نتبين موقف الروح بين الدين والحرية ، وحقيقة الحرية الحقة التي ينبغي للانسان ان يلتزم بها في حياته الدنيا على كوكبنا الارضي قبل الموت ليضمن صفاءه الروحي ويفوز في الحياة الاخرة بعد الموت برضوان الله الخالق وبالخلود في النعيم المقيم ·

هذه هي الحرية التي حددها الله الخالق للانسان وفرضها عليه ·

اما الحرية الاخرى التي يختارها لنفسه خارج الايمان بالله ، وبدينه الحنيف ، وبعيدا عن روحها ليبرر تصرفاته واعتداءاته وفساده فانما هي الفوضى والضراوة الحيوانية الكاسرة التي ترفضها الانسانية الواعية الرشيدة ·

وانطلاقا من هذا الاختيار الخاطىء للحرية يقع الانسان في اخطاء عديدة تثير مشاكل دونما انقطاع يأخذ في البحث عن حلولها ، ولا يستطيع لها حلا حقيقيا ، وان كان يتراءى له انه يحلها ·

واثناء الحديث عن موضوع الروح بين الدين والحرية يجد الانسان نفسه وجها لوجه امام موقفين هما :

— موقف الايمان بالله وبدينه الحنيف ·

— موقف اللا ايمان واللادين ·

ويترتب على هذين الموقفين مصيرين خطيرين في الحياة الدنيا على كوكبنا الارضي قبل الموت وفي الحياة الآخرة بعده ·

ففي الحياة الدنيا قبل الموت تنقسم الانسانية الى قسمين كبيرين هما :

— قسم المؤمنين بالله وبدينه الحنيف ·

— وقسم غير المؤمنين واللادينيين ·

وتحدث تبعا لهذا الانقسام اضطرابات فى الحياة الانسانية على سائر المستويات الحياتيـة وخاصـة السياسية الامر الذى قد يؤدى احيانا عند استحالة أو صعوبة التعايش بين القسمين الى العنف والقتال والحروب بالاضافة الى الاختلالات الاخرى فى القيم والمثل العليا ، والى انتشار الوان الفساد باسم الحرية اللادينية او الفوضى ·

وعند ما يبتعد الانسان عن الايمان بالله وبدينه الحنيف فانه يستطيع أن يستبيح كل حرمة ويبرر كل فساد كيفما كان لونه ونوعه ·

وقد وجد هذا الانقسام منذ بدايـة الوجـود الانسانى على ارضنا ، وقسماه تعايشا دائما تعايشا خفيا تارة ، وعلنيا تارات اخرى ، وما نزال نشاهد هذا التعايش فى عصرنا هذا ، ولا شك انه سيستمر فى المستقبل الى ما يشاء الله ·

وفى هذا يقول الله تعالى فى القرآن الكريم :

«ولو شاء الله ما اشركوا» (1) ·

«ولو شاء ربـك لآمـن من فى الارض كلهـم جميعا» (2) .

«وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله» (3)·

ويستمر هذا الانقسام فى الحياة الآخـرة بعد الموت ويصبح قسمين هما :

— قسم اصحاب النعيم .

— وقسم اصحاب الجحيم ·

وبعبارة أخرى ان الحياة الدنيا قبل الموت على الكوكب الارضى تعيد نفسها فى الحياة الآخرة ·

وقسم أصحاب النعيم هم المؤمنون بالله وبدينه الحنيف ·

وقسم أصحاب الجحيم هم الكافرون والمشركون (غير المؤمنين بالله وحده) واللادينيون .

وفى هذا يقول الله تعالى فى القـرآن الكريم :

«ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام والنار مثوى لهم » (4) ·

«ان الله لا يغفر ان يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك باللـــه فقد ضل ضـلالا بعيدا» (5)·

ان حرية اللا ايمان واللادين التى يختارها الانسان لهى بحق حرية خاطئة لا تستند على اى سند صحيح·

فالله هو الخالق وهو الذى فرض الايمان بـه وبدينه الحنيف ، وبين لنا البعث والحساب والجزاء يوم القيامة فى الحياة الاخرة بعد الموت ·

وعند ما تجلى الله تعالى تجليات واضحة فـى القرآن الكريم لم يبق للانسان ما يقوله فى موضوع الدين والحرية ، وفى قضية موقفه بينهما ·

والحديث عن الانسان هو عينه الحديث عـن الـروح ·

فالانسان هو الروح كما هو معلوم ·

الروح من امر الله الخالق ·

والدين الحنيف هو الآخر من امره سبحانه ·

والله الخالق اعلم بالروح وبشؤونها واحوالها فلهذا اوجد لها الدين الحنيف يربيها ، ويهذبها ، ويثقفها ويوجهها ، ويرشدها ، ويسمو بأحلامها وتصورها ، وتخيلها ، وتفكيرها ، وبآمالها ، وبأمانيها ، وبمطامحها، وغاياتها لتصفو وتتطهر وتزكى ·

---

1) الآية 107 من سورة الانعام ·
2) الآية 99 من سورة يونس .
3) الآية 100 من سورة يونس ·
4) الآية 12 من سورة محمد
5) الآية 116 من سورة النساء ·

فالدين الحنيف ، اذن ، تربية الهية للروح ·

والحرية التى تعشقها الروح ، وتنشدها دائما، وتقترف باسمها ومن أجلها ابشع الآثام واكبر الذنوب نالت اهتماما كبيرا من التربية الالهية ·

وكلما ارتقت الروح فى تفهمها الواعى والوجدانى للتربية الالهية واستوعبتها استيعابا حقا ، وتقمصتها تقمصا صادقا باطنيا وظاهريا ارتقى مفهوم الحرية عندها ، وارتفع ، وسما ، وصفا ·

وحسب هذا المفهوم نستطيع ان نسمى الحرية التى تهذبها وتوجهها التربية الالهية حرية الهية ·

وتقابل هذه الحرية الالهية التى ابتغاها اللـه الخالق للروح الحرية الانسانية الاخرى التى ترفض التربية الالهية وتختار ما ترومه من اختيارات مذهبية، او بعيدة عن كل مذهبية ، كمفاهيم تربوية لسلوكها ، وتصرفاتها ، ومعتقداتها ·

وبين تربية الهية وتربية « انسانية » غير الهية يوجد فاصل تتزايد ابعادها بتزايـد الاختلافـات بين التـربيتيـن ·

ان قضية التربية ، اذن ، هى الموضوع الاصلى لما تعانيه الروح من مشاكل واضطرابات وغيرهـا فى الحياة الدنيا قبل الموت فى الكوكب الارضى ، ولما تناله من حسن الجزاء ومن سوء العقاب فى الحياة الآخرة بعد الموت ·

وتوضح لنا هذه الفقـرة الاهميـة الاصليـة الرئيسية للتربية بالنسبة للروح وعلاقتهـا بالحيـاة الانسانية فى الدنيا على الكوكب الارضى قبل المـوت وفى الآخـرة بعـده ·

والتربية اختياران أصليان :

ـ تربية الهية (دينية) ·

ـ وتربية انسانية « غير الهية اى لا دينية » ·

وهكذا تتجلى لنا أهمية الايمـان والديـن او اللا ايمان واللادين بوضوح فى الاختيار التربوى الاصلى والرئيسى الذى يوجه الحياة الانسانية توجيها اساسيا روحيا ومهنيا (ماديا) وسلوكيا ·

ان قضية الاختيار التربوى مسؤولية الهية كبرى اكثر منها مسؤولية انسانية تقع على عاتق الانسان !

وكل انسان مسؤول كما هو معلوم (1) ·

وحرى بالانسان الواعى والرشيد والمسؤول أن يختار التربية الالهية ، ويختار منها جانب الله الخالق، والايمان به ، وبدينه الحنيف ·

واذا كان هـذا الاختيـار التربوى تعترضـه صعوبات ومشاكل عديدة فى عصرنا فقـد سبـق أن اعترضته صعوبات ومشاكل مشابهة فى كل العصور التاريخية الماضية ، وتستعرضه دون شك صعوبات ومشاكل مماثلة اخرى فى العصور التاريخية اللاحقة للوجود الانسانى ·

وتعكس لنا هذه الصعوبات والمشاكـل التـى تعترض الاختيار التربوى الالهى قضية الصراع الروحى النفسى والعقلى المتجذر تجذرا باطنيا متاصلا فى أعماق نفس الانسان الامارة بالسوء (اللاشعور) ·

ويتبع كلا من الاختيارين التربويـن المذكوريـن اختياران اخلاقيان لهما اهمية عظيمة وخطيرة فى الحياة الانسانية بالنسبة للروح قبل الموت فى الدنيـا علـى الكوكب الارضى وبعده فى الآخرة وهما :

ـ الاختيار الاخلاقى الدينى (الالهى) ·

ـ والاختيار الاخلاقـى الانسانـى اللادينـى (اللاالهى) ·

والانسان المؤمن المسلم الواعى والراشد يعرف قيمة الاخلاق الدينية (الالهيـة) فى حيـاة الانسان الاجتماعية وفى تقدم الحضارة الانسانية ·

والاخلاق الدينية (الالهية) هى نفسها الفضيلة الدينية (الالهية) ، كما ارادها الله الخالق وأمر بها · والانسـان المؤمن المسلم الذى يلتزم بالتربية الدينيـة (الالهيـة) وبالاخـلاق الـدينيـة (الالهيـة) وبالفضيلة الدينية (الالهية) التزاما حقا فانه يكون

(1) اشارة الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته » ·

ربانيا من الربانيين وقديسا من القديسين ، ووليا من اولياء الله الصالحين ·

وهذه منزلة عظيمة بالنسبة للانسان فى الحياة الدنيا قبل الموت وفى الحياة الآخرة بعده عند الله الخالق ·

وتبين لنا مرتبة الاولياء الربانيين ، والقديسين ، عند ما يصلها الانسان المؤمن المسلم اهمية الاختيار التربوى الدينى (الالهى) وما يتبعه من اختيار اخلاقى دينى (الهى) واختيار للفضيلة الدينية (الالهية) ·

ولنا فى هذا الاختيار التربوى الدينى عظة وعبرة وذكرى ·

ويقدم لنا تاريخ الامة الاسلامية العربية درسا تاريخيا عاليا يؤكد قيمة الاختيار التربوى الدينى (الالهى) عند ما كان الالتزام به متينا ، فحينما سادت التربية الدينية وسادت معها الاخلاق الدينية والفضيلة الدينية حازت السيادة الاسلامية العربية نصرا معززا، وكانت ذات شوكة وبأس ومنعة ، وبلغت حضارتها أوجا عظيما ، وادركت معارفها وعلومها وفنونها وثقافتها مبلغا ساميا من التقدم والازدهار والرقى ·

وحصل للامة الاسلامية العربية عكس هذا عندما ضعف الالتزام فيها بالتربية الدينية (الالهية) فرأينا ما رأينا فى ربوعها من اسباب التأخر والتخلف والانكسارات والوان شتى من الغزو الاجنبى ضدها ·

ان روح الانسان المؤمن المسلم فى الحالة الاولى تمسكت بالتربية الدينية (الالهية) فقوت وترقت وارتفعت فلهذا حازت كل ما استحقته من سيادة ونصر وعزة ، وبلغت الاوج العظيم فى الحضارة وادركت المبلغ السامى فى المعرفة والعلم والفن والثقافة فى عصورها ·

وفى الحالة الثانية ضعف تمسكها بالتربية الدينية الالهية ، وتخلت عنها بكيفيات شتى مباشرة تارة وغير مباشرة تارات اخرى ، ففقدت كل ما حازته وبلغته وادركته الى أن عادت ثانية الى صوابها ووعيها ورشدها واخذت تتمسك بتراثها الاسلامى العربى ·

وهى ، دونما شك ، حائزة وبالغة ومدركة اعلى واسمى وارقى ما ترومه وتبتغيه وتستهدفه اذا اثرت العودة الى التربية الدينية (الالهية) ·

ولنتأمل الآن ، فى ضوء هذه الحقيقة التاريخية والتربوية ، قول الله عز وجل فى القرآن الكريم :
« وما النصر الا من عند الله «وما النصر الا من عند الله ، ان الله عزيز حكيم » (1)
« ولينصرن الله من ينصره » (2) ·

ــ فماذا نجد ؟

والجواب واضح ، وهو :

ان الالتزام بالتربية الدينية (الالهية) وبالاخلاق الدينية ، وبالفضيلة الدينية يجازيه الله الخالق بنصر الهى من عنده ·

وكيف لا ؟

ــ فما دام الدين دين الله ، والايمان ايمان به والنصر من عنده ، وما دامت التربية تربيته والاخلاق اخلاقه ، والفضيلة فضيلته ، والروح من أمره ، فان الفوز يكون حليف الانسان المؤمن المسم الولى الربانى القديس ·

وهكذا يوضح لنا قوله تعالى : « قل الروح من امر ربى » (3) سرا عظيما آخر من أسرار الله الخالق يتجلى فى حياة الانسان المؤمن المسلم أثناء ارتقاءاته الروحية وما يحوزه من نصر ويبلغه من رقى ويدركه من فوز كجزاء ، وما يحيق به عند تدهوره الروحى من مهانة وانكسار وتخلف كعقاب فى الدنيا ·

ومعنى هذا :

ــ ان قوة الايمان بالله وشدة التقرب منه تؤديان الى نصره ، وهو حسن الجزاء فى الدنيا على الارض ·

ــ وان ضعف الايمان به ، والبعد عنه يؤديان ايضا الى تخليه سبحانه عن تفضله باعطاء نصره

---

1) الآية 10 من سورة الانفال ·
2) الآية 40 من سورة الحج ·
3) الآية 85 من سورة الاسراء ·

هو سوء عقابه الالهى فى الحياة الدنيا على كوكبنا الارضى .

وفى هذا العقاب الدنيوى ابتلاء من الله الخالق للانسان غايته العودة الى قوة الايمان بـه وشدة التقرب منه .

وفى هذا يقول الله عز وجل فى القرآن الكريم :

« ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم » (1) .

والجهاد انواع ثلاثة جهاد اصغر (2) ، جهاد اكبر (3) ، وجهاد النفس .

والانتصار فى كل نوع من أنواع الجهاد يتطلب قوة الايمان بالله ، وشدة التقرب منـه ، والقـدرة على الصبر .

ولا يستطيـع الصبر وتحمل الشدائد الا مـن الهمه وهداه الله الخالق الى قوة الايمان به والتقرب منـه .

ان هذا يهم كل انسان مؤمن مسلم هداه الله الى الايمان به وبدينه الحنيف .

يكفينا هذا التحليل الوجيـز بالنسبـة للتربيـة الدينية (الالهية) ، اما التربية الانسانيـة اللادينيـة فتحليلها يطول — لانه يكون موضوعا آخر له استقلاله الذاتى — ولا بد ان يكون للايمان غير المباشر بالله الخالق او للايمان الخفى به أثرهما المهم والفعال فى تأمين الكثير من اسباب النصر والفوز فى الحياة الدنيا .

واترك للقارىء الواعى والراشد تأمله ، والتمعن فيه ، ودرسه دراسة شخصية واسعة للوصول الى تكوين رايه الخاص فيه ، وهو راى يعتمد على التحليل الدينى والفلسفى والنفسى بالاضافة الى القـراءات الموضوعية الكثيرة .

وانه على ضوء فهمنا للروح فقط نستطيع ان نفهم تفسير الكثير من قضايانا الثقافية والاجتماعيـة والحضارية والانسانية الاخرى .

ويعنى هذا ان الحديث عما هو انسانى ظاهرى فى حياة الانسان اليومية فى هذه الدنيا على كوكبنا الارضى انما هو حديث عما هو باطنى خفى فيها .

والروح هى ذلك الباطن الخفى فى الانسان ، الظاهر فى كل ما يؤثر فى حياتـه اليوميـة المرئيـة (الظاهرية) .

وبناء على هذه الحقيقة يجب ان نهتم بذواتنـا كأرواح قبل ان نهتم بها كأجسام ، وان ننظر الـى نشاطاتنا الحياتية اليومية كتحليلات روحيـة عميقـة مؤثرة وايجابية وفعالة قبل ان ننظر اليهـا كمجـرد انتاجات علمية او عملية .

ونتبين من خلال هذا اهمية دين الله الحنيف وقيمته الاساسية العليا كمصور روحى أصلى واصيل للتربية الدينية (الالهية) التى تستهدف جعل الانسان وليا ربانيا قديسا وايصال روحه الى درجات سامية من الصفاء والطهارة والتزكية والرقـى فى المعـارج الروحية القريبة من الله الخالـق ، وهـى درجـة المقربين (4) .

هذه هى اهمية الدين الحنيف وقيمته الايجابية العالية بالنسبة للخلود فى النعيم المقيم بقرب اللـه الخالق جزاء منه سبحانه على حسن الايمان به وقوته، والتقرب منه ، وحبه .

— فهل يترك الانسان الواعى والراشد الايمان بالله الخالق وبدينه الحنيف ويتخلى عن التربية الدينية (الالهية) الى اللايمان (الكفر ، والشرك ، والالحاد ، والفسوق ، والعصيان) واللادين والتربية الانسانية غير اللادينية ؟

هذا هو السؤال الخطير الموضوع حاليا فـى حياتنا اليومية فى كل حين من احيان النهار والليل .

والمجيبون عليه هم نحن .. كل واحد منا .

لقد رسم الله الخالق الحرية للانسـان رسما حكيما حسب تعاليم دينه الحنيف وحرية الانسان كما

---

1) الآية 31 من سورة محمد .

2 — 3) اشارة الى حديث رسول الله صلى الله عليهوسلم « رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر »

4) اشارة الى الآيتين 88 ، 89 من سورة الواقعة« فأما ان كان من المقربين ...

اراد الله الخالق ورسمها هى الحرية الدينية (الالهية) اى حريته الربانية التى اختارها له وابتغاها .

ومن العبارات الشهيرة السارية سريان الامثال والهواء والماء فى حياتنا اليومية هذه العبارة « الخير فيما اختاره الله » .

واذا كان هناك ما يمكن ان تبينه لنا هذه العبارة فهى أن حرية الانسان كخير توجد دائما فيما اختاره الله الخالق وابتغاه واراده .

والله الخالق دائما وابدا مريدا ومختارا ، وافضل من يختار لخلقه .

والحرية بهذا المفهوم ترتبط بالدين ، وتمتزج به امتزاجا التحاميا يحولها الى حرية دينية (الهية) .

وبعد هذا :

— فاى مفهوم آخر — غير هذا المفهوم للحرية — يمكن ان يتصوره الانسان المخلوق لحريته امام الحرية الدينية (الالهية) التى اختارها له الله الخالق ؟

انه سؤال يحمل فى ذاته جوابه .

وبحكم المنطق فان الانسان ما دام مخلوقا موجودا فان كل اختيار من اختياراته يجب ان يخضع لارادة الله الخالق واختياره الالهى ولما رسمه له وابتغاه .

وهذا الخضوع من الانسان لارادة الله الخالق عبادة .

وفى هذا يقول الله عز وجل فى القرآن الكريم :

« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » (1).

فالعبادة ، اذن ، فرض على المخلوقات التى خلقها الله الخالق من الجن والانس .

وتؤكد لنا هذه الآية الكريمة أن روح الانسان المؤمن المسلم التى هداها الله عز وجل الى الايمان به ، وبدينه الحنيف ، يجب ان تختار الحرية الدينية (الالهية) وأن تؤثر جنبه لتستنير دائما وأبدا بنوره الربانى ، وتفوز برضوانه ، وتحظى بنعيمه الخلد فى جنانه .

ان ما يختاره الانسان يفنى ، ولا قيمة له ، اما ما أراده الله الخالق واختاره وابتغاه فهو الباقى والدائم .

وعلى ضوء هذه الحقيقة ينبغى اختيار التربية الدينية (الالهية) واعتمادها لتنشئة أجيال الانسان على هديها .

ويعنى هذا أن التربية الدينية (الالهية) يجب أن تكون روح مناهج التربية والتعليم والثقافة فى المجتمع المؤمن المسلم :

والعلم الحق لله الخالق وحده وهو المعين

1) الآية 56 من سورة الذاريات .

الشريعة الإسلامية

ومشكلة العلاقة بين القانون الدولي والقانون الداخلي

للاستاذ

عبد الواحد الناصر

أهمية المواضيع التي يعالجها هذا البحث تتجلى إذا ما لاحظنا أن تطور العلاقات الدولية قد أدى إلى ارتباط الدول الإسلامية بعدد كبير من المعاهدات والمواثيق الدولية التي تتضمن قواعد قانونية تخالف القواعد المطبقة في الانظمة القانونية التي تقيمها الشريعة الإسلامية.

وأول هذه المواضيع هي: هل تكون القواعد الدولية في الشريعة الإسلامية نظاماً قانونياً مستقلا عن ذلك الذي تقيمه القواعد الداخلية منها. أم إنها جميعها تشترك في إقامة نظام قانوني واحد؟

والواقع أن الإجابة على هذا السؤال تحدد إلى حد كبير الإجابة على أسئلة أخرى لاتقل أهمية، تتعلق بموضوع علوية القواعد الدولية أو العكس. وبمركز المعاهدات في الشريعة الإسلامية باعتبارها تشكل القواعد الإتفاقية في القانون الدولي العام.

الشريعة الاسلامية نظام قانوني واحد:

فالإسلام لايفرق في الخطاب بين الفرد والجماعة على اختلاف صورها، وذلك لان هذا الخطاب صادر عن رب العالمين، وموجه إلى جميع البشر بدون تمييز ولا تفريق. وشريعة الإسلام تهدف إلى الافراد والجماعات والشعوب والامم في منظمة عالمية متحدة في العقيدة وفي المباديء والاصول الكلية التي تحكم العلاقات في المجتمع الفاضل المتحرر من العنصرية والطائفية (1)

فالشريعة الإسلامية تنظم كافة العلاقات الإنسانية فردية وجماعية، سواء في ما بين الافراد، أو بينهم وبين حكامهم. أو بين الجماعات الإسلامية، كما أنها تتضمن القواعد القانونية الدولية لعلاقات الامة الإسلامية كوحدة مع الامم الاخرى في زمني السلم و الحرب (2)

وإذا أردنا استعمال الاصطلاحات القانونية الحديثة،

(1) أحكام القانون الدولي العام في الشريعة الإسلامية للدكتور حامد سلطان

(2) الشخصية الدولية في القانون الدولي العام وفي الشريعة الاسلامية للدكتور محمد كامل ياقوت ص 238

فإن هذا يعني أن الشريعة الاسلامية تجتمع فيها كل أحكام القانون بفروعه المختلفة ، أي أنها تشكل قانونا واحـــدا يشمل القانون الدولي والقانون الداخلي معاً ، في وحـــدة قانونية أو في نظام قانوني واحد . فالقانون الدولي والقانون الداخلي هما ، في الشريعة الاسلامية ، فرعان لنظـــام قانوني واحد ، دون أن يكون لاحدهما الصدارة أو السيادة على الأخر من حيث القوة القانونية . فكلاهمـــا يتساوى مع الأخر ، لان طبيعة أحكامهما واحدة ، ولان مصدر كليهما واحد ، وهدف كل نظام منهما واحد (3)

على أن هذه الوحدة الموضوعية ، لا تمنع من القول بأن هناك قواعد قانونية دولية مستقلة عن القواعد القانونية الداخلية في الشريعة الاسلامية . وهذا التمييز يبدو ضروريا على صعيد العلاقات الدولية للجماعة الاسلامية. ومن هنا يصح القول بأن الفرع الداخلي من الشريعة الاسلاميـــة يسري في النطاق الاقليمي الاسلامي ، بينما تسري أحكام الفرع الدولي منها ما بين الامة الاسلامية وبين غيرها من الامم والشعوب والدول الاخرى .

لكن القاعدة القانونية الاسلامية ، من حيث طبيعتها وغايتها ، واحدة في النطاق الداخلي أو في النطاق الخارجي فهي تنظم العلاقات الانسانية مهما كان نوعها ، ومهما إختلفت أطرافها ، على أساس المبادىء والاصول الكلية في الاســـلام ، وهي العدالة والمســـاواة والشـــورى و الاخلاق(4) . وهذه المبادىء والاصول لا تعرفها بنفس الصورة النظم القانونية الاخرى . فالعدالة الاسلامية على سبيل المثال عدالة موضوعية غير شكلية ، لا تتجزأ، ولا تتعدد، ولا تتعارض تطبيقاتها في النطاقين الدولي والمحلي، نظراً لوحدة مصدرها وأساسها وتكامل مبادئها وأهدافها.

وهذه الخصائص التي تتميز بها الشريعة الاسلاميـــة تحسم ما يتنازع فيه الفقه الدولي المعاصـــر من خلافات حول تحديدالعلاقة بين القانون المحلي والقانون الدولـــي العام ، وما ذهب إليه فريق منه باستقلال كل منهما عن الأخر ، وقول فريق آخر بوحدتهما على أساس سيادة أحدهما على الأخـــر .

مقارنـــة لا بد منهـــا :

لكن هذه الخلافات التي يعرفها الفقه الدولي المعاصر بشأن العلاقات بين القانون الدولي والقانون الداخلي، ترجع لاسباب موضوعية لا تعرفها الشريعة الاسلاميـــة .

فمن الناحية التاريخية نجد أن القانون الوضعي الداخلي له الاسبقية في الوجود على القانون الدولي ، إذ نشـــأت الدول أولا ، ونشأ معها قانونها الداخلي ، ثم نشأت بعد ذلك القواعد القانونية الدولية لتنظيم علاقات الدول في المجتمع الدولي . فالقانون الداخلي له أسبقية في الوجود على القانون الدولي ، وهذا ما يسوغ منطقيا إعطـــاءه الاولوية في التطبيق . ومع ذلك فإن الفقه الوضعي مختلف حول هذه النتيجة ، إذ ذهب جانب منه إلى أن القانون الداخلي أعلى من القانون الدولي العام ، وذهب جانب آخر الى أن القانون الدولي العام له الاولوية على القانون الداخلي إذ يعلو عليه ويحد له (5)

لكن هذه المشكلة ، رغم أهميتها العملية ، غيـــر مطروحة على صعيد الفقه الاسلامي ، ولا يمكن أن تثار الامن جانب أولئك الذين تأثروا بالفقه الدولي الغـــربي

(3) أحكام القانون الدولي في الشريعة الاسلاميـــة للدكتور حامد سلطان ص 181

(4) المرجع السابق ص 181

(5) القانون الدولي العام في السلم والحرب للدكتـور الشافعي محمد بشير ص 38

بنظرياته واتجاهاته . ذلك أن الشريعة الاسلامية، المتمثلة في الكتاب والسنة ، قد دخلت حيز التطبيق مع بداية نشأة الكيان السياسي الاسلامي ، أو منذ تأسيس الرسول (ص) للدولة الاسلامية . فالقواعد التي تضمنتها هذه الشريعة ظهرت الى الوجود القانوني في وقت واحد ، ولم يكن بذلك سبق للقواعد الداخلية على القواعد الدولية .

وهناك وجه آخر للمقارنة ، وهو أن القانون الوضعي الداخلي ، يعتبر من حيث البناء الفني في مستوى أعلى من القانون الدولي ، وذلك باعتبار أن المجتمع الداخلي قد وصل لدرجة من الكمال لم يصل اليها المجتمع الدولي (6). لكن هذه الملاحظة بدورها غير واردة بالنسبة للشريعة الاسلامية . فبناؤها الفني من درجة واحدة ، بل إن قواعدها تنطبق في نفس الوقت على الافراد كما تنطبق على الجماعات والشعوب والدول . لكن الشريعة الاسلامية في نشأتها وطبيعتها وخصائصها . وكذلك في صياغتها وقواعدها وأهدافها ، تختلف جوهريا عن القانون الروماني الذي كان سائداً في الشرق الادنى عند قيامها . والذي كان المصدر الرئيسي لمعظم النظم القانونية الاوربية . وللقانون الدولي العام نفسه. فالشريعة الاسلامية نظام قانوني أصيل ومستقل بقواعده له ونظرياته . بل هي في الواقع المصدر الاساسي لمبادىء القانون العامة التي أخذت بها النظم القانونية للدول المتحضرة الحديثة(7)

بقي هناك وجه آخر للمقارنة لا يقل أهمية ، وهو أن المنطق القانوني الوضعي يحتم قبول سيادة القانون الدولي العام على قواعد القانون الوطني ، بمعنى أن يكون اختصاص الدولة مقيد بقواعد القانون الدولي العام، وأن تكون القواعد القانونية الدولية هي القواعد الاساسية واجبة الاحترام (8) . لكن القول بعلوية القواعد الدولية على القواعد الداخلية ، مثلما هو الحال بالنسبة للفقه الوضعي والقضاء الدولي(9) ، قد يعني إعطاء العلوية لقواعد القانون الدولي الاتفاقية ، وأساسها الاجتهاد، على القواعد الداخلية في الشريعة الاسلامية ، وهي مستمدة من الكتاب والسنة ، في حين أن الاجتهاد لا يمكنه أن يعلو على النصوص ، وبالتالي فان القواعد الاتفاقية ، وليدة الاجتهاد لا يمكن بأي حال أن تعلو على القواعد التشريعية ، وهذ ما سنعود الى تفصيله فيما بعد .

لقد ذهب البعض الى أن الشريعة الاسلامية تشمل القانون الداخلي والقانون الدولي العام معاً ، وتقوم هي ونظرياتها على ما يعرف بقاعدة «وحدة القانون» بينما تقوم النظريات التقليدية الغربية على «قاعدة ثنائية القانون». لذلك فالنظرية الاسلامية لا تعرف ، أولا تعترف بالحاجز الفاصل الذي وضعه الفقه الغربي التقليدي بين نطاقي القانون الدولي والقانون المحلي : بل هي تتحرك في حرية في فلك بيضاوي تضمهما قاعدة وحدة القانون، وذلك لان الشريعة الاسلامية نظام قانوني محلي ودولي متكامل ، وشريعة عالمية(10)

لكن هذا الرأي إن كان صائباً فيما انتهى اليه، إلا أنه يبدو مفتقراً الى الصواب فيما استند اليه . فاذا كانت

---

(6) المرجع السابق ص 38

(7) انظر الشخصية الدولية في القانون الدولي والشريعة الإسلامية ص 379

(8) مبادىء القانون الدولي العام . دكتور محمد حافظ غانم ص 115

(9) انظر القانون الدولي العام للدكتور عبد العزيز سرحان ، الباب الثالث : العلاقة بين القانون الدولي العام والقانون الداخلي

(10) الشخصية الدولية في القانون الدولي العام والشريعة الاسلامية ص 239

الشريعة الاسلامية تنتظم كافة العلاقات بين وحدات المجتمع الدولي التي ينظمها القانون الداخلي بفرعيه الخاص والعام، كما تنتظم في نفس الوقت العلاقات بين وحدات المجتمع الدولي من سلم وحرب وحياد، فإن هذا لا يعني بأي حال أنها تأخذ بنظرية وحدة القانون كما يعرفها الفقه الغربي.

ثم إنه ليس هناك وجه للمقارنة بين وحدة القانون التي تقوم عليها الشريعة الاسلامية وبين نظرية وحدة القانون كما استقر عليها الفقه الغربي التقليدي، وبالتالي فإنه لا يمكن القول بأن الشريعة الاسلامية تأخذ بنظرية وحدة القانون التي هجرها الفقه الغربي ليأخذ بدلا منها بنظرية ثنائية القانون.

فأنصار نظرية وحدة القانون الغربي لا يكتفون بأن النظم القانونية المختلفة يربطها رباط الوحدة، بل يبحثون بعد ذلك عن القاعدة الاساسية في البناء القانوني، وعن مكان وجودها، وذلك لكي يعترفون للفرع القانوني الذي توجد فيه بالصدارة والتفوق القانوني لاحكامه على سائر الاحكام في الفروع الاخرى(11)

ان الاحكام الشرعية كلها متساوية، مادام أن مصدرها واحد. فالاحكام الواردة في القرآن الكريم كلها متساوية من حيث طبيعتها القانونية. والاحكام الواردة في سنة الرسول (ص) كلها متساوية من حيث طبيعتها القانونية. غير أن الاختلاف في القوة القانونية قائم على أساس التدرج في قوة المصدر. ووفقاً للحديث الوارد على لسان معاذ بن جبل، فإن ترتيب المصادر يكون على النحو التالي: القرآن أولا، فإن لم يوجد به نص فسنة رسول الله، فإن لم يوجد بها نص، فالاجتهاد بالرأي.

لمن العلوية : للقواعد الدولية أم للقواعد الداخلية :

واذا كانت المعاهدات تعد المصدر المباشر والاول للقانون الدولي العام، ولما كانت المعاهدات والمواثيق التي تبرمها الدولة الاسلامية تدخل في نطاق المصدر الثالث للشريعة الاسلامية، وهو الاجتهاد بالرأي، فهل يكون لقواعد القانون الدولي العام الاتفاقية علوية على المقتضيات الشريعية التي تضمنها الكتاب والسنة؟

الدكتور محمد طلعت الغنيمي يجيب على هذا السؤال بأن «الدولة الاسلامية لا تستطيع أن تتذرع في التحلل من معاهداتها بتشريع محلي أو تنظيم وطني، لان هذا يكون من قبيل نقض الايمان وعدم الوفاء بالعهد»(12). ويرى، اسناداً إلى الآيات الكريمة التي تلزم باحترام العهود والمواثيق، أن «الاسلام غلب الالتزامات الدولية على القواعد الداخلية، ففرض على الدولة الاسلامية أن تحترم معاهداتها مع المشركين، ولم يسمح لها بأن تتخذ من قاعدة من القواعد التي تحكم مسلكها الداخلي كدولة ذريعة للتحلل من هذه الالتزامات» (13) ويؤسس الدكتور الغنيمي على هذا المبدأ العام، المتمثل في وجوب احترام العهود والمواثيق، اعتقاده بأن النظرية الاسلامية تقول بوحدة القانونين الدولي والداخلي مع إعطاء علوية لاحكام القانون الدولي على أحكام القانون الداخلي، مضيفاً أن رأيه قد يبدو مرهقا إلى حد ما للنظرية الاسلامية. حيث أن فلسفتها التقليدية لا تحتمل القول بأنها كانت تعرف تمييزاً في الاحكام بين ماهو داخلي وما هو خارجي على النحو الذي يقول به التقليديون الغربيون(14).

---

(11) أحكام القانون الدولي العام في الشريعة الاسلامية للدكتور حامد سلطان ص 181.

(12) الاحكام العامة في قانون الامم ص 248

(13) المرجع السابق ص 249

(14) المرجع السابق ص 250

ويلاحظ بادىء بدء أن الدكتور الغنيمي يحاول التنسيق والتوفيق بين نظرية وحدة القانون ونظرية ثنائية القانون التي يقوم على أساسهما الخلاف في الفقه الدولي المعاصر بشأن العلاقة بين القانون الدولي العام والقانون الداخلي. ذلك أنه يقرر وحدة القانونين الدولي والداخلي في الشريعة الاسلامية من جهة ، ثم ينتهي إلى إعطاء العلوية لاحكام القانون الدولي على أحكام القانون الداخلي من جهة أخرى .

ولكن الوهن يبدو جلياً في نظرية الدكتور الغنيمي من ثلاثة وجوه :

الأول : ان وحدة القانونين الدولي والداخلي في الشريعة الاسلامية ، تقتضي القول بعدم علوية أحكام القانون الدولي على أحكام القانون الداخلي . فأحكامهما من طبيعة واحدة ، ومصادر واحدة ، وقوة واحدة ، ولا مجال للقول بعلو بعض هذه الاحكام على البعض الأخر(15)

والثاني : ان انفاء هذه العلوية ، يتمثل على الخصوص في أن الدولة الاسلامية لا يمكنها أن تعدل قوانينها الداخلية المستمدة من الشريعة الاسلامية ، أو تخرقها ، تطبيقاً لمقتضيات اتفاقية دولية. فجميع الاتفاقيات والالتزامات الدولية يجب ألا تعارض الاحكام الشرعية ، ويسري عليها ما يسري على القرارات السياسية الاقليمية من حيث مراقبتها الدستورية(16)

والثالث : ان الاسلام قد أمر فعلا باحترام الاتفاقات التي تتم مع المشركين أو مع غيرهم ، ولكنه اشترط بالمقابل عدم مخالفتها لاحكام الشرع الاسلامي . وهذا يقتضي القول بأن الاسلام لا يعلي الالتزامات الدولية على القواعد الداخلية ، ويفرض على الدولة الاسلامية أن تتحلل من هذه الالتزامات ما دامت منافية للشرع الاسلامي . ومثال ذلك المعاهدات العدوانية او المعاهدات مع دولة ذات سياسة عدوانية تجاه المسلمين او تجاه الدعوة الاسلامية وعقيدتها . فهذه المعاهدات تقضي الشريعة الاسلامية ببطلانها ، وتجريد موقعيها من نيابتهم عن الامة في إبرامها . وقد ينطوي ذلك على اتهام الإمام لنقض الشريعة والتعاون مع أعداء الامة(17) ، وهذا ما يعترف به الدكتور الغنيمي حين يشير أن الفقهاء يذهبون الى أن الامام الذي يبرم معاهدة تضر بالمسلمين يعتبر أنه قد خرج عن سلطته السياسية، ومن تم فإن المعاهدة تصبح باطلة(18)

مركز القواعد الدولية الاتفاقية بالنسبة للشريعة الاسلامية :

واستناداً الى الملاحظات السابقة ، فان قاعدة احترام الدولة الاسلامية لالتزاماتها الدولية ، ليست حجة لنظرية علوية القانون الدولي على القانون الداخلي، كما أن وجوب عدم خرق المعاهدات لاحكام الشرع الاسلامي ليس حجة على علوية قواعد القانون الداخلي على قواعد القانون الدولي بالنسبة للمسلمين . ذلك أن أحكام الشريعة الاسلامية متساوية في قوتها القانونية ، ولا تفرق بين النطاق الداخلي والنطاق الخارجي ، وإن كان هناك تدرج في القوة القانونية بالنسبة للأحكام المثبتة في الكتاب والسنة ، و

(15) نقصد هنا بصفة خاصة الاحكام التي تضمنها الكتاب والسنة ، والتي تكون القانون الدائم للمسلمين بالنسبة لتعاملهم الدولي ، والتي لاتقبل التغيير مثل الالتزامات والمعاهدات والاعراف الدولية . انظر القانون الدولي في الاسلام للدكتور محمد حميد الله ، سلسلة الثقافة الاسلامية العدد 38 ص 61

(16) الشخصية الدولية في القانون الدولي العام والشريعة الاسلامية ص 239

(17) المرجع السابق ص 240

(18) الاحكام العامة في قانون الامم : دراسة في كل من الفكر الغربي والاشتراكي والاسلامي ص 499

الاحكام المستمَدة منهما بواسطة الاجتهاد .

ان الشريعة الاسلامية حينما تركت للمسلمين الحق في إنشاء المعاهدات للسعي الى تحقيق ما يرون من أغراض ، اشترطت لصحة المعاهدة من حيث الموضوع ، ثلاثة شروط :

أولا : ألا تمس أحكامها الشريعة الاسلامية التي بها قوام الشخصية الاسلامية . وقد جاء في ذلك قوله عليه الصلاة والسلام «كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل» . ومعنى ذلك أن كتاب الله يأباه ويرفضه . ومن هذا القبيل لا يعترف الاسلام بصحة المعاهدة او شرعيتها اذا كانت تستباح بها الشخصية الاسلامية ، وتفتح للأعداء بابا يمكنهم من الإغارة على جهات إسلامية ، أو يضعف من شأن المسلمين بتفريق صفوفهم وتمزيق وحدتهم .

ثانيا : ان تكون مبنية على التراضي ، فالاسلام لا يرى قيمة لمعاهدة تنشأ على أساس من القهر والغلبة. وهذا شرط تمليه طبيعة العقد . فالاكراه في عقد المعاهدة – مهما يكن نوع الاكراه – يفسدها من حيث موضوعها .

ثالثا : يجب أن تكون المعاهدة بينة الاهداف وواضحة المعالم وتحدد الالتزامات والحقوق تحديداً لا يدع مجالا للتأويل والتخريج ، فالقرآن الكريم يحذر من عقد المعاهدات التي تكون أحكامها غامضة وملتوية(19)

وعلى ضوء هذه الحقائق ، يمكن القول بأن قواعد القانون الدولي الاتفاقية ، وهي وليدة الاجتهاد، تأتي بالنسبة للشريعة الاسلامية في الدرجة الثانية ، وبتعبير آخر إن العلوية تكون لاحكام الكتاب والسنة ، سواء كانت تتضمن قواعد داخلية أو قواعد دولية .

---

(19) انظر أحكام القانون الدولي العام في الشريعة الاسلامية للدكتور حامد سلطان ص 208 وما يليها .

المسألة الاجتماعية
من وجهة نظر إسلامية

للأستاذ عبد الحليم عويس

تمهيد :

انه ليس من السهل الزعم بأن هناك تحديدا ثابتا لمصطلح انسانى كمصطلح المسألة الاجتماعية ، كما انه ليس من السهل تحديد معلم زمنى موثوق به لنشأة مصطلح من هذا النوع ، حتى وان كان هذا المصطلح قد تطور ، واصبح يرمز الى قضية كبرى من قضايا الانسان فى العصر الحديث .

ومع اننا سنحاول الوصول الى تحديد نسبى لهذا المصطلح ، والى الوقوف عند معلم زمنى تقريبى لنشأته كتعبير عن قضية انسانية ، الا اننا نجد من الضرورى التنبيه — فى بداية حديثنا — الى ان هذه القضية — بمفهومها الاصطلاحى الحديث ، لم تكن وليدة البيئة الاسلامية ، أو المناخ الذى سيطرت عليه روح الاسلام ، وانما كانت « مرضا » تطور الى « أزمة حضارية » أصابت جسم الحضارة الاوربية الذى نشأ ونما وترعرع بعيدا عن قوانين الله واوامره، بل بعيدا عن نسمات الروح والاواصر الإنسانية بوجه عام .

ونضيف الى ذلك ان طبيعة الاسلام كدين لا يفصل بين آثار العقيدة والشريعة ، ولا بين خير الفرد وخير المجتمع ، ولا بين القانون وروح القانون .. هذه الطبيعة الشاملة فى هذا الدين تجعل من الصعب — فى ظل تطبيق تعاليمه — نشوء ظواهر ، كظواهر الصراع بين الفرد والمجتمع ، أو الصراع بين الطبقات ، أو غير ذلك من الظواهر التى ابرزت ما يعرف باسم (المسألة الاجتماعية) ، والتى جعلت هذه القضية تأخذ من جهود الانسان الحديث القسط الكبير .

ان الاسلام — فى حقيقته — « بناء تام الصنعة ، وكل اجزائه — من عقائد وعبارات ومعاملات اجتماعية واقتصادية — قد صيغت ليتمم بعضها بعضا ، فليس هناك شيء لا حاجة اليه ، وليس هنالك نقص فى شيء ، فنتج عن ذلك — اى عن هذه الطبيعة فى الاسلام — ائتلاف متزن مرصوص (1) » لا يجوز تقطيعه .

ونحن عند ما نضطر لعلاج قضية كالمسألة الاجتماعية لا يجوز لنا اغفال هذه الطبيعة فى الاسلام ، فلا نبتعد بالمشكلة عن جذورها ، ولا نفصلها عن الجسم الاسلامى المتزن المتكامل .

(1) محمد أسد — « الاسلام على مفترق الطرق » ص 15 .

وفى اطار هذا التصور ، وانطلاقا منه ، نبدأ فى دراسة المسالة الاجتماعية .

طبيعة علاج المسالة الاجتماعية فى الاسلام

لا توجد فى التصور الاسلامى حواجز حقيقية بين الفرد والمجتمع ، فان الفرد يحس بانه مسؤول مسؤولية مباشرة عن المجتمع ، والمجتمع ايضا يحس بأن عمل الاساسية واركانه الطبيعية هم هؤلاء الافراد المسلمون .

لقد انتمى الفرد المسلم الى هذا المجتمع بارادته، ولقد انتسب اليه روحا وفكرا ومشاعر قبل أن ينتمى اليه جسدا .. أو عضوا عاملا .

والرابطة الاولى بالتالى فى المجتمع الاسلامى هى العقيدة المشتركة .. وما ينبثق عن هذه العقيدة من تصورات ونظم وقوانين اجتماعية واقتصادية وسياسية .

وهذه الرابطة الاولى — التى ارتضاها المسلم طواعية — تذيب الفواصل بينه وبين المجتمع ، وتشعره بولاء ومسؤولية حقيقية تجاهه ، وتجاه ما يتعرض له المجتمع الاسلامى كله من مشكلات وتحديات .

والسبب الاكبر الذى نكب المجتمعات البشرية وكثف مشكلاتها فى الجوانب المختلفة ، هو انها نشأت كمجتمعات « اصطناعية » او تلقائية ، وليست مجتمعات طبيعية قائمة على الاختيار الحروى والتوافق الفكرى والعقدى .

ومن هنا ، تظهر فى احشائها بين الحين والحين امراض متنوعة ، مرة اجتماعية ، ومرة اقتصادية ، ومرة سياسية ، ومرة حضارية شاملة تهدد بناءها كله ، وتعرضها للتحلل والضياع :

* * *

والمسالة الاجتماعية ، لم يقصد بها — حين ظهرت حديثا (1) — مجرد تقعيد نظرى هادىء للاسس الصالحة لقيام المجتمعات البشرية وتماسكها — فى ظل تصور انسانى عام — وانما قصد بها ، نتيجة لكونها محاولة للبحث عن علاج لازمة حضارية كما قلنا :

« تنظيم العلاقة التى تربط الفرد بالمجتمع ، وتمنع طغيان أحدهما على الآخر ، وتضع الاسس التى تضمن انسجام المجتمع افرادا وطبقات ، وتتيح للجميع قدرا متكافئا من الفرص والحقوق ، وتلزم الجميع ايضا بقدر ملائم عادل من الواجبات » .

ولقد تطورت المسالة الاجتماعية — فى ظل غلبة النزعة المادية ، وموت الروح الانسانية وذبول القيم الدينية فى اوربا ، واستعباد الآلة الصماء للانسان ، وافتتان الانسان بها — تطورت هذه المسالة فلم تعد مجرد قضية انسانية جزئية ، بل اصبحت مذهبا مستقلا يرفعه اصحابه الى مستوى ما يعرف «بالايديلوجية»(2) تلك التى تشكل — فى نظر اصحابها — نظرة كونية عامة ، وتفسر جميع الظواهر تفسيرا ماديا قاصرا (3)، دون أن تلتفت الى الجوانب الكثيرة الاخرى الروحية والشعورية والاخلاقية التى تتشكل منها الحياة ، والتى لا يسمى الانسان انسانا ، ولا تسمى الحياة انسانية — الا بها .

* * *

ومنذ وجد الانسان على الارض والتفكير الاجتماعى يحتل جانبا كبيرا من اهتمامه ، وبالتأكيد فان هناك صلات وثيقة بين الجانب الاجتماعى والجوانب الانسانية الاخرى وعلى راسها العقيدة الدينية .

ومعلوم أن النظم والعقائد التى سيطرت على بعض الحضارات كالفراعنة والاغريق (اليونان) والرومان ، قد اتجهت الى تقديس الملوك ، والخضوع لاستبدادهم ، والايمان بالاساس الطبقى لتكوين المجتمع (4) ، وبالتالى ضاعت فى هذه العقائد والنظم

---

(1) نحن نتناول المسالة الاجتماعية فى مرحلتها التى ظهرت فيها كثورة على الكنيسة والاقطاع بقيادة المفكرين الاجتماعيين والفلاسفة الخياليين والطبيعيين — اما الفكر الاجتماعى كفكر انسانى فهو قديم يرجع الى شعور الانسان بأنه مدنى بالطبع وبأنه كائن اجتماعى ، وليس تتبع هذا الفكر موضوع بحثنا .
(2) الايديلوجية : تستعمل بمعنى العقيدة والفكرة ، والعالم المأمول ، أو التنظيم المعين للحياة .
(3) ومن النظريات الاجتماعية والاقتصادية التى جعلت من نفسها عقيدة المذاهب الاشتراكية والشيوعية
(4) انظر — و — محمد البهى — فى « طبقية المجتمع الاوربى » ص 11 .

حقوق الافراد والمجتمعات ، ووقفت فى القمة طبقات الحكام والاشراف ورجال الكهانة ، بينما ضاعت فى السفح — بلا حقوق — الطبقات الاخرى التى تمثل جماهير الشعب ٠

فلما ظهرت النصرانية ، لم تلبث بعد فترة قصيرة من ظهورها أن انحرفت بقيادة رجال الكنيسة فجرفت ما جاء به المسيح عليه السلام واصبحت وسيلة من وسائل كبت الانسان واذلاله وحرمانه وفرض الفقر والعبودية والجهل عليه .. ولم تعد اكثر من اداة هزيلة فى يد الاقطاع ورجال الحكم ، فلا يجد الانسان فى رحابها العدل ولا المساواة ، ولا يطمع فى الاستعانة بها للوصول الى حقه فى الحرية والكرامة الانسانية ٠

ولقد نجح « قسطنطين » اول حاكم رومانى تظاهر باعتناق المسيحية — فى تحويل المسيحية الى دين وثنى مجرد من رسالة الروحية الصافية ، اذ كان يرمى — قبل كل شىء — الى ابتداع شعار دينى وثنى تتميز به دولة الرومانية عن الامة الفارسية التى يقف منها موقف المحارب ، ويعمل على تحريك العواطف الشعبية ضدها ٠

ويصف القاضى عبد الجبار الهمذانى هذا الوضع الجديد للنصرانية على يد « قسطنطين » ، فيقول : « ان الروم ما تنصرت ولا اجابت المسيح ، بل ان النصارى ترومت ، وارتدت عن دين المسيح ، وعطلت اصوله وفروعه ، وصارت الى دين اعدائه ، وهو ما عليه هذه الطوائف الثلاث من النصارى .. فعلوا ذلك طلبا للرئاسة وعاجل الدنيا » (1) .. ولقد ادى هذا التحول النكد فى المسيحية الى تسليط رجال الكنيسة التابسين فكريا للتقاليد الرومانية الوثنية على البؤساء والفقراء .. كما ادى هذا التحول — كرد فعل — الى بروز نزعات التغيير الاجتماعى فى مطلع عصر النهضة الاوربية ، وهو اول بروز عملى للمسالة الاجتماعية بمعناها الحقيقى ، الى ان تطورت كمذهب فى نهاية القرن الثامن عشر مع الثورة الفرنسية ٠

ولقد قامت هذه النزعات على اساس اعلان الحرب على المسيحية والاعتقاد بأن الدين عموما — انطلاقا من تجربة المسيحية — يشجع على الظلم ، ويتواطأ مع الاقوياء ويعجز عن تقديم الحلول الكافية « للمسالة الاجتماعية » !! وبالتالى كان معظم فلاسفة الاجتماع الاوربيين من المنكرين للاديان ، امثال « جان جاك روسو » و « فولتير » و « فرنسيس بيكون » و « ديكارت » و « أوجست كونت » و « سبنسر » و « دور كايم » ٠ بالاضافة الى زعماء المذاهب الفوضوية الاشتراكية من امثال « توماس مور » و « برودون » و « توماس كامبانلا » و « مورلى » وغيرهم ٠

***

وباضطرار التطور « التكنولوجى » والاعتماد على الآلة ، كانت المشاكل تتفاقم بين اصحاب رءوس الاموال والعمال الذين اصبحوا نتيجة تزايد الاعتماد على الآلة عرضة للبؤس والتشرد ٠

وظل الامر يستفحل بين الملاك والعمال — فى غيبة قانون الهى عادل — حتى انتهى الى « عنف دموى » بين الطبقات المختلفة ، فأخذت المسالة الاجتماعية شكلا حادا وخطيرا !! ٠

وقد استغل اليهود هذه الفرصة كعادتهم ، فركبوا الموجة المضطربة ووجهوها لمصالحهم ، وكرسوا جهودهم لتقنين هذا الاضطراب واشاعته فى العالم فاخترعوا لذلك الوانا من المذاهب المادية من شيوعية ماركسية ، الى شيوعية لينينية ، الى اشتراكيات متعددة ، الى وجودية .. وكلها مذاهب وان اختلفت شكلا تلتقى مضمونا عند نقطة رفض النظرة الدينية العالية الشاملة ، واقامة الحياة على اساس الالحاد والصراع والتناقض ٠

خصائص المنهج الالهى فى علاج المسالة الاجتماعية

عند دراستنا المنهج الالهى فى علاج المسالة الاجتماعية يجب ان نستحضر فى اذهاننا ما ذكرناه آنفا من ان المنهج الالهى كل لا يتجزأ ، وان علاج اى عضو فى الجسم لا يعنى ان بقية الاعضاء بمنأى عن التأثر بقصة هذا العضو والتأثير فيها ٠

وفى ظل الوعى بهذه الحقيقة نستطيع ان نستنتج ان طبيعة المنهج الالهى فى علاج المسالة الاجتماعية ترتكز على الحقائق التالية :

---

(1) نقلا عن « المسالة الاجتماعية » للاستاذ عمر عودة الخطيب ص 70 ٠

اولا : ان الخصائص التى تتميز بها الشريعة الاسلامية ، بل التصور الاسلامى كله ، تصدق على نظرة الاسلام للمسالة الاجتماعية ·

● فاذا كان الاسلام دين سهولة وتدرج ووسطية وتوازن بين انشطة الحياة المتوردة وجوانبها، فان هذه السمات تتجلى ايضا فى تناول الاسلام للمسالة الاجتماعية اسلوبا وغاية ·

● واذا كان الاسلام دينا ربانيا صادرا عن قوة منزهة عن كل شرك ، وليس نظرية انسانية جزئية او ترغيبية ، فان هذه الحقيقة الدينية ستتجلى ايضا فى علاج الاسلام للمسالة الاجتماعية حين لا يقتصر العلاج الاسلامى على القوانين الجافة او السلوك الظاهرى ، وانما يتعدى ذلك الى تحريك عواطف الرحمة والحب والاخوة الانسانية وخشية الله ورضاه، وصولا الى تحقيق مجتمع العدالة الاجتماعية الواقعية وليست العدالة النظرية المزيفة ·

● واذا كان الاسلام يجمع بين الثبات والتطور ورسم لكل منهما اطاره ، ويجمع بين المثالية التى ينبغى ان ترنو اليها البشرية دائما ، والواقعية التى يسير عليها الناس غالبا · ويجمع ايضا بين الدنيا — اى الوجود المحدود — والآخرة — اى الوجود الممتد ، ويخاطب الانسان بالعبادات من داخله وينظم وجوده بالمعاملات من خارجه ..

اذا كان الاسلام فى اسلوبه وتشريعاته كلها يجمع هذه الخصائص التى يعجز اى مذهب بشرى عن احداث التوفيق والانسجام والتعاون بينها ، فان هذه الخصائص تتجلى — ايضا وبالضرورة — فى علاجه للمسالة الاجتماعية ·

ثانيا : ان الاسلام لا ينظر الى المسالة الاجتماعية كقضية ذات طابع مادى فقط ، فالانسان فى نظر الاسلام لا ينحصر فى دائرة الوجود المادى او الاقتصادى — كما يقول الماديون الجدليون — وانما هو كائن انسانى روحى ، الى جانب ما فيه من جوانب مادية ·

فالحرية الانسانية مثلا فى نظر الاسلام لا تقل اهمية عن الجانب الاقتصادى ·

وقتل حرية الانسان فى مقابل توفير الخبز والملبس له انتكاسة حيوانية وردة انسانية ، وهبوط بالمستوى الذى وضع الله الانسان فيه (وهو ما فعله الشيوعيون والماديون بعامة) ·

وعلى اساس تحقيق الكفاية لكل جوانب الانسان من مادية ومعنوية ترتكز المبادىء الاسلامية فى علاجها للمسالة الاجتماعية ·

ثالثا : والاسلام كدين الهى لا يعترف بالنزعات العضوية او القومية او الطبقية ، او ما سوى ذلك من نزعات الصراع والتناقض ، بل يقيم تشريعاته على اساس الركنين الفطريين التاليين :

ا — وحدة الاصل ، فالبشر جميعا ينتسبون الى اب واحد وام واحدة وان اختلفوا جنسا ولونا ووطنا ، ولا ينبغى ان يكون اختلافهم هذا حائلا دون اخذهم حقوقهم الانسانية المشروعة (1) .. قال تعالى : « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا .. » (2) ·

ب — وحدة العقيدة : وهى التوحيد الخالص الذى جاء به النبيون جميعا « ان الدين عند الله الاسلام » (3) .. « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه » (4) · فهذا هو اساس العقيدة التى لا تبدل ، اما التشريع الذى ينظم حياة الجماعة فهو الذى يتطور فى الرسالات الالهية .. حتى اذا جاء الاسلام فى صورته النهائية كان قد احتضن الفكرة الاساسية فى دين الله الواحد ، واستبقى الصالح من المبادىء والتشريعات والنظم فى الرسالات السابقة ، واكمل الناقص منها واتمه (5) ·

(1) انظر — عمر عودة الخطيب — لمحات فى الثقافة الاسلامية بتصرف ص 326 · وانظر العدالة الاجتماعية فى الاسلام للاستاذ سيد قطب ص 98 ط 7 ·
(2) الحجرات 13 ·
(3) آل عمران 19 ·
(4) آل عمران 85 ·
(3) عمر عمر عودة الخطيب : « لمحات فى الثقافة الاسلامية » ص 328 بتصرف ·

رتب الحفظ عند المحدثين

للدكتور
عبد الله بن الصديق

نقل المناوى فى أوائل شرح الشمائل ، عن المطرزى قال : لاهل الحديث مراتب :

اولها الطالب ، وهو المبتدى . ثم المحدث ، وهو من تحمل روايته ، واعتنى بدرايته ، ثم الحافظ ، وهو من حفظ مائة الف حديث متنا واسنادا . ثم الحجة ، وهو من احاط بثلاثمائة الف حديث . ثم الحاكم ، وهو من احاط بجميع الاحاديث المروية اهـ .

واهل الحديث ، لا يعرفون هذه المراتب ، ولا يعترفون بها ، لانها تخالف ما اصطلحوا عليه .

فالطالب ، هو المبتدىء فى كل علم ، وليس خاصا بأهل الحديث . وفى حديث رواه الطبرانى باسناد ضعيف عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « منهومان لا يشبع طلبهما طالب علم ، وطالب الدنيا » .

والحجة ، من مراتب التعديل ، لا الحفظ . وهى فوق الثقة ، كما نص عليه الحافظ الذهبى فى تذكرة الحفاظ ، وستاتى عبارته بحول الله .

اما الحاكم ، فلا علاقة له بالحفظ ولا التعديل . وانما هو لقب عائلى لبعض الحفاظ والمحدثين .

منهم : أبو احمد محمد بن محمد بن أحمد بن اسحق النيسابورى الكرابيسى الحافظ ، صاحب كتاب الكنى وغيره من المؤلفات توفى سنة 378 قال الذهبى : وهذا هو الحاكم الكبير .

ومنهم : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم الضبى النيسابورى الحافظ . صاحب كتاب المستدرك وغيره ، يعرف بابن البيع ، توفى سنة 405 ، وهو تلميذ الحاكم الكبير .

ومنهم : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن احمد بن محمد بن حسكان القرشى العامرى النيسابورى الحنفى الحافظ ، يعرف بابن الحذاء ، وبالحسكانى اخذ عن الحاكم صاحب المستدرك ، وتوفى بعد سبعين وأربعمائة .

ومنهم : ابو الحسن على بن احمد بن محمد ابن الحسن الاسترابادى المحدث حدث سنة 432 .

ترجم له التاج السبكي في طبقات الشافعية الكبرى ، ولم يذكر تاريخ وفاته .

والعجيب ان المتأخرين ، تمالئوا على نقل كلام المطرزي ، تقليدا بدون تمحيص . والواقع : أن مراتب الحفظ عند اهل الحديث ، على الوجه الآتي : مسند ، ثم محدث ، ثم مفيد ثم حافظ ، ثم امير المومنين في الحديث . فالمسند ـ بكسر النون ـ من يعنى بالاسناد من حيث اتصاله ، أو انقطاعه او تسلسله بصفة معينة ، وان لم يكن له خبرة بالمتون .

وكان شيخنا العلامة المرحوم السيد احمد رافع الحسيني الطهطاوي الحنفي ، مسند هذا العصر بدون منازع ، له كتاب « المسمى الحميد الى بيان وتحرير الاسانيد » حرر الكلام فيه على الاسانيد الموجودة في نحو اربعمائة ثبت . ونبه على اوهام كثيرة ، وقعت في كتاب فهرس الفهارس ، وكان لا يعرف في المتون كثيرا ولا قليلا .

والمحدث : من سمع الكتب الستة والموطا وسنن الدارمي والدارقطني والبيهقي ، ومستدرك الحاكم ومسند احمد ، وسمع الى جانب هذه الكتب ، الف جزء حديثي ، وحفظ جملة مستكثرة من المتون .

ويكفي عن الحفظ في هذا الوقت أن يراجع الجامع الصغير مرات ، حتى تعلق أحاديثه بذهنه ، بحيث يستحضر حديثا منها ، اذا احتاج اليه . ويشتمل الجامع الصغير على نحو عشرة آلاف حديث، فيها الصحيح والحسن والضعيف والموضوع .

فمن أحاط بها ، واستحضر معانيها ، وعرف مظانها ، مع بقية الشروط السابقة ، كان محدثا .

والمفيد ، رتبة استحدثت في القرن الثالث الهجري .

قال الحافظ الخطيب : حدثني محمد بن عبد الله عن أبي بكر محمد بن احمد بن محمد بن يعقوب ، قال : موسى بن هرون ، سماني المفيد .

قال الذهبي : فهذه العبارة ، أول ما استعملت لقبا ، في هذا الوقت ، قبل الثلاثمائة . والحافظ أعلى من المفيد ، في العرف ، كما أن الحجة ، فوق الثقة اه .

وممن لقب بالمفيد ، سوى ابي بكر المذكور :

ابو بكر وابو عبد الله محمد بن يوسف بن يعقوب الرقي المؤرخ . روى عن الطبراني وغيره ، توفي سنة 382 ، اتهمه الخطيب بوضع حديث ، في فضل اهل الحديث .

قلت لفظ الحديث المشار اليه : اذا كان يوم القيامة جاء أصحاب الحديث بأيديهم المحابر فيأمر الله جبريل ان يأتيهم فيسألهم وهو أعلم بهم فيقول : من انتم ؟ فيقولون : نحن اصحاب الحديث ، فيقول الله عز وجل : ادخلوا الجنة على ما كان منكم ، طالما كنتم تصلون على النبي في دار الدنيا .

رواه الخطيب في التاريخ من طريق محمد بن يوسف الرقي حدثنا الطبراني ثنا الدبري ثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس رفعه به .

ورواه ابو المحاسن الروياني في فوائده عن عبد الله بن جعفر الجبائري عن محمد بن يوسف الرقي به ، لكن قال : عن معمر عن قتادة عن انس .

ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق الخطيب ، وقال : الحمل فيه على الرقي ، وقال الذهبي : وضع على الطبراني هذا الحديث .

ورواه الديلمي في مسند الفردوس ، والنميري في الاعلام من طريق آخر ، فيه محمد بن احمد بن مالك الاسكندراني ، وهو مجهول . واقتصر الحافظ السخاوي في القول البديع ، على تضعيفه من الطريقين . وهو تساهل منه ، رحمه الله ، فالحديث موضوع ، كما قال الخطيب وابن الجوزي والذهبي.

ومما يؤكد وضعه : نكارة معناه ، وروايته من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن انس .

ومن لقب بالمفيد : ابو سليمان حمد بن محمد ابن ابراهيم بن خطاب البستي الخطابي ، صاحب معالم السنن وغيره من المصنفات ، وهو احد شيوخ الحاكم ، صاحب المستدرك ، توفي سنة 388 ببلده بست ، في افغانستان .

وابو سعيد محمد بن على بن محمد النيسابورى الخشاب المتوفى سنة 456، وأبو منصور عبدالمحسن بن محمد بن على الشيحى السفار المتوفى سنة 489 ، وابو الفرج عبد الخالق بن احمد بن عبد القادر بن احمد بن يوسف اليوسفى البغدادى المتوفى سنة 548 .

وابو على صدر الدين الحسن بن محمد بن محمد بن محمد التيمى البكرى الصوفى المتوفى سنة 656 .

وشمس الدين على بن المظفر بن القاسم الربعى الدمشقى المتوفى سنة 656 .

ثم المفيد من جمع شروط المحدث ، وتأهل لان يفيد الطلبة الذين يحضرون مجالس املاء الحافظ ، فيبلغهم ما لم يسمعوه ، ويفهمهم ما لم يفهموه ، وذلك بان يعرف العالى والنازل ، والبدل والمصافحة والموافقة ، مع مشاركة فى معرفة العلل ، والاصل فيه ما رواه ابو داود والنسائى عن رافع بن عمرو قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس بمنى حين ارتفع الضحى ، على بغلة شهباء ، وعلى يعبر عنه .

وفى الصحيح عن ابى جمرة قال : كنت اترجم بين ابن عباس وبين الناس .

والحافظ ، اختلف فى تعريفه ، بين مشدد ومخفف .

واعدل التعريفات فيه ، انه من جمع ثلاثة شروط :

1 — حفظ المتون ، ولا يقل محفوظه عن عشرين الف حديث .

2 — حفظ اسانيدها ، وتمييز صحيحها من سقيمها .

3 — معرفة طبقات الرواة واحوالهم ، طبقة بعد طبقة ، بحيث يكون من يعرفه اقل ممن لا يعرفه ، حتى اذا قال فى راو : لا اعرفه ، اعتبر ذلك الراوى من المجهولين .

ويتفاوت الحفاظ ، بتفاوت كثرة محفوظاتهم وقلتها .

وهذه امثلة عن ذلك :

قال يعقوب الدورقى : كان عند هشيم عشرون الف حديث .

وقال يحيى بن معين : كانت كتب ابن المبارك التى حدث بها نحو عشرين الف حديث .

وقال يزيد بن هرون : احفظ اربعة وعشرين الف حديث بالاسناد ، ولا فخر ، واحفظ للشاميين عشرين الفا ، لا اسأل عنها .

وقال ايضا : سمعت حديث الفتون ، مرة واحدة فحفظته . واحفظ عشرين الفا ، فمن شاء فليدخل فيها حرفا .

وحديث الفتون طويل ، يقع فى نحو كراسة .

رواه النسائى فى السنن الكبرى وابن ابى حاتم والطبرى فى تفسيريهما ، وابو يعلى فى معجمه كلهم من طريق يزيد بن هرون عن اصبغ بن زيد عن القاسم بن ابى ايوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به .

قال ابن كثير : وهو موقوف من كلام ابن عباس وليس فيه مرفوع الا قليل منه ، وكأنه تلقاه ابن عباس ، مما ابيح له نقله من الاسرائيليات عن كعب الاحبار او غيره .

وسمعت شيخنا الحافظ ابا الحجاج المزى ، يقول ذلك اهـ .

وقال الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد — بعد ان عزاه لابى يعلى — : رجاله رجال الصحيح غير اصبغ بن زيد والقاسم بن ابى ايوب ، وهما ثقتان اهـ .

قلت : وقع فى ترجمة أصبغ من الميزان : راوى حديث القنوت ، وكذلك وقع فى ترجمة القاسم ، من تهذيب التهذيب ، وهو تصحيف .

وقال داود بن عمرو الضبى : كان اسمعيل ابن عياش يحدثنا من حفظه ، ما رايت معه كتابا قط . فقال له عبد الله بن احمد بن حنبل : اكان يحفظ عشرة آلاف حديث ؟ قال : وعشرة آلاف ، وعشرة آلاف . فقال له ابى احمد : هذا مثل وكيع .

وقال حرب الكرمانى : املى علينا سعيد بن منصور ، نحوا من عشرة آلاف حديث من حفظه ·

وقال الحافظ ابو بكر بن ابى داود صاحب السنن : حدثت من حفظى باصبهان ، بستة وثلاثين الفا · الزمونى الوهم فى سبعة أحاديث منها فلما انصرفت ، وجدت فى كتابى خمسة منها على ما كنت حدثتهم به ·

وقال الحافظ ابو حفص بن شاهين : أملى علينا ابن ابى داود ، وما رايت فى يده كتابا قط ، انما كان يملى حفظا · وكان يقعد على المنبر ، بعد ما عمى ، ويقعد دونه بدرجة ، ابنه ابو معمر ، بيده كتاب ، فيقول له : حديث كذا فيسرده من حفظه ، حتى يأتى على المجلس ·

قرأ علينا يوما حديث الفتون ، من حفظه ، فقام ابو تمام الزينبى وقال : لله درك ! ما رأيت احفظ منك ، الا ان يكون ابراهيم الحربى · فقال : كل ما يحفظه ابراهيم ، فأنا احفظه · وانا اعرف بالنجوم ، وما كان يعرفها ·

وقال النجارى : احفظ مائة الف حديث صحيح، ومائتى الف حديث غير صحيح ·

وسأل رجل ابا زرعة الرازى : انه حلف بالطلاق : انك تحفظ مائة الف حديث ؟ فقال : تمسك بامرأتك ·

وقال ابو زرعة ايضا : احفظ القراءات ، عشرة آلاف حديث ·

وقال الحافظ ابو العباس ابن عقدة : احفظ مائة الف حديث بأسانيدها ·

وقال الحافظ ابو بكر بن الجعابى : احفظ اربعمائة الف حديث ، واذاكر بستمائة الف حديث ·

وقال ايضا : دخلت الرقة ، وكان لى ثم قمطر من كتب ، فجاء غلامى مغموما وقال : ضاعت الكتب فقلت : يابنى لا تغتم ، فان فيها مائتى الف حديث ، لا يشكل على حديث منها ، لا اسناده ، ولا متنه ·

ثم الحافظ نوعان :

1 ـ حافظ على طريقة الفقهاء ، كالطحاوى والبيهقى والباجى وابن العربى المعافرى والقاضى عياض والنووى وابن تيمية وابن القيم وابن كثير ·

2 ـ حافظ على طريقة المحدثين ، وهم معظم الحفاظ ·

والحافظ على طريقة المحدثين ، اكثر حفظا ، واوسع رواية ، واعرف بأحوال الرجال وطبقاتهم ، وادرى بقواعد التصحيح والتضعيف ، لتمكنه فى معرفة العلل ، وغرائب الاحاديث ·

وامير المؤمنين فى الحديث ، هى الرتبة العليا فى الحفظ ، لا رتبة فوقها · واستحدثت هذه الرتبة فى المائة الثانية للهجرة ·

قال الحافظ السيوطى فى التدريب : كان هذا اللقب مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم : « اللهم ارحم خلفائى » قيل : ومن خلفاؤك ؟ قال : « الذين يأتون من بعدى يروون أحاديثى وسنتى » رواه الطبرانى وغيره · قلت : هذا الحديث رواه الرامهرمزى فى المحدث الفاصل ، والطبرانى فى المعجم الاوسط ، وابو نعيم فى تاريخ أصبهان ، والخطيب فى شرف أصحاب الحديث ، كلهم من طريق احمد بن عيسى العلوى اخبرنا ابن ابى فديك عن هشام بن سعد عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عباس قال : سمعت على بن ابى طالب يقول : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « اللهم ارحم خلفائى » قلنا : يا رسول الله ومن هم ؟ قال : « الذين يأتون من بعدى يروون احاديثى ويعلمونها الناس » احمد بن عيسى الهاشمى العلوى ، نقل الذهبى فى ترجمته من الميزان عن الدارقطنى ، انه قال فيه : كذاب · وحكم الذهبى ببطلان هذا الحديث ، بعد أن ساقه باسناد الرامهرمزى ·

وقال الحافظ الزيلعى فى نصب الراية : وقد روى الحافظ ابو محمد الرامهرمزى ، فى اول كتاب المحدث الفاصل ، حديثا موضوعا لاحمد بن عيسى ، هو المتهم به ، وذكر هذا الحديث ·

ورواه الخطيب فى شرف اصحاب الحديث من طريق عبد السلام بن عبيد حدثنا ابن أبى فديك عن هشام بن سعد به .

عبد السلام بن عبيد ، قال ابن حبان : يسرق الحديث ، ويروى الموضوعات . وسرقة الحديث : ان يعمد الراوى الى حديث معروف من طريق معين . فيرويه من طريق آخر .

مثاله : روى الليث ويونس عن الزهرى عن انس حديث « من كذب على متعمدا » الحديث . رواه عبد السلام هذا عن سفيان بن عيينة عن الزهرى ، فحوله من رواية الليث ويونس الى رواية ابن عيينة، وهذه سرقة .

وروى ابن عيينة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة حديث « لا يلدغ المؤمن من حجر واحد مرتين » .

سرقه عبد السلام فرواه عن ابن عيينة عن الزهرى من ابى الزناد عن الاعرج عن ابى هريرة .

وعبد السلام هذا ، روى عنه ابو عوانة فى صحيحه ، كأنه لم يعرف حاله ولحديث الخلفاء طريق آخر ، أخرجه الخطيب فى شرف اصحاب الحديث ، من طريق أبى الصباح عبد الغفور عن ابى هاشم الرمانى عن على عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الا ادلكم على آية الخلفاء منى ومن اصحابى ومن الانبياء قبلى ؟ هم حملة القرآن والاحاديث عنى وعنهم فى الله ولله عز وجل » .

عبد الغفور ، قال ابن حبان : كان ممن يضع الحديث . وقال ابن عدى : ضعيف منكر الحديث .

ولا شك ان أهل الحديث ، نواب عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فى تبليغ أحاديثه ، ونشر سنته ، فهم خلفاؤه .

ولهذا سمى بعضهم ، أمير المومنين فى الحديث .

كما ان الخلفاء الحكام ، سموا امراء المومنين لنيابتهم عنه فى تنفيذ الاحكام ، واقامة الحدود ، وحماية بيضة الاسلام .

وليس كل عالم ، او فاضل ، او صاحب رأى ، يصلح لخلافة الحكم . بل يشترط فيمن يتولى هذا المنصب الخطير ، شروط مفصلة فى كتب الفقه الاسلامى . كذلك ليس كل حافظ يستحق لقب امير المومنين فى الحديث . وانما يستحقه من توفرت فيه الشروط الآتية :

1 — شدة الاتقان والضبط بنوعيه : ضبط صدر ، وضبط كتاب .

2 — التبريز فى العلل ، او الرجال .

3 — ان يؤلف كتابا له قيمته العلمية ، كبير الاثر فى موضوعه ، او يتخرج به حفاظ مهرة .

ولعزة اجتماع هذه الشروط فى شخص ، لم ينل هذا اللقب من الحفاظ على كثرتهم الا نفر قليل منهم، لا يتجاوز عددهم عشرين نفسا . منهم الامام مالك ابن انس .

قال يحيى بن سعيد القطان ، ويحيى بن معين: مالك امير المؤمنين فى الحديث . على انه لم يكن واسع الحفظ ، لانه لم يرحل الى البلدان والاقطار ، كما رحل غيره من الحفاظ . ولم يبارح المدينة المنورة، الا للحج ، ثم رجع . وبسبب ذلك فاته حديث كثير.

لكنه كان شديد الاتقان ، بالغ التحرى ، مبرزا فى نقد الرجال . قال الترمذى فى العلل : سمعت اسحق بن موسى الانصارى قال : سمعت معن بن عيسى يقول : كان مالك بن انس يشدد فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى الياء والتاء ونحو هذا .

وروى ايضا عن على بن المدينى قال : قال يحيى ابن سعيد القطان : ما فى القوم اصح حديثا من مالك ابن انس ، كان مالك اماما فى الحديث . وقال على ابن المدينى عن سفيان بن عيينة : ما كان اشد انتقاد مالك للرجال ، واعلمه بشأنهم .

وقال يحيى بن معين : كل من روى عنه مالك فهو ثقة الا عبد الكريم . قلت : عبد الكريم هذا ، هو ابن ابى المخارق — بضم الميم — ابو امية البصرى المعلم .

قال ابن عبد البر : لا يختلفون فى ضعفه ، غير مالكا منه سمته ، ولم يكن من اهل بلده فيعرفه ولم يخرج عنه حكما ، بل ترغيبا وفضلا اه . وقال الحافظ ابن سيد الناس فى شرح الترمذى : لكن لم يخرج عنه مالك الا الثابت من غير طريقه : اذا لم تستحى فاصنع ما شئت ، ووضع اليمنى على اليسرى فى الصلاة . وقد اعتذر لما تبين له امره ، وقال : غرنى بكثرة بكائه فى المسجد اه .

وقال عبد الله بن احمد بن حنبل : قلت لابى : من اثبت أصحاب الزهرى . قال : مالك اثبت فى كل شىء .

وقال ابن حبان : كان مالك اول من انتقى الرجال من الفقهاء بالمدينة ، واعرض عمن ليس بثقة فى الحديث . ولم يكن يروى الا ما صح ، ولا يحدث الا عن ثقة اه .

وكتابه الموطا ، من كتب السنة النافعة ، مدحه الامام الشافعى بكلمته المعروفة : ما على ظهر الارض بعد كتاب الله ، اكثر صوابا من موطا مالك . واثنى عليه غيره من العلماء ثناء كبيرا ، لا حاجة الى الاطالة بذكره ، لشهرته وانتشاره فى شروح الموطا وغيرها من كتب السنة ، ولولا ما فيه من المرسلات والبلاغات ما تقدم عليه الصحيحان ولا غيرهما .

ولم يقدره المالكية حق قدره ، حيث قدموا عليه المدونة عند التعارض ، مع ان القواعد الاصولية والحديثية توجب تقديمه لامور :

1 — ان الموطا كتبه الامام بيده ، ونقحه فى مدى اربعين سنة ، والمدونة ليست كذلك ، لانه لم يكتبها ولم ينقحها .

2 — ان الموطا ، رواه عن الامام عدة مئات من العلماء ، فهو منقول بالتواتر ، والمدونة ليست كذلك ، بل تفرد بها ابن القاسم .

3 — أن من جملة رواة الموطا اصحاب مالك المدنيين ، وهم الذين لازموه الى وفاته . وابن القاسم الذى بنيت المدونة على رواياته ، فارق مالكا قبل مماته بعشرين سنة . والملازم للشيخ مقدم على المفارق له .

4 — ان اقوال الامام فى الموطا مصحوبة بدليلها من آية او حديث أو اثر . والاقوال المنسوبة اليه فى المدونة ، عارية عن الدليل .

ولتفصيل هذا البحث موضع غير هذا .

ومنهم امام الحفاظ ، وجبل العلم ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى صاحب الصحيح . قال عنه شيخه على بن المدينى : ما راى مثل نفسه وقال ابن خزيمة : ما تحت اديم السماء اعلم بالحديث من البخارى . كان واسع الحفظ والرواية ، شديد الانتقان ، مبرزا فى علم العلل .

قال محمد بن حاتم وراق البخارى : سمعت حاشد بن اسماعيل وآخر يقولان : كان البخارى يختلف معنا الى السماع وهو غلام ، فلا يكتب ، حتى اتى على ذلك اياما ، فكنا نقول له . فقال : انكما قد اكثرتما على فاعرضا على ما كتبتما . فاخرجنا اليه ما كان عندنا ، فزاد على خمسة عشر الف حديث . فقرأها كلها عن ظهر قلب ، حتى جعلنا نحكم ما كتبنا ، من حفظه ، فعرفنا انه لا يتقدمه احد .

وقال الحافظ أحمد بن نصر الخفاف : محمد بن اسماعيل اعلم فى الحديث من أحمد بن حنبل واسحق ابن راهويه ، بعشرين درجة .

وقال الترمذى : لم أر احدا بالعراق ولا بخراسان فى معنى العلل والتاريخ ومعرفة الاسانيد ، اعلم من محمد بن اسماعيل .

وكتابه الجامع الصحيح ، اجل كتب الاسلام ، واصحها بعد القرآن . اجمعت الامة على تلقيه بالقبول ، واجله العلماء الفحول . له عند الحفاظ هيبة ، وفى قلوبهم رهبة . ذكر الحافظ الذهبى فى الميزان حديثا فى الجامع الصحيح ، تكلم فى راويه ، وقال : لولا هيبة الجامع الصحيح ، لعددته من منكرات خالد .

وقال الحافظ ابو الحسن بن المفضل المالكى شيخ المنذرى : الراوى اذا احتج به الشيخان او احدهما ، فقد قفز القنطرة .

على ان مسلما تلميذ البخارى وخريجه ، يعترف بفضله ، ويغترف من فيض علمه ، حتى قال

الدارقطنى : لولا البخاري لما راح مسلم ولا جاء ·

وروى الحاكم فى تاريخ نيسابور عن أبى حامد احمد بن حمدون قال : سمعت مسلم بن الحجاج ، وجاء الى البخارى ، فقبل ما بين عينيه ، وقال : دعنى اقبل رجليك يا استاذ الاستاذين ، وسيد المحدثين ، وياطبيب الحديث فى علله . ثم ساله عن حديث رواه عنه فى كفارة المجلس ، فأجابه البخارى عنه ، وبين علته .

وكتابه التاريخ الكبير ، يقول عنه أبو احمد الحاكم : كتاب لم يسبق اليه ، ومن الف بعده شيئا من التاريخ أو الاسماء أو الكنى ، لم يستغن عنه . فمنهم من نسبه الى نفسه ، ومنهم من حكاه عنه . فالله يرحمه ، فانه الذى اصل الاصول .

ومنهم الامام الحافظ المتقن ابو الحسن على ابن عمر الدارقطنى .

قال الحاكم : صار الدارقطنى أوحد عصره فى الحفظ والفهم والورع ، واماما فى القراء والنحويين· اقمت ببغداد اربعة اشهر ، وكثر اجتماعنا فصادفته فوق ما وصف لى ، وسألته عن العلل والشيوخ وله مؤلفات يطول ذكرها ، فأشهد انه لم يخلف على اديم الارض مثله ·

وقال الخطيب : كان الدارقطنى فريد عصره ، وقريع دهره ، ونسيج وحده ، وامام وقته · انتهى اليه علم الاثر ، والمعرفة بعلل الحديث واسماء الرجال ، واحوال الرواة · مع الصدق والثقة وصحة الاعتقاد ، وسلامة المذهب .

وقال الحافظ عبد الغنى بن سعيد الازدى : احسن الناس كلاما على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة : على بن المدينى فى وقته ، وموسى بن هرون فى وقته ، وعلى بن عمر الدارقطنى فى وقته .

وقال الحافظ البرقانى : كان الدارقطنى يملى على العلل من حفظه ، وانا الذى جمعتها ، وقراها الناس من نسختى .

قال الذهبى : واذا شئت أن تبين براعة هذا الامام الفرد ، فطالع كتاب العلل له ، فانك تندهش ويطول تعجبك .

ومنهم شعبة ، ومحمد بن اسحق وعبد الله ابن المبارك ، ومحمد بن يحيى الذهلى ، واسحق بن راهويه ، والحافظ ابن حجر ، وهو ختامهم . لم يأت بعده من نال هذه الرتبة ، وان كان فى تلامذته حفاظ، كالسخاوى والديمى ، والسيوطى لكنه لم يدركه ، وانما تتلمذ على كتبه ، وانتفع بها كثيرا . وهو يعتبر خاتمة الحفاظ ، بالمعنى المصطلح عليه عند اهل الحديث ، ومن وصف بعده بالحافظ كالسيد مرتضى الزبيدى شارح الاحياء ، فذلك على سبيل التوسع فى العبارة .

وكان صديقنا العلامة المرحوم الشيخ محمد زاهد الكوثرى الحنفى يصف ابن طولون الحنفى بالحافظ ، وناقشته فى ذلك فقال : ان مروياته كثيرة، وهذه مغالطة ، لان كثرة المرويات انما تعتبر فى الحافظ بشرط أن تكون مسموعة له . ومرويات المتأخرين كابن طولون ، انما هى بالاجازة والغرض منها بقاء سلسلة الاسناد . والتبرك برجال السلسلة · كما قال الحافظ السخاوى : انه لبس الخرقة الصوفية تجاه الكعبة المشرفة تبركا برجالها الصالحين ، وان كان يعتقد أن سندها منقطع ·

ولما كنت ادرس العلم بجامعة القرويين اعاد الله مجدها ، علمت أن رجلا عاميا يروى بالاجازة عن أبيه عن جده عن السيد مرتضى ، فذهبت اليه واستجزته فاجاز لى · مع ان لى رواية عن السيد مرتضى بواسطة شيوخ كثيرين · منهم بالمغرب شقيقى أبو الفيض والشيخ عبد الحفيظ الفاسى والشيخ المكى البطاورى والشيخ فتح الله البنانى رحمهم الله واكرم مثواهم ·

طنجة ـــ عبد الله بن الصديق

خطبة الجمعة أنشأت جامعة

للدكتور
عبد السلام الهراس

في مستقبل استقلال المغرب كنت قد كتبت مقالة حول الوعظ والارشاد ، لما شاهدته من احوال خطب الجمعة ودروس الوعظ والارشاد ، والطاقات الهائلة والفرص العظيمة التي نضيعها بتركنا هـذا الجانب مهملا سائرا على منوال غير منتج ولا ذي فعاليـة وغنـاء .

وكان المغرب اذ ذاك — ولا يزال — مدعوا للريادة والقيادة من اجل بعث اسلامي أصيل مبرءا من شوائب ازدواجية الروح والفكر والولاء « وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » وكم كان يحز في نفسي ان أرى « الموضات » الفكرية كلها المنسجمـة منها والمتعارضة تقود المغرب الى أوضاع تشبه تلك التي وصلت اليها اقطار شقيقة ما تزال تعاني منها اليوم ، وكانت هذه الاقطار رائدة في ارتكاب الاغلاط وتأصيل « الانحراف » الذي لم يكن وليد صدفة او نتيجة تجربة وانما هو « مخطط » مدروس مهيأ قد اعده « الاعداء » التقليديون لهذه الامة من اجل ان تظل تائهة تبحث عن سبل النهضة ووسائل التقدم والسعي للاخذ بأسباب الحضارة وهي في الواقع لا تزداد الا ضياعا وتيها وتمزقا ، ورغم القوارع المهولة والزلازل الشديدة ، والهزائم المنكرة والمتكررة ، فان السبيل الواضح الذي ليله كنهاره ، لم تزل تتنكب السير فيه ، وتصد الناس عنها مصرة على أن تقدم على تجارب عدة ، فتبدل النظم وتغير القيادات وتجدد الشعارات وتفعل كل ما « يقترح » عليها مباشرة او غير مباشرة من ارباب النفوذ ! ولكنها مصرة على التيه ، مخلصة للفراغ ، وان ما انفقت من جهود واموال لانتاج افكار تقدمها لم يكن في الحقيقة سوى افكـار تخلفها مما يعكس مدى السفه الذي أصيبت به هذه الامة التي كان اجدادها خير امة اخرجت للناس .

واليوم اعود للكتابة عن خطبة الجمعة لا لاقترح هذه المرة شيئا في الموضوع ، فما سبق ان اقترحته انا وغيري كاف — لو اخذ كله او بعضه — لانعاش هـذا العنصر الحيوي من الدعوة الاسلامية ولكنني اكتب الآن لاحدث القارىء الكريم عن مدى قيمة هذه الوسيلة الاسلامية ، عند ما تجد من يحسن استعمالها، ويقدر وظيفتها ويدرك مقاصد الشرع من فرضيتها .

وسأعرض فقط ما شاهدته عن كثب لاثـر خطب

بعض الخطباء الصادقين فى الوسط الاسلامى الذى ظل يستمع لخطب اخرى قبلها او معها دون ان يستجيب لدعوة او يتحمس لرأى ، ولكنه عند ما وجد أمامه خطيبا يعرف كيف يخاطبه ، ويقدم له من نفسه القدوة الصالحة التى يجدر بالمسلم أن يستمع اليها · ويقدرها حق قدرها ، لم يبخل بشىء فى سبيل الله ، فقدم الجهد والمال وبذل كل ما طلب منه واكثر ، استجابة لداعى الواجب الاسلامى · كان ذلك فى سنة 1953، وفى مدينة بيروت ، وفى الجامع المجيدى ، وكان الخطيب شابا مصريا لم يتجاوز الثلاثين من عمره انتدبه الازهر الشريف للتدريس فى ثانوية اسلامية ، فكان أستاذ الادب والتفسير ، وكانت دروسه تمتاز بعمق الفكرة واشراق الاسلوب ، وجمال العرض ، وحلاوة الالقاء ، وكان يتمتع بسمعة طيبة فى المجتمع اللبنانى الاسلامى لخصاله الحميدة من مروءة وعفة وقوة شخصية ، مما اتاح له أن يقوم باعمال جليلة فى سبيل المحافظة على وحدة المسلمين وقوتهم . ومما اهله ليصبح حكما بينهم فى اخطر النزاعات وعلى مستويات سامية وهو الاستاذ المصرى الوحيد الذى اصر اللبنانيون المسلمون على ان يكون انتدابه للبنان بصفة دائمة لا تخضع لقانون البعثات ، وكانت الجماهير تتجه افواجا الى بيوت الزعماء السياسيين المسلمين لمطالبتهم بالسفر حالا الى مصر من اجل مد انتداب الاستاذ فهيم ابى عبية ، وتجديد بعثته ، فكانت البشرى دائما تزف اليهم بالاستجابة الى مطلبهم هذا من مصر ·

ان تعلق المسلمين بهذا الرجل لم يكن مبعثه علمه وثقافته الواسعة ، وانما كان اخلاصه ووضوح مقصده ، وحبه للصالح العام ، مع علو نفس وهمة وبعده عن مواطن الشبهات رغم كثرة المغريات والعروض ·

وكان يتطوع كل جمعة تقريبا للخطبة فى مسجد المجيدى أو المجيدية ، فكانت الجمعة فى ذلك المسجد تعنى موسما دينيا عظيما ليستعد له المصلون قبل يوم الجمعة ، كما يهتمون بالخطبة أثناء الاسبوع بعد ذلك ·

والحقيقة ان خطبة الشيخ فيهم كانت تجمع من عناصر التأثير موضوعا وعرضا والقاء واشارات واستشهادات ما يجعلها تجرى الدموع ، وتعمق الاحساس الدينى والشعور بالمسؤولية وتدفع المنصت الى العمل والحركة والاندفاع ·

والحق ايضا أن مسلمى بيروت فيهم كثير من الخير والاستعداد لو كانوا يجدون من يقودهم اليه ، ويخلصون للاهداف التى ينشدونها ، رغم ما يبدو على هويتهم فى المظهر الخارجى من طغيان مادى جارف ·

ولذلك كان كثير من «البيارتة» المسلمين سرعان ما يسارعون الى الخير ويتنافسون فى المعروف عند ما يقتنعون باخلاص القيادة وسلامة نيتها ·

كان المسلمون يحسون بأخطار التعليم التنصيرى والاستعمارى الذى يملك مئات المدارس والثانويات، وبعض الجامعات كالجامعة اليسوعية والجامعة الامريكية ، وحتى الجامعة اللبنانية نفسها · وقد لعبت بعض الجامعات ادوارا خبيثة فى سياسة ما يسمى بالشرق الاوسط ، حيث استطاعت أن «تنهج» أنماطا من أصحاب الشهادات العليا وتهيئهم لتولية الحكم والمسؤولية فى بلادهم ، ولا يزال بعضهم يقوم بنفس المهمات المحددة التى خططها أعداء الاسلام لتمزيق العالم الاسلامى ، وتفتيت كل وحدة داخل الاسرة العربية ، وما أحداث لبنان بمجهولة أسبابها وقصتها ومؤلفوها ومخرجوها وأبطال تمثيل هذه المأساة ·

وكانت هذه المدارس تقوم بمهمة أخرى وهى اعداد النصارى اعدادا علميا ، وفى مختلف المجالات حتى يسيطروا على مواقع المسؤولية ومراكز السلطة، ويحتلوا المناصب العليا ، وكانت فرحتهم الكبيرة ابان الحكم الفرنسى ، مما اتاح لهم اشرافا شبه كامل على لبنان فى اخطر مراكزه وميادينه ·

ولم يكن للمسلمين من المدارس الا النزر اليسير ، ومن المدارس الاولى التى قام المسلمون بتاسيسها « المقاصد الاسلامية » التى انسدت السياسة مقاصدها الاسلامية وسلبتها اهم فعاليتها فلم تحقق اهدافها كاملة وان كانت قد سدت فراغا كبيرا ·

ولم يكن للمسلمين جامعة ، وانما كان المتخرجون من الثانوى يتجهون لسوريا او لمصر

اذ ذاك سارع فريق من المسلمين فى بيروت وفى مقدمتهم المرحوم الحاج رشيد صورى رئيس جمعية البر والاحسان الاسلامية الى التفكير فى بناء جامعة ، وكان ذلك اثر خطبة جمعة القاها الشيخ فيهم ابو عبية والح فيها على المسلمين ليعملوا على تأسيس جامعة اسلامية تشرف على طلاب المسلمين وتزودهم بالمعارف وتزاحم بهم ، وتدفع بهم الاخطار المحدقة ، وان هم لم يبادروا الى ذلك تأخر ركبهم ، وتبدد شملهم ، واصبح معظمهم فى يد غيرهم ، لا حول لهم ولا قوة وكانت الخطبة الاولى من أروع خطب فى العالم الاسلامى المعاصر ، حيث شهد المسلمون فى نهايتها ذوى اليسار والغيرة منهم يتبارون فى التنافس على الخير والمزايدة فى البر ، ولا زلت اذكر ان بعضهم التزم بأطنان من الحديد ، والآخر بأطنان من الاسمنت والاخر بآلاف من الآجر ، والاخر « بكذا » أيام من الشغل ، وما ان خرج المسلمون من المسجد حتى كانت جامعة بيروت العربية قد ضمنت بداية واستمرارا ، وهكذا توالت خطب الجمعة فى الموضوع ، فتوالت التبرعات، الى ان راينا المشروع ينمو فى الارواح والارادات ويكبر على الارض بناء عريضا وطويلا يسع اليوم ثلاثين الف طالب مسلم ، ان « جامعة بيروت العربية » مشروع لا ينهض بعبئه سوى دولة ومع ذلك استطاعت جمعية اسلامية صغيرة لا يتعدى افرادها العشرة بمؤازرة جماعة عباد الرحمان ، وجمعيات اخرى ، وبمختلف العناصر الاسلامية ان تؤسس هذه الجامعة العتيدة التى قصد بها أن يكون الملاذ العلمى للمسلمين فى لبنان بعد ان حرموا من التعليم عشرات السنين ، فى حين كانت أبواب المدارس والمعاهد مفتوحة فى وجوه طوائف اخرى لا سيما النصارى منها ، ناهيك التشجيع المادى المكثف من جميع الدول النصرانية ، وشهدت بيروت فى بداية الستينات تمام هذا المشروع الذى بدأ بكلية الحقوق ، ثم الآداب ثم الاقتصاد والتجارة ، وهو فى طريق التكامل الجامعى الشامل رغم ما وضع فى طريقه من عراقيل شديدة وسدود منيعة ، ولكن الارادة الطيبة الصامدة اقوى من كل عرقلة .

يستمع المسلمون كل اسبوع الى مآت الآلاف من الخطب المنبرية من أقصى الشرق الى اقصى الغرب ، وحتى فى اوربا وامريكا ، فلو كانت هذه الخطب منظمة وعلى اساس انها وسيلة ناجعة ذات اهداف ملموسة ومضمونة ومحددة لكان العالم الاسلامى يحقق لنفسه كل اسبوع خطوات الى الامام ، فهلا هب المسؤولون لبعث الحياة فى هذه المنابر المتراضية ، وجعلها مواقع قيادة وبعث وتحريك وتوجيه ؟

بقيت كلمة لا احب ان اتركها فى نفسى وهى ان الخطبة المباركة التى نوهت بها قد استطاعت ان تحرك المسلمين وتدفعهم الى تخفيف البناء المادى ، لكن المسلمين اللبنانيين كان يعوزهم شىء هام وهو ما نسميه « بالاطر » اى العنصر البشرى العلمى المسلم، لذلك لم يستطيعوا ان يديروا هذه الجامعة ولا ان يزودوها بالاساتذة الاكفاء الذين يحققون الاهداف الاسلامية ، فلم يجدوا بدا من ربطها بجامعة الاسكندرية ، فاصبحت بذلك نسخة من الجامعات المصرية وهكذا لم تكن جامعة اسلامية بالمعنى الدقيق تواجه تحدى الجامعات التنصرية اليسوعية والبروتستانية وغيرهما ومع ذلك فان اصحاب المشروع قد يستدركون ما فاتهم وقد تهيات لهم اطر اسلامية عظيمة تبدد مواهبها فى اوربا وامريكا فما عليها الا ان تعود لبلادها لتسهم فى ميدان العلم لبناء هذه الامة التى ينتظر منها العالم أن تعود من جديد لتقوم برسالتها العظيمة فى نشر الوية الخير والحب والسلام.

● من تاريخ البيوتات الاسلامية :

صياغة جديدة للذاتية الإسلامية

للدكتور
محمد محمد ابو شهبة

لقد اوحى الى هذا العنوان قصة ذكرها أصحاب كتب السير والمغازى ، والمؤلفون فى الصحابة رضوان الله عليهم عن عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان الانصارى ، الاوسى ثم الظفرى من بنى سواد بن ظفر كان جده قتادة بن النعمان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الاجلاء ، والابطال الشجعان ، شهد بدرا والمشاهد كلها وأصيبت عينه يوم احد ، وقيل يوم بدر ، والاصح الاول ، فسقطت على وجنته ، وبقيت متصلة بمحجرها ، فأشاروا عليه ان يقتلعوها ، فأبى ، وقال حتى سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذها بيده المباركة فردها الى اصلها فعادت كما كانت ، بل واحسن مما كانت ، حتى روى انها كانت اجمل عينيه واحدهما (1) .

وأبوه عمر روى المغازى (2) والاخبار عن ابيه قتادة ، ورواها عن عمر ابنه عاصم ، يعتبر فى الطبقة الثانية (3) التى ألفت فى المغازى والسير فى القرن الاول الهجرى قال فيه ابن سعد : « كان راوية للعلم، وله علم بالمغازى والسير امره عمر بن عبد العزيز ان يجلس فى مسجد دمشق ، ويحدث الناس بالمغازى ومناقب الصحابة ، ففعل ، وكان ثقة كثير الحديث عالما » وثقه أكثر أئمة الجرح والتعديل ، وكانت وفاته سنة عشرين ومائة وقيل تسع وعشرين ومائة (4) .

وكان وفد على خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فيمن وفد وكان لا يعرفه فقال له : من الرجل ؟ فقال :

---

(1) الاستيعاب على هامش الاصابة ج 3 ص 248 ، والاصابة فى تاريخ الصحابة ج 3 ص 225 .
(2) الغـزوات .
(3) الطبقة فى اصطلاح المحدثين : جماعة من العلماء تقاربوا فى السن ، واشتركوا فى لقاء الشيوخ والاخذ عنهم .
(4) لسان الميزان ج 5 ص 54 .

انـــا الـــذى سالت علـــى الخد عينه
فـــردت بكف المصطفى احســـن الـــرد
فعـــادت كمـــا كانت لاول امـــرهـــا
فيا حسن ما عين ، ويا حسن ما رد (5)

ويـــروى ايضا : (ويا حسن ما خد)

فقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه :

تلك المكـــارم لا قعبـــان مـــن لبـــن
شيبا بماء فعادا بعد ابـــوالا !! (6)

وقد صدق الامام الصالح ، والخليفة الـــورع خامس الراشدين ، فهذه هى المكارم الحقة ، والمفاخر الباقية اما الكرم ، واطعام الطعام ، وسقى الشراب فهى فضائل ايضا ولكنها ليست باقية خالـــدة كهـــذه المفاخر ، ولا اكتم السادة القراء الكرام انى اطـــرب جد الطرب لهذه القصة ، واكاد اتمايل من الطرب عند قراءتها ، بل كثيرا ما اجدنى فى هدوئى ، وخلواتـــى اذكرها ، وارددها ، ففى هذه القصة بعض المكـــارم والمفاخر التى زخر بها تاريخ الرعيـــل الاول مـــن المسلمين ، وتاريخ آبائنا الاوائل ولذلك امثلة كثيـــرة لا يحصيها العد فى الايمان ، والاسلام ، والهجـــرة ، والجهاد ، وحضور الغزوات والمشاهد ، والعلم ، والحكمة ، فهنالك اسر وبيوتات اسلامية وعربية كمن لها قدم ثابتة فى المكارم والفضائل « من بيوت الانصار المسلمة المجاهدة » .

واليكـــم — ياقارئى الكرام — مثلا كامـــلا ، ونموذجا صالحا لبيت من بيوت الانصار وهم معاذ ، ومعوذ وعوف أبناء الحارث بن رفاعـــة بن الحارث ابن سواد بن مالك بن غنـــم النجارى ، وقيل بحذف الحارث الثانى فى النسب . فهـــم من بنى النجار ، وبيتهم اشرف بيوت الانصار ، والثلاثة انصار، وكانوا من الشباب الذين سارعوا الى الدخول فى الاسلام ، ولهم قـــدم ثابتة فيه ، وشهدوا جميعا غـــزوة بدر الكبرى فهم بدريون ، وهـــذه افضل المناقب بعـــد الاسلام ، واستشهـــد منهم فى بدر اثنـــان ، وعاش الثالث حتى توفى فى خلافـــة على رضى الله عنه ، وكرم وجهه ، بعد ان شارك فى الغزوات والفتوح ، اما ابوهم فلم تعرف له صحبة ، وقد بحثت فى كتاب «الاستيعاب» لابن عبد البر المحدث الفقيه المالكى ، وكتاب «الاصابة» للامام الحافظ ابن حجر ، فلم اقف له على ذكر فى الصحابة والذى يظهـــر لى — والله اعلم — ان يكون قد توفى فى الجاهلية ، او ان الله تبارك وتعالى لم يختم له بالاسلام .

امـــا امهم التى يعرفون بها — وحق لهـــم ان يعرفوا بها — فهى السيـــدة الجليلة والصحابيـــة الفضلى عفراء بنت عبيدة بن ثعلبة ، بن سواد بن غنم ، ويقال : ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، فهى نجارية كابيهم وبذلك اجتمع لهم الشرف من جهة ابيهم وامهم ، ذكرها ابن حبيب فى المبايعات من النساء ، قال الحافظ ابن حجـــر فى « الاصابة » : وعفراء هـــذه لها خصيصة لا توجـــد لغيرها ، وهى انها تزوجت بعد الحارث ، البكير بن ياليل الليثى فولدت له اربعة : اياسا ، وعاقلا ، وخالدا ، وعامرا وكلهـــم شهدوا بدرا ، وكذلـــك اخوتهم لامهم بنو الحارث ، فانتظـــم من هـــذا انها امراة صحابية ، لها سبعة اولاد كلهم شهدوا بـــدرا مع النبى صلى الله عليه وسلم (7) .

اقول : وانها — والله — لمفخـــرة المفاخر ، ولمكرمة المكارم ، ان تنجب سبعة كلهم شهدوا بدرا، وقد بين لى بعد الاطلاع على سيرة امهم العطرة ، ومناقبها الجمة السبب فى ان معـــاذا ، ومعوذا ، وعوفا كانوا لا يعرفون الا بها ، وانهـــا لجديرة ان تعد فى الفضليات من النساء العربيـــات المسلمات ، ومثل هذه الام فى الانتساب اليها او ان شئت الدقة — فقل فى تعريفهم بها ، كرامة ، واية كرامة .

واليكم كلمة عن كل من الفرسان الثلاثة الذين تسابقوا الى الله ، والى رسول الله ، والذين كانت

---

(5) انظر الاصابة والاستيعاب فى الموضعين السابقين
(6) القعب هو ما يحلب فيه ، شيبا اى خلطا مـــن الشوب وهو الخلط ، والابوال معروفة وانها لفلسفة عميقة مع بساطتها وقربها ويسر فهمها علـــى كل العقول ، فما كل المآكل والمشارب الا مآلها كما يعلـــم كـــل احـــد !!
(7) الاصابـــة فى تاريـــخ الصحابة جزء 4 ص 364 ط اولى .

لهم قدم ثابتة فى الاسلام ، وحظوا بمنقبة المناقب «شهود بدر» .

«معاذ بن الحارث» :

اما معاذ بن الحارث او ان شئت فقل : ابن عفراء كما قال السادة الاخيار من سلف هذه الامة، وعلمائها فهو نجارى انصارى ، قال ابن عبد البر فى «الاستيعاب» قيل : انه احد الستة الذين التقى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما التقى بالعقبة ، وقيل : انه احد الثمانية (8) .

اقول : الذى ذكره ابن اسحاق فى « سيرته » فى الستة الذين التقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم هو اخوه عوف بن عفراء ، ولكن موسى بن عقبة صاحب « المغازى » وهو اوثق من ابن اسحاق ، وقد روى له اصحاب الصحيحين وغيرهما، ذكره فى الثمانية الذين التقى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما التقى بالانصار فى العقبة ، ولم يذكر اخاه « عوفا » رضى الله عنه (9) .

ولم يختلف كتاب « السير » ولا غيرهم فى انه شهد بيعتى العقبة الاولى والثانية (10) فقد عده ابن اسحاق وغيره فى الاثنى عشر الذين حضروا بيعة العقبة الاولى ، وفى الثلاثة والسبعين رجلا الذين حضروا بيعة العقبة الثانية (11) وقد شارك فى قتل فرعون هذه الامة ابى جهل بن هشام ، وذلك فى غزوة بدر . روى البخارى فى صحيحه بسنده عن عبد الرحمن ابن عوف قال : « بينما انا واقف فى الصف يوم بدر ، فنظرت عن يمينى وشمالى ، فاذا انا بغلامين من الانصار حديثة اسنانهما ، تمنيت ان اكون بين اضلع منهما ، فغمزنى احدهما ، فقال : يا عم ، هل تعرف ابا جهل ؟ قلت : نعم ، ما حاجتك اليه يا ابن اخى ؟ قال : اخبرت انه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم !! ، والذى نفسى بيده لئن رايته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الاعجل منا ، فتعجبت لذلك !! ، فغمزنى الآخر فقال لى مثلها ، فلم البث ان نظرت الى ابى جهل يجول فى الناس ، فقلت : الا ان هذا صاحبكما الذى سألتمانى ، فابتدراه بسيفهما، فضرباه حتى قتلاه ، ثم انصرفا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه : فقال : « ايكما قتله » ؟ قال كل واحد منهما : انا قتلته فقال : « هل مسحتما سيفكما » ؟ قالا : لا ، فنظر فى السيفين ، فقال : « كلاكما قتله » سلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح ، وكانا معاذ بن عفراء ، ومعاذ بن عمرو بن الجموح (12) .

وقد ذكر ابن اسحاق فى سيرته لسنده عن ابن عباس قال : قال معاذ بن عفراء سمعت القوم وهم فى مثل الحرجة وابو جهل فيهم ، وهم يقولون : ابو الحكم لا يخلص اليه ، قال : فلما سمعتها جعلته من شأنى فقصدت نحوه ، فلما امكننى حملت عليه فضربته ضربة فطنت قدمه بنصف ساقه ، وضربنى ابنه عكرمة على عاتقى فطرح يدى فتعلقت بجلدة من جنبى ، واملنى القتال عنه ، ولقد قاتلت عامة يومى وانى لاسحبها خلفى ، فلما آذتنى وضعت عليها قدمى ، ثم تمطيت بها حتى طرحتها ، ثم عاش بعدها حتى كان زمن على رضى الله عنه فمات رضى الله عنه . وبعض المؤرخين وكتاب السير يذكرون قصة التمطى ، وقطع اليد لمعاذ بن عمرو بن الجموح ، والله اعلم بالصواب ولكن الذى لم يختلف فيه احد انه شارك فى قتل ابى جهل ، والذى يظهر لى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حكم لمعاذ بن عمرو ابن الجموح بسلب (13) ابى جهل لاحد الدلائل والامارات التى لاحت له صلى الله عليه وسلم ان الضربة القاتلة كانت من معاذ بن عمرو بن الجموح ، وضربة الساق غالبا لا تميت ، وقيل : انه جرح فى

---

(8) الاستيعاب ج 3 ص 363 على صاحب الاصابة.
(9) السيرة النبوية فى ضوء القرآن لكاتب المقال ج 1 ص 452 .
(10) المصدر السابق ص 453 ، 465 .
(11) السيرة لابن هشام ج 1 ص 454 ، 467 ، والبداية والنهاية ج 3 ص 166 — 168 .
(12) صحيح البخارى — كتاب الخمس — باب من قتل قتيلا فله سلبه وانظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى فى هذا الموضع .
(13) السلب — بفتح السين واللام — لمعلى المقاتل من سلاح ، وثياب ومتاع ومركوب والمراد به هنا السلاح .

بدر ثم مات بعد بسبب جراحته والصحيح انه عاش حتى زمن على ، وشهد المغازى والفتوحات ، فرضى الله عنه وارضاه ·

« معوذ (14) بن الحارث » او « ابن عفراء » ·

اما معوذ بن الحارث فهو الصحابى الانصارى كان من السابقين الى الاسلام من الانصار ، وقد اتفقوا على انه حضر بيعة العقبة الثانية هو واخواه معاذ ، وعوف ابنا عفراء ، وعلى انه شهد بدرا مع اخويه وقد شارك ايضا فى قتل ابى جهل ابن هشام كما ذكر ذلك الامام البخارى (15) فى صحيحه عن عبد الرحمن بن عوف فى قصة بدر وقتل ابى جهل ففى الحديث « فضربه ابنا عفراء حتى برد » اى قارب الموت والمراد بابنى عفراء هما : معوذ ، ومعاذ رضى الله عنهما ، ثم ما زال يقاتل فى بدر قتال الابطال حتى قصد اليه رجل من المشركين فضربه ضربة سقط على اثرها شهيدا بعد أن أرضى الله ، وارضى رسول الله ، واستشهد فى سبيل عقيدته ودينه فرضى الله عنه وارضاه والظاهر ان كلا من معاذ بن عمرو بن الجموح ، ومن معاذ ابن عفراء ، ومعوذ ابن عفراء شارك فى قتل ابى جهل ، وقد كان — لعنه الله واذله — عليه من الدروع والسلاح ما جعله يصول ويجول فى المعركة وما جعل البعض يتهيبون اللقاء به ، كما كان معه من الابطال كابنه عكرمة بن ابى جهل من يحيطون به ويساعدونه ، حتى قيض الله له هؤلاء الشبان الثلاثة فاشتركوا فى قتاله حتى سقط على الارض ، ولم تزل به بقية من روح ، فجاء عبد الله بن مسعود فجلس عليه واحتز راسه ، وذهب بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مبشرا ولقد بلغ من تجبر ابى جهل انه وقد ركب عليه الصحابى النحيل الضعيف فى جسمه ، القوى فى ايمانه ، وهو يلفظ انفاسه الاخيرة — ان قال له : لقد ارتقيت مرتقى صعبا يا رويعى الغنم !! وبذلك اراح الله البلاد والعباد من شر هذا الطاغية المتجبر ، على يد الشبان الثلاثة الابطال ·

عوف بن عفراء :

اما عوف ابن عفراء فقد ذكره ابن اسحاق فى الستة الذين التقى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أول لقاء فى العقبة من السادة الانصار ، وكذلك ذكره فى اهل بيعة العقبتين : الاولى والثانية الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما على أن ينصروه ويؤووه اذا قدم عليهم المدينة ، ويمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وابناءهم ، وقد اتفقوا على انه ممن شهد بدرا وفيها قاتل قتال الابطال حتى استشهد ، وقد روى انه قبيل المعركة سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما يضحك الرب من العبد ؟ قال : « أن يغمس يده فى العدو حاسرا » وكان عليه ورع فنزعها ، وصار يقاتل حتى استشهد رضى الله عنه وارضاه ، والمراد بيده ، اى سيفه ، حاسرا : اى من غير درع وهذا لون من الوان البطولة ، والرغبة فى الفوز برضوان الله تبارك وتعالى ·

لقد سارع ابناء الاسرة الثلاثة الى الاسلام فيمن سارعوا ، وبايعوا فيمن بايعوا ، وحضر الثلاثة بدرا فاستشهد منهم اثنان ، وبقى الثالث ، وقد كان حريصا على الشهادة ، ولكن طالت به الحياة ، فجاهد وشارك فى الفتوحات فى سبيل نشر الاسلام ، وهكذا فلتكن المفاخر ، ولتكن المكارم ·

لقد لقوا الله ولكن بعد ان كتبوا لانفسهم صحائف فى سجلات الخلود ، لقد ذهبت الجراح ، وذهبت الآلام ، ولكن بقيت سيرهم مسكا يتضوع ، وعطرا يفوح ، وذكرا يتردد على لسان العلماء ، والكتاب والخطباء ، والشعراء ، فاعتبروا يا اولى الابصار ·

---

(14) معوذ : بضم الميم وفتح العين وكسر الواو المشددة آخره ذال معجمة ، ويجوز فتح الواو ·
(15) صحيح البخارى — كتاب المغازى باب قتل ابى جل ، وانظر فتح البارى فى هذا الموضع ايضا ·

التاريخ الكبير للبخاري

للاستاذ صلاح الدين الادلبي

ان من اخص خصائص هذه الامة الاسلامية ان وفقها الله سبحانه الى منهج اصيل ، وعلم جليل، ذلكم هو علم الرواة والجرح والتعديل .

والاصل الثانى من أصول التشريع الاسلامى بعد كتاب الله تعالى هو ما اثر عن رسوله صلى الله عليه وسلم من قول او فعل او تقرير ، ولا سبيل الى معرفة ذلك الا عن طريق الرواة . واذا كان الرواة فيهم الصادق والكاذب وفيهم المتقن والمغفل وفيهم المتساهل وكثير الخطأ والغلط كان الكلام فى الرواة توثيقا وتضعيفا فريضة دينية ، لصون السنة النبوية ان يدخل فيها ما ليس منها .

وقد تكلم كثير من الصحابة والتابعين فمن بعدهم فى بيان احوال الرواة ، تورعا وصونا للشريعة ، وليس طعنا فى الناس ، واعتبروا انه كما جاز الجرح فى الشهود للتثبت فى الحقوق والاموال فكذلك جاز الجرح فى الرواة للتثبت فى امر الدين ، بل هذا اولى من ذاك بالجواز ، واحرى واجدر فى التحرى والتثبت . ويقول العلامة المستشرق مرجليوث : (ليفتخر المسلمون ما شاءوا بعلمهم الحديثى) .

وممن اشتهر بنقد الرجال قبل البخارى امام دار الهجرة ابو عبد الله مالك بن انس وسفيان بن عيينة وسفيان بن سعيد بن مسروق الثورى وشعبة بن الحجاج وحماد بن زيد بن درهم وعبد الرحمن بن عمرو الاوزاعى ووكيع بن الجراح ، ثم يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمنْ بن مهدى وعبد الله بن المبارك ، ثم ابو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلى بن عبد الله ابن المدينى ، وان كان الصقهم بهذا الفن اربعة ، فقد قال ابن الصلاح فى علوم الحديث : (روينا عن صالح بن محمد الحافظ جزرة قال : اول من تكلم فى الرجال شعبة بن الحجاج، ثم تبعه يحيى بن سعيد القطان ، ثم بعده احمد بن حنبل ويحيى بن معين) .

التاريخ الكبير :

جاء بعد هذه الطبقة الامام الحافظ ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخارى وكانه حاول استيعاب الرواة من الصحابة فمن بعدهم الى طبقة شيوخه فكان ان صنف كتابه العظيم « التاريخ الكبير» وللبخارى رحمه الله امامته وجلالته ولتاريخه اهميته

ومزاياه ، وقد أعظم شيوخه ومن فى طبقتهم تاريخه ، حتى ان شيخه الامام اسحاق بن ابراهيم المعروف بابن راهويه لما راى التاريخ لاول مرة لم يتمالك أن قام ندخل به عى الامير عبد الله بن طاهر فقال : (ايها الامير الا اريك سحرا ؟) . وقال الحافظ ابن حجر فى تهذيب التهذيب : (قال ابو العباس بن سعيد : لو ان رجلا كتب ثلاثين الف حديث لما استغنى عن كتاب تاريخ محمد بن اسماعيل) .

وقد اختصر البخارى فى تاريخه اذ قصد استيعاب الرواة وكره أن يطول الكتاب ، ويقول رحمه اله – كما فى هدى السارى – : (فلما طعنت فى ثمانى عشرة صنفت كتاب قضايا الصحابة والتابعين ، ثم صنفت التاريخ بالمدينة عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم، وكنت اكتبه فى الليالى المقمرة . قال : وقل اسم فى التاريخ الا وله عندى قصة ، الا انى كرهت أن يطول الكتاب)

وكتاب التاريخ الكبير للبخارى يرويه عنه ابو حمد بن سليمان بن فارس ، وأبو الحسن محمد بن سهل النسوى ، وغيرهما .

نسخ الكتاب :

اما نسخ الكتاب المخطوطة فالمعروف منها حتى الآن خمسة :

1 – نسخة كتبت بمدرسة سبتة سنة اثنتين وسبعمائة ، وهى موجودة فى استانبول ، كما توجد صورة عن هذه النسخة محفوظة بالخزانة المصرية .

2 – نسخة كتبت ببغداد سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ، وهى محفوظة بخزانة كوبريلى فى استانبول ، والموجود منها هو المجلد الاول .

3 – جزء من المجلد الاول ، محفوظ فى خزانة الجامع الازهر بمصر .

4 – جزء من أوائل الكتاب ، محفوظ فى المكتبة الظاهرية بدمشق .

5 – جزء منه ، وهو الجزء الرابع محفوظ فى الخزانة الآصفية بحيدر آباد الدكن ، كتب سنة الف ومائة وواحد نقلا عن نسخة بخط مغربى تاريخ كتابتها سنة خمس عشرة وأربعمائة .

ومما يلاحظ عناية المغاربة بالتاريخ الكبير ، ونسخهم لهذا الكتاب العظيم ، اذ تبين ان هناك نسختين منه على الاقل بخط مغربى ، أولاهما كتبت سنة 415 ، والاخرى سنة 702 بمدرسة مدينة سبتة المغربية .

وقد طبع هذا الكتاب فى اربعة مجلدات فى حيدر آباد الدكن بالهند سنة 1361 هـ .

كونه أصلا لكل ما كتب بعده :

قال ابو احمد الحاكم فى « الكنى » – كما فى طبقات الشافعية الكبرى – : (ومن تأمل كتاب مسلم فى « الاسماء والكنى » علم انه منقول من كتاب محمد بن اسماعيل ، حذو القدم بالقدم ، حتى لا يزيد عليه فيه الا ما يسهل عده ، وتجلد فى نقله) .

وهذه شهادة من الامام الحافظ ابى احمد الحاكم ان كتاب الامام مسلم بن الحجاج الذى سماه « الاسماء والكنى » انما هو منقول عن « التاريخ الكبير » للبخارى ، سوى مواضع معدودات زاد فيها على كتاب البخارى ، ولعله استدرك بعض اسماء الرواة ممن لم يذكرهم البخارى او زاد فى تراجم بعضهم على ما كتبه البخارى .

ومن هنا نتبين فضل البخارى على مسلم رحمهما الله وعظم المنزلة والمكانة التى حظى بها البخارى فى قلب الامام مسلم حتى خاطبه بقوله : (يا استاذ الاستاذين ، وياطبيب الحديث فى علله) .

ومما تجدر ملاحظته ان كثيرا من العلماء الفوا كتبا لم تكن سوى نقل لكتب من تقدمهم مع اضافة اليسير او حذفه أو اختصاره ، وكتاب « الاسماء والكنى » لمسلم مع « التاريخ الكبير » للبخارى ما هو الا مثال واحد من امثلة كثيرة . ولعل ما يسوغ لعلمائنا الاقدمين صنيعهم هذا هو ان الكتب مخطوطة واذا نسخ عالم كتاب عالم آخر فلا بد ان يظهر له اثناء النسخ اضافات وتعديلات فاذا أضاف واختصر ونقح فقد أصبح الكتاب بين يديه كتابا جديدا ، وحينذاك يضاف الكتاب للعالم الثانى بتسمية جديدة وينسب اليه .

ولعل من أشهر الكتب التى تناولت تاريخ رواة الحديث جرحا وتعديلا هو كتاب « الجرح والتعديل » لابن أبى حاتم الرازى ، وقد اعتبر مرجعا مهمـا لكل من كتب بعده فى موضوعه وما يتصل به ، وعامة الكتب المؤلفة بعده تنقل عنه كتاريخى بغداد ودمشق والتهذيب والميزان وفروعهما وتعجيل المنفعة لابن حجر وطبقات القراء لابن الجزرى والانساب لابن السمعانى وغيرها ، ومادة هذا الكتاب فى معظمها مستقاة من كتاب البخارى « التاريخ الكبير » ٠ وقد نقل الذهبى فى تذكرة الحفاظ عن الحافظ أبى أحمد الحاكم الكبير فى ترجمته انه ورد الرى فسمعهم يقرؤون على ابن ابى حاتم كتاب الجرح والتعديل ، قال : فقلت لابن عبدويه الوراق : هذه ضحكة أراكم تقرؤون كتاب التاريخ للبخارى على شيخكم على الوجه وقد نسبتموه الى أبى زرعة وابى حاتم ٠ فقال : (يا أبا احمد ان ابا زرعة وابا حاتم لما حمل اليهما تاريخ البخارى قالا هذا علم لا يستغنى عنه ولا يحسن بنا أن نذكره عن غيرنا٠ فاقعدا عبد الرحمن — اى ابن ابى حاتم — يسألهما عن رجل بعد رجل ، وزادا فيه ونقصا) ٠

ولعل ابا احمد الحاكم الكبير رحمه الله انما سمعهم يقرؤون بعض التراجم القصيرة التى لم يتفق لابن ابى حاتم فيها ذكر الجرح والتعديل ولا زيادة مهمة على ما فى التاريخ ، وكون كتاب البخارى اصلا لكتاب ابن ابى حاتم يجب أن لا يصل بنا الى غمط الثانى حقه والوقوع فى المبالغة كما حصل للحاكم الكبير وابن عبدويه ٠ ويقول الشيخ عبد الرحمن المعلمى اليمانى : (لا ريب أن ابن أبى حاتم حذا فى الغالب حذو البخارى فى الترتيب وسياق كثير من التراجم وغير ذلك ، لكن هذا لا يغض من تلك المزية العظمى وهى التصريح بنصوص الجرح والتعديل ، ومعهما زيادة تراجم كثيرة وزيادات فوائد فى كثير من التراجم بل فى اكثرها وتدارك أوهام وقعت للبخارى وغير ذلك) ٠

مقدمة التاريخ الكبير :

اراد البخارى رحمه الله ان يبتدىء كتابه فى التاريخ بذكر نبذة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدأ باسناده عن واثلة بن الاسقع رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ان الله عز وجل اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى هاشما من قريش ، واصطفانى من هاشم » ٠

ثم ذكر البخارى عن محمد بن اسحاق النسب النبوى الى آدم عليه السلام ، ثم عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « انى انا ابو القاسم ، تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى » ، ثم عن على رضى الله عنه فى وصف النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم بعض الآثار فى كم لبث النبى صلى الله عليه وسلم بمكة وكم بالمدينة ٠

ولكون الكتاب فى التاريخ رأى البخارى ان يذكر الروايات فى بدء التاريخ بالهجرة ، فروى عن سعيد ابن المسيب انه قال : قال عمر رضى الله عنه : متى نكتب التاريخ ؟ ، وجمع المهاجرين ، فقال له على رضى الله عنه : « من يوم هاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة » فكتب التاريخ ٠

وروى عن ابن عباس قال : كان التاريخ فى السنة التى قدم النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، وفيها ولد عبد الله بن الزبير ٠ وعن سهل بن سعد قال : ما عدوا من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من وفاته ، ولا عدوا الا من مقدمه المدينة٠

ترتيب الكتاب :

ثم قدم البخارى منهجه فى ترتيب الكتاب قبل ان يشرع فى التراجم ، وهذا يبين لنا مبلغ عناية العلماء المسلمين بالمنهج وبالتقدمة بين يدى الكتاب ، فقال رحمه الله : (هذه الاسامى وضعت على ا ، ب ، ت ، ث ، وانما بدىء بمحمد من بين حروف ا ، ب ، ت ، ث ، لحال النبى صلى الله عليه وسلم ، لان اسمه محمد صلى الله عليه ، فاذا فرغ من المحمدين ابتدىء فى الالف ثم الباء ثم التاء ثم الثاء ثم ينتهى بها الى آخر حروف ا ، ب ، ت ، ث ، وهى الياء ، والميم تجيئك فى موضعها ٠ ثم هؤلاء المحمدون على ا ، ب ، ت ، ث ، على أسماء آبائهم لانها قد كثرت ، الا نحو من عشرة أسماء فانها ليست على ا ، ب ، ت ، ث ، لانهم من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم) ٠

وهنا لا بد لنا من ان نلاحظ ملاحظة لا نستطيع اخفاءها وهى الغرابة فى المنهج المؤدية الى صعوبة فى البحث ، ذلك ان البخارى لم يتبع الترتيب الهجائى الدقيق ، فنراه قد ابتدأ التراجم بمن اسمه محمد

اكراما لاسم النبى الاكرم صلى الله عليه وسلم ، وقدم المحمدين من الصحابة ، ثم ذكر من اسمه محمد واول حروف اسم ابيه الالف دون ترتيب بينهم ، فذكر محمد ابن اسامة ثم محمد بن اياس ثم محمد بن اشعث ثم محمد بن ابراهيم وهكذا ، ثم ذكر من اسمه محمد واول حروف اسم ابيه الباء دون ترتيب بينهم ، فذكر محمد بن بلال ثم محمد بن بسطام ثم محمد بن بكار ثم محمد بن برجان وهكذا ، الى ان أتم المحمدين ·

وفى باب الالف قدم البخارى من اسمه ابراهيم ثم اسماعيل ثم اسحاق ثم ايوب ثم اشعث ثم اياس، وهكذا · وقبل الشروع فى باب الباء عقد بابا سماه (باب الواحد) وذكر فيه أسماء الرواة التى تبتدىء بالالف وليس فى الرواة بهذا الاسم الا واحد فقط ، وذلك كالاعشى المازنى واسمر واحمر واخرم واسعد واقرع ، وهكذا دون ترتيب بينهم ·

ثم انتقل الى باب الباء فذكر من اسمه بشر ثم بكر ثم بشير ثم بلال ، وأخيرا (باب الواحد) وفيه بر وبديح وبجالة وبقية وبلبل ، وهكذا دون ترتيب بينهم·

ثم استرسل فى ذكر التراجم حسب حروف المعجم على هذه الطريقة ، وفى آخر الكتاب عقد (باب من لا يعرف له اسم ويعرفون بآبائهم) ·

وبهذا يتبين مدى الصعوبة التى يلقاها الباحث فى علم رجال الحديث اذا اراد الرجوع الى « التاريخ الكبير » للبخارى ، وشبيه بترتيبه «الجرحو التعديل» لابن ابى حاتم ، الا ان هذا بدأ بباب الالف وقدم من اسمه احمد ثم ابراهيم ثم اسماعيل ، وذكر المحمدين فى بداية باب الميم ، وهو يوافق البخارى فى عقد (باب الافراد) · والبخارى وابن ابى حاتم متفقان فى اعتبار الحرف الاول من الاسم فى الترتيب دون النظر الى الحرف الثانى فضلا عما بعده ·

وقد انتبه الى هذه المشكلة الحافظ الذهبى رحمه الله ، فرتب كتابه « ميزان الاعتدال فى نقد الرجال » ترتيبا هجائيا ، وأشار الى ذلك فى مقدمته حيث قال : (والساعة فقد استخرت الله عز وجل فى عمل هذا المصنف ، ورتبته على حروف المعجم حتى فى الاباء ، ليقرب تناوله ·

والحقيقة هى ان كل كتاب فى تاريخ الرجال او تراجمهم لا تمكن الاستفادة منه الا اذا كان مرتبا ترتيبا معجميا حسب الحرف الاول فالثانى فالثالث فالرابع وهكذا ، أما الكتب التى التزم مصنفوها ترتيبا آخر فلا بد من اعداد فهرس معجمى لكل كتاب منها ، كما صنع لطبقات ابن سعد ، وتذكرة الحفاظ للذهبى ، والتاريخ الصغير للبخارى ·

اوهـــام الكتـــاب :

نقل ابن السبكى فى « طبقات الشافعية الكبرى » عن ابى احمد الحاكم فى « الكنى » انه قال :

(عبد الله الديلمى ابـو بشر ، وقال البخارى ومسلم فيه : ابـو بـشر ، بشـين معجمـة · قـال الحاكم (1) : وكلاهما اخطـأ فـى علمى ، انما هو ابو بسر ، وخليق ان يكون محمد بن اسماعيل — مع جلالته ومعرفته بالحديث — اشتبه عليه ، فلما نقله مسلم مـن كتابـه تابعه على زلته) ·

وكلام الحافظ ابى احمد الحاكم يفيد أنه وقعت بعض الاوهام للبخارى فى تاريخه ، ومصدر الوهم هو ان الرواة قد يصحف بعضهم بعض الاسمـاء او يحرفها ، وقد ينسب الرجل الى جده دون ابيه او الى جد ابيه ، وقد ينسب تارة الى قبيلة وتارة الى اخرى ، الى غير ذلك مما يوقع المحدث فى الوهم ، وقد وقع للبخارى من ذلك اشياء تعقبها ابن ابى حاتم فى كتاب على حدة ذكره ابن حجر فى « لسان الميزان » ·

وفى آخر مخطوطة « التاريخ الكبير » المكتوبة بمدينة سبتة تذييل فى بضع اوراق كتب عليه الناسخ العبارة التالية : (ذكر أوهام زعم عبد الغنى انه استدركها على البخارى فى التاريخ) ، ولعل مراده بعبد الغنى هو الحافظ عبد الغنى بن عبد الواحد المقدسى ، ولعله استدركها فى كتابه «الكمال فى اسماء الرجال» ·

---

(1) المراد هو المؤلف نفسه ، اى ابو أحمد الحاكم ، وليس المراد أبا عبد الله الحاكم صاحب «المستدرك»·

ورع البخاري في التجـريـح :

ذكر ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرى» عن بكر بن منير انه قال : (سمعت البخاري يقول : ارجو أن القى الله ولا يحاسبني انى اغتبت أحـدا · قال شيخنا ابو عبد الله الحافظ : يشهد لهذه المقالة كلامه في الجرح والتعديل ، فانه ابلغ ما يقول في الرجل المتروك او الساقط « فيه نظر » او « سكتوا عنه »، ولا يكاد يقول « فلان كذاب » ولا « فلان يضع الحديث » وهذا من شدة ورعه) ·

قال ابن السبكي : (وابلغ تضمينه قوله فـي المجروح « منكر الحديث » ، قال ابن القطان : قال البخاري : كل من قلت فيه « منكر الحديث » فلا تحل الروايـة عنـه) ·

وفي ختام هذه المقالة التي تكلمت فيهـا عـن « التاريخ الكبير » للبخاري ، اشير أن ابن حجر ذكر من مؤلفات البخاري « التاريخ الاوسط » ، و «التاريخ الصغير» ، والثاني منهما مرتب على طبقات حسب الوفيات الا انه صنع له فهرس معجمي على ترتيب حروف الهجاء (2) ·

ولعل الله ييسر لعالم من علماء المسلمين صنع فهرست لتاريخ البخاري الكبير وللجرح والتعديل لابن ابي حاتم ، والموفق الله ، لا رب سواه ، والحمد لله رب العالمين ·

---

(2) مطبوع في الهند سنة خمس وعشرين وثلاثمائة والف ، ومعه « كتاب الضعفاء الصغير » للبخـاري ايضا ، و « كتاب الضعفاء والمتروكين » للنسائي·

رؤية معاصرة للشعر العربي

للأستاذ
محمد حمزة

أجرى القسم العربي بهيئة الاذاعة البريطانية في لندن مقابلة مع الشاعر نزار قباني في برنامج "ساعة الاحد" وكان مما قاله نزار :

إن شعرنا القديم الذي استمر من العصر الجاهلي إلى مطلع القرن العشرين. كان شعرا صعبا لانه كان يعتمد على التراكيب اللغوية ، وعلى النقش والزخرفة ، فانا اردت من الشعر ان يخرج من جدران الاكاديميات ، وينقلك في الحدائق العامة ، ويعايش الناس ويتكلم معهم .

ويعتقد الشاعر نزار انه توصل إلى معادلة شعرية ، يكون فيها الناس جزء الا يتجزأ من الشعر . وشعر منذ البداية إن هناك هوة كبيرة بين الشاعر وبين الجمهور كان هناك نوع من الجدار اللغوي المنيع اللذي يحول دون ان يتذوق الناس الشعر . والشاعر نزار لا يؤمن بالاشياء الثابتة ، وهو يتطور مع الحياة ، ويغير جلده في كل لحظة ويرى ان شعرنا العربي خلال عصور الانحطاط ، كانت قصائده كلها عبارة عن قصيدة واحدة منسوخة على ورق كربون ! وان الشاعر لم يكن يبذل اي جهد ليفهم عصره أو ليغوص في اعماق عصره . او ليفهم قضية الانسان .

العملية كلها بالنسبة للشعر العربي خلال الف سنة لاخيرة كانت عبارة عن نوع من اكتشاف ما هو مكتشف . كانت عبارة عن كيمياء لغوية تعاد . وهو ينكر إلأن أن الشعر ليس هو اللغة ، ويرى ان القاموس لا يستطيع ان ينظم قصيدة ، وانما الإنسان هو الذي ينظم هذه القصيدة ، وهو لذلك في نظره ان القاموس. سقط بكل محدودياته القديمة ، سقط كمجموعة من الالفاظ والتراكيب ، والقوانين الصارمة التي لا تحتمل المخالفة ، وهو شخصيا يخالف ، لانه يجب ان يكون مع الحياة لا مع النصوص الميتة .

ومع احترامي للشاعر وتقديري لفنه فلي على ما يقول ردود :

1 – اعتقد ان عنترة العبسي سبق نزاراً في كثير مما يراه حين قال :

"هل غادر الشعراء من متردم" واعترف بانه لم يترك الشعراء شيئا من الشعر لم يصلحـــوه ، ويهذبوه ، ولم يغادروا معنى لم يسبقوا اليه حتى يتهيأ لمثله او لغيره ان يأتي بمثلــه .

2 – إن الشعر العربي الذي استمر من العصر الجاهلي حتى مطلع القرن العشرين لم يكن صعبا كله. إن شعرا كشعر عنترة وطرفة وعمر ابن ابي ربيعة والبحتري وابي نواس . وغيرهم كثيرون في عصور الشعر العربي الزاهية لكفيل بدحض هذا الزعم المشبوه ، ودفع هذا الرأي المريـب . إن اغلب شعرنا ينساب رقراقا سلسا ، جميل الرونق ، صافي الاديم ، موحي الفكرة ، في اي غـرض من اغراضه . واعتقد ان كثيرا ممن يدعـــون المعاصرة ، والذين كرسوا حياتهم للمرأة ، لـم يبلغوا معشار ما بلغه قدماء شعرائنا في وصفها ، ومـــن هؤلاء الذين يدعون التحديث والتعصير استطاع ان يقول كما قال دوقلة المنبجي :

لهفي على دعد وما خُلقت	الا لجر تلهـفي دعـــد
بيضاء قد لبس الاديم بها	ء الحسن فهو لجلدها جلد
ويزين فوديها اذا حسرت	ضافي الغدائر فاحم جعد
فالوجه مثل الصبح مبيض	والشعر مثل الليل مسود
ضدان لما استُجمعا حسُنا	والضد يُظهر حسنه الضد
ما عابها طول ولا قصـــر	في خلقها فقوامها قصـــد

ومن الذي قال مثلما قاله النابغة الذبياني :

صفراء كالسّيراء أكمـل خلقهـا
كالغصـن في غلوائـه المتـأود
مخطوطة المتنين غير مفاضـــة
ريـــا الروادف بضة المتجـرد
زعـم الهمام بان فـاها بـــارد
عذب مُقبّله شهـــي المـــورد
زعـم الهمام ولـم اذقـه انـــه
عذب اذا ما ذقته قلـــت ازدد
زعم الهمـام ولم اذقـــه انـــه
يُشفي بريا ريقها العطش الصدي

ومن لي بمن قال مثل ما قاله حكيم المعرة :

ما انخير صوم يذوب الصائمون له
ولا صلاة ولا صوف على جسد
وانما هو ترك الشـــر مطرحـــا
ونفضك الصدر من غل ومن حسد

إلى غير ذلك مما لذ وطاب ، ذكرى وعاطفــة وعلما وحكمـــة .

3 – إن اللغة العربية عالم تمتد ظلاله بلا آفـاق ولا حدود تلقائيا ، وكل من حكم عليها بالصعوبة أو حتى بالسهولة فقد البس نفسه الحذاء الصيني ، وحكم عليها بالمحدودية ، ولم يستنشق ازهـــار العربية ، ولم يستمتع برؤى خمائلها ، ولم يتقلب في بساتينها ورياضها . وحرم النعمة الكبـرى ، ولم يحصلوا اللذة الحقيقية ، العميقة الكاملـــة ، الغنيـــة المشحـــونة .فشـعر العرب لم يكــن صعبا كله ، ولو فرضنا جدلا أن ذلك واقــع فعلا ، فانه لا يجوز التعميم او القطع والحسم مهما بلغ المرء من الاستقصاء ، و «الشاعرية» . ذلك ان الادب . والشعر فرع عنه – شـــيء ذاتي تختلف فيه اذواق الناس ، وتتضارب في النظر اليه مشاربهم .

إن لغة الشعر الجاهلي ، وإن بدت لنا لغة «كلاسيكية» ، كانت في زمانها هي ايضا تنبع نبوعا تام الصدق مــــن بيئتها ومجتمعها ، وتقترب اقترابا وثيقا من لغة الحيـــاة

اليومية التي كان يتحدث بها الناس العاديـون في ذلك الزمان . وهي لغة كانت منتخبة ـ شأن لغة الشعر الناضج كله ـ جودها افراد أوتوا نصيبا زائدا من الفصاحة والحس اللغوي ، والثروة اللفظية ، والمقدرة التعبيرية عمـا يفكرون ويشعرون . لكن هذا الانتخاب والتجويد لـم يجعلها من معدن مختلف عن لغة الحياة اليومية ، كمـا تختلف لغة شعرنا الآن عن لغة حديثنا اليومي . وهـذه حقيقة يصعب علينا الآن أن نصدقها ، اذ تبدو لنا تلك اللغة الشعرية غريبة صعبة مليئة بالمفردات غير الشائعة ، ويبدو لنا التزامها الدقيق لقواعد النحو والصرف شيئا غيـر طبيعي ، فننسى ان هذه القواعد كانت في يوم من الايام سننا طبيعية يجري بها اللسان العربي ، وإن اهملها الآن وأهدرها ، وأن تلك الالفاظ كانت شائعة مالوفة تستعمل في واقع الحياة لا في بطون الكتب .وكل براعة الشعـر هي في اختيارها وضم بعضها إلى بعض في تراكيـب تعطيها اتم شحناتها الفكرية والعاطفية ، وتنغمها فيمـا بينها في موسيقية تعتصر كل امكانياتها الايقاعية والجرسية(1)

والكلمة العربية تلتزم التقيد بمقتضيات طبيعتهـا الخاصة ، وتستمد سلامتها من صيغة مُثلى ليس لتداولها بين الناس أيّة صبغة شرعية يضفيها عليها . مثل الكلمة العربية كمثل الحياة التي هي امتداد لها ، فكما ان انتشار المرض وانتقاله عبر الاجيال ، لا يغيّر من طبيعته كحالة ميل ، فكذلك الكلمة الموضوعة وضعا شاذا في اللغـة العربية ، لا يقوى الزمان على توكيد سلامتها . حتى لقد ترجع صورة العربي إلى المثل الاعلى . إلى نزوع كلماتـه إلى تخطي الواقع المتعارف عليه نحو مثل تستكمل بـه شروط سلامتها . فهل من تفسير لظهور مئة واربعـة وعشرين الفاً من الانبياء بجزيرة العرب غير تفسيـر الاتفاق في الصبوة نحو المثل الاعلى بين الكلمة العربية وبين صاحبها ؟ وذلك ما يجعل الاختلاف في التطور بين لغتنا وبين لغات غيرنا من الاقوام . فبينما كانت الكلمة عند غيرنا تتطور من جيل.الى جيل حتى تصبح في نهاية الامر مختلفة المعالم عن نشأتها ، كانت الكلمة العربيـة يبقى على ما هي عليه ، لا يؤثر فيها الزمان ، وكل ماكان تحدث ، هو ان أجدادنا إذا ما انتقلوا من مرحلـة تاريخية إلى أخرى كانوا يسقطون من التداول الكلمـات المعبرة عن الاوضاع المهملة ، وينشئون في حدود نظام اللغة ما يُعنى منها بالتعبير عن حاجات المرحلة التاريخية المعاصرة . ولو قارنا بين قصيدة من الادب الجاهـلي كقصيدة عبد المطلب جد الرسول مثلا ، وبين قصيـدة أخرى من الادب الفرنسي في عهد شارلمان المتأخـر خمسمائة سنة عن عبد المطلب ، لوجدنا القصيدة الاولى الا تختلف من حيث السهولة على أفهام الاجيال منـذ وضعت حتى الآن ، ولوجدنا القصيدة الثانية تعز عـلى افهام الفرنسيين اليوم ، الا الذين اختُصوا منهم باللغة الرومانية.(2) والسبب في ذلك هو ان اللغة العربية أصيلة في نفسها ، وتؤصل حتى الاجنبي من الكلمات التـي تدخلها وتلوذ باحضانها .

4 ـ إن الشعر العربي لم يكن كُلّه نقوشا او زخارف ، ولو سلمنا بشيء من ذلك ، فلا يعدو ان يكـون لمعة من اللمع ، شأن كل شيء في هذه الدنيـا ، فقد يظهر في فترة معينة ، وعند شعراء بأعيانهم. ان كل شاة تناط من رجليها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى . إن كل ما نقوله الآن عن القدماء سلبا او ايجابا ، سوف يكون لنا نصيب مثله ، ولم لا نذكر موتانا بخير ؟ ونعوذ بالله من سوء القضاء ، ودرك الشقاء ، وشماتة الاعداء :

إذا ما الدهر جر على أناس ... كلاكله أناخ بآخرينا
فقل للشـامتين بنا أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا

فالشعر العربي ، ولو من باب الانسانية أو التجرد لا يضيره او يحط من قدره ما فعله هذا أو تخلى عنه ذاك .

5 ـ كون الشعر العربي عبارة عن قصيدة واحـدة منسوخة على ورق كربون في أيام الانحطـاط، شيء طبيعي . والعبرة في تدارك النقائـص و الاخطاء ، لا في وصفها او التشهير بمجترحيها والمسؤول عن الانحطاط هنا ليس هو الشعر! إنما المسئولون ذووه . إننا لا نلوم النهر إذا جف ماؤه ، والجفاف ينسب إلى النبع والروافـد ، والشعر مرآة عصره كما قالوا ، ونحن لا نلزم الابن ، أن يلبس حذاء ابيه ولانكلف شخصا من الاشخاص ان يكون جميلا او ان يزيد في خلقه ليظهر وسيما جذابا على وجه المـرآة ، والمرآة المنكسرة او المخدوشة ، تعكس الاشياء كذلك، مشوهة ناقصة الخلقة، وعصر الانحطاط والتقهقر لا يمكن للشعر فيه إلا ان يكون اشد انحطاطاً، وأعظم تقهقراً. ذلك أن الشعر شعور واحساس، والشعب المتخلف شعوره واحساسه مائتان. ولو طلبنا من شعر ما في عصر انحطاط ما، وفي شعب ما أن يكون راقيا، لكنا ممـن يكلفون الاشياء ضد طباعها. فتلك هي سنـة الكون في كل شيء ، زمانا ومكانا .

6 ـ كون شعر يقال في خلال الف سنة عبارة عـن نوع من اكتشاف ماهو مكتشف، كلام تتقطر المغالاة من جنباته ، فقد يكون الشبح حقيرا لكن له شأن كبير ، وقد تكون الصورة ضئيلة، لكن لها معان جليلة . ومما لا مشاحة فيه اننا نجد عند هذا الشاعر مالا نجده عند ذاك ، لاختـلاف الطبائع والامزجة . إن الامر كله في التفاوت الذي هو مقياس التفاضل. ولكل تفاوت أصـل ومرجع ، ولا يمكن للاشياء ان تكون صـورا مطابقة لبعضها البعض . كما لا يمكن للواقعـة التاريخية ان تتكرر مهما يظهر من شبه بغيرها.

ويعلم الله ان لو بعث عنترة من مرقده ورأى وسمع كثيرا مما لم يغادره الشعراء لا نبهر واظل فاتحافاه لما قد يسمعه او يراه مما لم يكن لـه بحسبان ولم يدر على خلد إنسان .

7 ـ حقا إن القاموس لا يستطيع ان ينظم قصيدة، إن القاموس هري من الاهراء فيه تخزن حضارات الامم ، والقصيدة من صنع الانسان ، ومـن حصائل العقول البشرية ، واللغة وعاء للقصيدة، وهي إهابها . وسجل لكلماتها ولمعاني هـذه الكلمات . والكلمات هذه وغيرها صامتـة بالفعل ، لكنها صالحة بالقوة لان تصير الفاظا مسموعة ، او خطوطا مكتوبة مقروءة في سياق كلام . ولا يصدر ذلك الامن قلب الشاعـر أو لسانه وكيانه عموماً . والقلب معدن ، والعقـل جوهر ، واللسان مستنبط ، والقلم صائـغ ، والخط صيغة . ولا يتصور ان تعرف للفـظ معنى موضوعاً من غير ان تعرف معناه ، ولا ان تتوخى في الالفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيبا منظما ، وانما تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك . فاذا اتم لك ذلك اتبعتها الالفـاظ وقفوت بها أثرها . وإنك اذا فرغت مـن ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الالفاظ ، بل تجدها تترتب لك بحكم انها خدم للمعاني وتابعة لها . وتقاليـد السماع في الكلام بحكم قدمها وحداثة تقاليد الكتابة ، جعلت الكلام المسموع يبدو أكثـر اهمية من الكلام المنظور . ذلك لانه أدخل في الحياة من الكتابة وأوغل في سلوك الفرد والمجتمع حتى لقد زعم بعض العلماء ان التفكير لا يتم بدون الكلمات . والحروف وحدات من نظام ، وهذه الوحدات أقسام ذهنية لا اعمال نطقية ،

على نحو ما تكون الاصوات . والفرق واضح بين العمل الحركي الذي للصوت وبين الادراك الذهني الذي للحرف ، اي بين ما هو مادي محسوس ، وبين ما هو معنوي مفهوم. فالكلام هو ذلك الذي يقوم في النفس فيتخيل كلاما . وربما كان الاخطل يقصد هذا حين قال :

لا يعجبنك من خطيب خطبة
حتى يكون مع الكلام أصيلا
إن الكلام لفي الفؤاد وانما
جعل اللسان على الفؤاد دليلا

والمعجم معين صامت هاديء ساكن، مستعمل بالقوة لا بالفعل ، وهل يدور في وهم او يجري على عقل ان يعيش إنسان مهما تعبقر وتعنتر ، بعيدا عن اللغات . هذا والله إحالة . ان اللغة للبشر كالهواء والماء والغذاء . فلماذا التنكر لهذه النعمة الكبرى !

8 – سقوط القاموس بكل محدودياته القديمة كمجموعة من الالفاظ والتراكيب والقوانين الصارمة لا تحتمل المخالفة ووجوب كون الشاعر مع الحياة لامع النصوص الميتة ، إسقاط للحياة نفسها ، ذلك لان القاموس هو مجلى الامم ، ومعرض لحضارتها ومجدها . وقد كان اناتول فرانس يقرأ قواميس اللغة الفرنسية قراءة دائبة كما يقرأ اي كتاب . وعبقرية فكتور هيجو ترجع في كثير من مناحيها إلى معرفته الواسعة بمفردات اللغة الفرنسية ، والمتنبي علم العربية الاشهر كان اوسع اهل زمانه معرفة باللغة وآدابها ، وبالثقافة الاجنبية التي نقلت إليها . روي عن ابي علي الفارسي علامة اللغة في زمانه انه سأله : كم لنا من الجموع على وزن فعلي ، فقال المتنبي على الإثر : حجلي وظربي. قال أبو علي فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال علي اجد لهذا الجمع ثالثا فلم اجد . إن العبقرية الشعرية تبرز في مجال الافكار والموضوعات ، وبذلك يحي القاموس ، ويستنشق نسمات الحياة ، وتدب الحركة في أوصاله . وإن ما كان حيا بالامس يصير إلى موت غداً . وما كان حيا في يومه ينطبق عليه ما ينطبق على سابقه .

تلك هي حتمية تاريخية ، او جبرية تقودها ذراع القدر في ظلمات الغيب . الذي لا تصل اليه عقول البشر مهما أوتوا من قوة أو مبلغ من علم. إن إحياء الرمة يكون ببث الحياة فيها . ولله در ابي نواس اذ يقول :

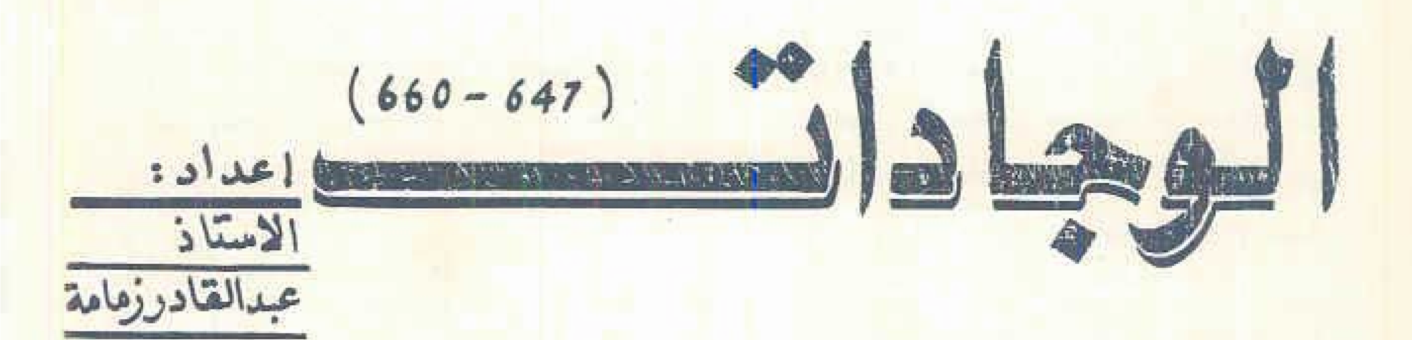
إن مع اليوم – فاعلمن – غدا
فانظر بماذا ينقضي مجيء غده
ما ارتد طرف امريء بلذته
الا وشيء يموت في جسده

محمد حمزة – الرباط

---

1 – الشعر الجاهلي . منهج في دراسته وتقويمه ، تأليف الدكتور محمد النويهي ج 2–ص 782 783

2 – العبقرية العربية في لسانها ، تأليف زكي الارسوزي .ص 50 . المجلد الاول من المؤلفات الكاملة .



647 ـ خلع غفارته :

وجدت في محاضرات اليوسي ص 154 :

وفي مناقب الشيخ ابن الحسن الشاذلي رضي الله عنه في مسيره الى المشرق . كان في محفته فكان فتيان ذات يوم يمشيان تحته في ظلها ثم جعلا يتحدثان فقال احدهما للآخر : يا فلان . مالي ارى فلانا يسيء اليك وانت تتحول منه .؟ فقال له : والله ما كان ذلك الا لانه من بلدي كما قال القائل :

راى المجنون في البيداء كلبا فجلّله من الاحسان ذيلا
فلاموه على ما كان منه وقالوا: لم أنلت الكلب نيلا
فقال دعوا الملام فان عيني رأته مرة في حي ليلى

فسمعه الشيخ فتواجد وجعل يقول : دعُوا الملام فان عيني . البيت ويكرره . ثم خلع غفارته ورمى بها الى الفتى المنشد فقال له : انت أولى بها يا بُني ....!

648 ـ السماع رزق :

وجدت في مخطوطة كتاب الذيل والتكملة للمؤرخ القاضي ابن عبد الملك الاوسي المراكشي في ترجمة ابن الحسن ابن قطرال الانصاري .

„.. وكان قد جاورني مدة بدار لي لصق دار مولدي وسكناي . وكان كثير من طلبة العلم بمراكش يتنابون بها للرواية عنه . وكنت حينئذ غير مقصر عن كثير مما كان يتردد اليه ولم يكن هنالك من يرشدني للقراءة عليه والاخذ عنه ولم اهتد إلى ذلك من تلقاء نفسي فحُرِمت الرواية عنه مع أهليته لها وتمكنه من اسبابها لو شاء الله..! والسّماع رزق .....! „

649 ـ المحلى :

وجدت في مخطوطة كتاب الذيل والتكملة للمؤرخ

القاضي ابن عبد الملك الاوسي المراكشي في ترجمة محمد ابن حسن بن عمر الفهري السبتي :

وكان طويلا نحيف الجسم نظيف الملابس وقــور جميل الهيئة حسن الخلق يخضب راسه ولحيته بالحنــاء ممن ساد بنفسه وكتب في شبيبته عن أبي عبد الرحمـــن يعقوب بن أبي حفص بن عبد المؤمن المدعو بعبـــن الغزال ايام ولى مدينة فاس ووصل صحبته الى مراكـش وكان أبوه حسن قولا يغني في الاسواق والمحافــل... والمتلبس بهذا العمل يعرف في بلاد المغرب بالمُحلــي..!

650 ــ كــنــزة :

وجدت في كتاب طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي السفر الثاني ص 559 قراءة وشرح محمود محمد شاكــر

„وكان ذو الرمة يتشبب بمي بنت طلبة بن قيس بـن عاصم المنقري . وكانت كنزة أمة مولدة لآل قيس بـن عاصم . وهي أم سهم بن بردة اللبن . الذي قتله سنـان بن مخيّس القشيري ايام محمد بن سليمان فقالت كنزة :

على وجه مي مسحة من ملاحـــة
وتحت الثياب الخزي لو كان باديـــا
الم تران الماء يخبـث طعمـــــه
ولو كان لون الماء في العين صافيــــا

ونحلتها ذا الرمة ...! فامتعض من ذلك . وحلف بجهد أيمانه ما قالها ...! قال : وكيف اقول هذا وقد قطعت دهري وافنيت شبابي أشبب بها وأمدحها ... ثم أقــول هذا ..؟ ثم اطلع على أن كنزة قالتها ونحلتها اياه ...!

651 ــ تادلــة من بــلاد فشتــالــة .

وجدت في كتاب : دوحة الناشر لمحاسن من كــان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر : لابي عبد الله محمــد ابن عسكر . ص 70 . ط حجرية

" ... ومنهم الشيخ العارف بالله ابو الحسن علي بـن ابراهيم المشهور ببسيط تادلة من بلاد فشتالــة ...! „

652 ــ فاتت صفــراء تعتــذر :

وجدت في مخطوطة كتاب الذيل والتكملة للمؤرخ القاضي ابن عبد الملك الاوسي المراكشي في ترجمة ابي حفص ابن عمر السلمي

„.. وخرج في صغره مع ابيه من مدينة فاس الى لقاء ابي محمد عبد المومن بن علي في بعض قدماته عليها. فلقيا القاضي ابا يوسف حجاجا فسلما عليه . فسال القاضي اباه عنه وقال له : من الشاب ..؟ فقال ابوه : عبدكم ابني ..! فسأله هل يقرأ شيئا ..؟ فقال : نعم . ويقرض الشعر..! فقال القاضي ابو يوسف : أجز ...! وكان ذلك عنـد الاصيل وقد بان تأثير الشمس في وجه ابي حفص ...

ــــ وسمتك الشمس يا عُمر ...! فأجاب بديهة :
ــ سمـــة لنا فيهـــا عبر.....!
ــ عرفت قدر الذي صنعت فأتت صفراء تعتذر..!

653 ــ كـبـكــب :

وجدت في كتاب " مُعجم ما استعجم „ لابي عُبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الاندلسي المتوفى سنة 487هـ ج .4. ص .1112. ط . القاهرة 1951م

كبكب " بفتح أوله وإسكان ثانيه . بعدهما مثلهما . قال الطوسي : هو الجبل الاحمر الذي تجعله خلــف ظهرك اذا وقفت مع الامام بعرفات ...!اهـ „

وقريب من نص البكري يوجد عند ياقوت في معجم البلدان . ج . 4 . ص . 434 .

" ومن المعلوم أنه يوجد بمدينة فاس : (كبكب) أو (قبقب) وهو اسم لما بين جبلي : (زالغ) و (تغــات) المطلين على هذه المدينة المغربيــة ...

654 ـ وجـدة بخييـر :

وجدت في كتاب " معجم ما استعجم " لابي عُبيد البكري ج 4 ص 1370 . ط . القاهرة 1951م

"وجدة بفتح اوله واسكان ثانيه . بعده دال مهملة حصن من حصون خيبر . مذكور في رسمها...!

وبأرض البربر أيضا وجدة . على مثال لفظها ...!"

655 ـ المـرابـع والفشـاش :

وجدت في مخطوطة كتاب الذيل والتكملة للمؤرخ القاضي ابن عبد الملك الاوسي المراكشي في ترجمة ابي الحسـن ابن القطـان...

"... المتصرفون بأموالهم واعمالهم في مستغـلات الاملاك مساقاة في سوادها . او مزارعة في بياضها. وهم في عرف مراكش المرابعة ، لانهم كانوا يعملون في ذلك على ان يكون لهم اربع من فوائدها او للمحاولين شراء غللها من زيتون وعنب وتين ورمان وخضراوات و غير ذلك ثم يبيعونها وهم في عرف مراكش ايضا الفشاشون"

656 ـ ظهـور المهـدى :

وجدت في معجم اعلام الشرق والغرب الملحـق بمعجم : المنجـد : ص 472

" ماسّـة : موضع في أقصى المغرب على الاطلسي اشتهرت فيه زاوية الجزولي القرن (15) ومنها كانـوا ينتظرون ظهور المهـدي ...!"

657 ـ بـفـلـة .

وجدت في مخطوطة ديوان ابي العباس احمد بـن المامون البلغيثي رحمه الله . الموجودة بالخزانة العامـة ـ د ـ 3662

ابغلـة كثيرة النفـار
قليلة السير لدى القفـار
جماحة عن طرق انتشـار
تخاف من ظل لكل سـار
لا تبتغي في منهج التسيـار
غير طريق موطن القـرار
تميل بالطبع الى الحمـار
وتسرع السير على الكيـدار
عزمتها بالبيع للحمّـار
يتبعها بثقـل الاوقـار
ويقطع الفلا بلا عثـار
والدبر يعدوها الى القفـار
حتى ترى مثل عذاب النار
اذ لم تكن طوعا إلى الابـرار

658 ـ قبـائـل دكـالـة :

وجدت في مخطوطة كتاب " سلسلة الذهب المنقود " القبائل الست التي كانت تتكون منها دكالة على عهده وهي :

مشتراءة . وصنهاجة . وبنو دغوغ وبنو ماقـر . وهزميرة . ورجراجـة ...

659 ـ وقف مائـة دينـار :

وجدت في مخطوطة كتاب (لقط الفرائد) لابـي العباس ابن القاضي . في وفيات سنة 810هـ

".. وابو عبد الله القيسي الاستاذ شيخ ابي عنان. وقد اعطاه يوما مائة دينار لما وقف على قوله تعالى :

(كذلك يضرب الله الامثال..) في حال قراءته معه. فسمي وقف مائة دينـار ...!!!

660 ـ عيطـوا .. وهرنطـوا :

وجدت في كناشة بعض الافاضل هذين البيتيـــن منسوبين لبعض اهل العلم والادب :

ملك الهوى في الحوز جار بملكــه
ولاهله سكانه قد (عيَّطُــــوا)

فاصغ لهم. فالانس في أصواتهـــم
واترك حميراً (بالسراريب) (هرنطوا)

عين أبو بكر الصديق رضى الله عنه عمر بـن الخطاب قاضيا على المدينة المنورة ، فمكث عمر سنة لم يفتتح جلسة واحـدة ، ولم يختصم اليه اثنان ، فطلب من أبى بكر اعفاءه مـن القضاء ، فقال أبو بكر :

ـ أمن مشقة القضاء تطلب الاعفاء يا عمر ؟ فقال عمر رضى الله عنه :

ـ لا ياخليفة رسول الله ، **ولكن ليس بـى حاجة عند قوم مؤمنين ، عرف كل منهم ما له من حق ، فلم يطلب اكثر منه ، وما عليه من واجب فلم يقصر فى ادائه · احب كـل منهـم لاخيه ما يحب لنفسه ، اذا غاب احدهم تفقدوه، واذا مرض عادوه ، واذا افتقر اعانوه ، واذا احتاج ساعدوه ، واذا اصيب واسوه · دينهم النصيحة ، وخلقهم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ففيم يختصمون ؟ !**

● المسلمون فى العالم :

المركز الإسلامي في اليابان

لم تحظ اليابان بنور الاسلام خلال الفترة التى
دات منذ ظهوره حتى نهاية القرن التاسع عشر وأوائل
لقرن العشرين · وان أول يابانى اعتنق الاسلام هو
لمرحوم احمد اريجا وكان ذلك فى عام 1895 حيث
سلم على يدى احد مهراجات الهند فى بومبى · وعند ما
دا هذا البلد ينفتح على العالم فى عهد الامبراطور
يجى بانى نهضة اليابان الحديثة كتب هذا الامبراطور
سالة الى السلطان عبد الحميد عليه رحمة الله طالبا
رسال بعض العلماء المسلمين الى اليابان لتعريف
شعبها بالاسلام ولتحقيق التقارب بين اليابان والدولة
لعثمانية وفعلا وصل بعض العلماء منهم الشيخ عبد
لرشيد ابراهيم وهو من الترك التتار واسلم على
ديه اناس وادى معه أول يابانى فريضة الحج عام
1909 وهو المرحوم عمر ياماكاوا ·

وذكر الصحفى المصرى المرحوم محمد احمد
لجرجاوى صاحب جريدة « الارشاد » فى كتاب له
سماه (الرحلة اليابانية) مطبوع فى القاهرة عام 1325
هجرية ان امبراطور اليابان ميجى دعا لمؤتمر عالمى
للاديان فى طوكيو فى صيف عام 1906 حضرته بعثة
من الخلافة العثمانية . كما ان هذا الصحفى المصرى
نظم وفدا لحضور هذا المؤتمر مكونا من ثلاثة اشخاص
منهم عالم تونسى رفض ان يعلن عن اسمه وعالم
ازهرى مصرى كان اماما للجامع الكبير فى كلكتا بالهند.
وسافر هؤلاء الثلاثة على حسابهم الخاص بالباخرة الى
اليابان وانضم اليهم فى هونج كونغ مسلم صينى كان
مسافرا لنفس الغرض واستقبلهم فى ميناء يوكوهاما
رجل اسماه محمود الروسى الذى كان على صلة بالمسلم
الصينى . وذكر السيد / احمد الجرجاوى انهم حضروا
مؤتمر الاديان وانهم فى نفس الوقت تعاونوا مع وفد
الخلافة فى تنظيم محاضرات عن الاسلام فى طوكيو
واسلم على ايديهم حوالى اثني عشر الف يابانى .

هذه اولى المحاولات لادخال الاسلام فى اليابان .
وقد تلتها محاولات اخرى منها تلك التى قام بها
المسلمون الاتراك من جمورية التتار والذين هاجروا
بعد قيام النظام الشيوعى فى روسيا واتخذوا من
اليابان موطنا . كما ان بعض اليابانيين الذين صاحبوا
جيوش الاحتلال فى منشوريا بالصين واندونيسيا
وملايزيا اعتنقوا الاسلام هناك . وان اكبر محاولة

لادخال الاسلام الى اليابان هى التى قام بها افراد من جماعة التبليغ فى باكستان والهند فى اواسط الخمسينيات من القرن الميلادى الحالى · اضف اليهم جهود الطلبة القادمين من البلاد العربية والاسلامية للدراسة فى اليابان فى نفس الفترة التى جاء بها اهل التبليغ وما بعدها ·

من جميع هذه المحاولات المتقطعة وغير المنتظمة اعتنق عدد من اليابانيين الاسلام (الباقى منهم على الاسلام لا يتجاوز الثلاثة آلاف) ومن هذه المحاولات يمكن الاستنتاج ان للاسلام مستقبلا فى البلد فاليابانيون بعد انهزامهم فى الحرب العالمية الثانية يعانون من فراغ عقائدى وتحاول عدة فئات الاستفادة من هذا الفراغ منها المسيحية العالمية (فى طوكيو وحدها سبعمائة كنيسة بروتستانتية وستة جامعات مسيحية) والماركسيون والبوذيون المحليون · ان الحرب الاخيرة بين العرب واسرائيل وما تبعه من استخدام سلاح البترول قد هزت الشخصية اليابانية وجعلت اليابانيين يزيدون من اهتمامهم بالبلاد العربية بعد ان كانت خارج منطقة تفكيرهم وبداوا يتعرفون على الاساس الفكرى للعرب واول ما يخطر على بالهم هو الاسلام فاخذوا يتدارسونه · ولما كان اليابانيون لا دين سماوى لهم — على عكس المسيحيين واليهود — فان هذه الظاهرة ستجر الكثير منهم لاعتناق الاسلام · وهذه فرصة للاسلام ان يجد موضع قدم فى هذا البلد يصلح ان يكون نقطة انطلاق وتوسع فى المستقبل ان شاء الله · وقد بدت بوادر ذلك فى دخول حوالى الالف شخص من اليابانيين فى الاسلام خلال العام الماضى فى طوكيو وحدها كما اسلم عدد من اليابانيين فى مدينة ناجويا وغيرها من المدن الاخرى وتكونت نواة لتجمعات الشباب المسلم فى عدة مدن وتجاوبت جامعات محترمة للمحاضرات التى القيت فيها عن الاسلام سواء على مستوى الاساتذة او الطلبة ·

ويوجد مسجدان فى اليابان · الاول فى مدينة كوبى المجاورة لمدينة اوساكا الصناعية فى جنوب غرب اليابان وله اوقاف وادارة مكونة من جنسيات مختلفة واسس عام 1936 · اما الثانى فهو فى طوكيو واسس عام 1938 من قبل المرحوم عبد الحى قربان على زعيم الجالية التركية آنئذ ·

اما الجمعيات والجاليات الاسلامية فى اليابان فهى كما يلى :

اولا : اليابانيون المسلمون :

1 — جمعية مسلمى اليابان وهى اقدم جمعية للمسلمين اليابانيين فى اليابان تشكلت عام 1952 ومقرها طوكيو ·

2 — جمعية المؤتمر الاسلامى اليابانى فى طوكيو وهى احدث جمعية تشكلت عام 1975 ·

3 — جمعية الصداقة الاسلامية فى كويوتو وهى عاصمة اليابان القديمة ·

4 — جمعية مسجد كوبى ·

5 — الجمعية الاسلامية فى ناروتو بجزيرة شكوكو ·

6 — الجمعية الاسلامية فى طوكوشيما بجزيرة شكوكو ·

7 — الجمعية الاسلامية فى سنداو بشمال اليابان ·

8 — الجمعية الاسلامية فى ناجويا وهى من احدث الجمعيات تشكلت عام 1975 ·

9 — جمعية الشباب المسلم فى كانازاوا تشكلت عام 1975 ·

10 — جمعية الكشاف المسلم فى جزيرة شكوكو تشكلت عام 1975 ·

ثانيا : الاجانب :

وهم يتواجدون على شكل تجمعات مقيمة اقامة دائمة مثل الاتراك او اقامة مؤقتة ولا يتجاوز عددهم الثلاثة آلاف وهم :

1 — جمعية الاتراك ·

2 — الجمعية الاندونيسية ·

3 — الجمعية الباكستانية ·

4 ـــ الجـاليـة العـربيـة ·

5 ـــ جمعية الطلبة المسلمين وتمثيل الطلبة الاجانب ومعهم بعض الطلبة اليابانيين ·

6 ـــ مجموعات من المسلمين الصينيين والافغانيين والملاويين والهنود والبنغاليين ومن اقطار جنوب شرقى آسيا الاخرى ·

7 ـــ جمعية مسجد طوكيو وهى جمعية مسجلة رسميا ومكونة من ممثلى سفارات الدول العربية والاسلامية ـــ تشكلت عام 1961 وان مسجد طوكيو مسجل رسميا باسمها ·

المركز الاسلامى : نشاته واعماله :

نظرا لوجود جمعيات وجاليات متعددة باليابان ويهدف قيام تعاون مثمر فيما بينها دعى الى مؤتمر عام حضره كافة ممثلى الجمعيات والجاليات المقيمة فى اليابان وذلك فى 30 / 6 / 1972 · وتقرر انشاء اتحاد لهم باسم المركز الاسلامى فى اليابان · وبقى هذا المركز لمدة ستة شهور حبرا على ورق الى ان يسر الله تأجير مقر بسيط له بالقرب من مسجد طوكيو مكونا من غرفتين صغيرتين وذلك فى أواخر ديسمبر 1974 اى قبل سنة ونصف · وقد رفع المركز شعارا من ثلاث نقاط تلخص نشاطه :

1 ـــ تنسيق بين الجمعيات الجالية الاسلامية /

2 ـــ نشر الكتاب الاسلامى باللغة اليابانية ·

3 ـــ الدعوة الى الله وتبليغ رسالة الاسلام لليابانيين ·

وللمركز هيئة ادارية مكونة من ثلاثة يابانيين واثنين اتراك وثلاثة باكستانيين وثلاثة عرب وصينى واحد ·

وقام المركز خلال السنة ونصف من عمره بالاعمال التالية :

1 ـــ كان فى المركز متفرغ واحد حين تأسيسه والآن يوجد فيه ثمانية متفرغين عاملين من اليابانيين والاجانب وسيزاد عددهم خلال الثلاثة اشهر القادمة ان شاء الله الى اربعة عشر متفرغا واغلبهم من حملة الشهادات الجامعية العالية وأكثر العاملين الاجانب يجيدون اللغة اليابانية بطلاقة ·

2 ـــ فى المركز كافة التسهيلات المكتبية بما فيها ماكنة استنساخ ضخمة ممتازة ·

3 ـــ ترجم المركز ونشر العديد من الكتب والرسائل التى تعرف الشعب اليابانى بالاسلام ومنها ما هو خاص بالمسلمين الجدد لتعليمهم الدين الاسلامى (علما ان اللغة اليابانية من اصعب اللغات والكتابة فيها عن الاسلام اصعب لان ذلك يتطلب نحت كلمات جديدة ولهذا فان الكتاب يمد بمراحل تدقيق ثلاثة حتى يرى النور) ·

4 ـــ يصدر المركز مجلة شهرية باسم « السلام » توزع على أكثر من ثلاث آلاف جامعة ومكتبة عامة فى جميع أنحاء اليابان · وهى بصدد التطوير لتوزع على نطاق صحفى تجارى (علما أن كافة مطبوعات المركز توزع مجانا ومن دون مقابل) ·

5 ـــ كان المركز بهداية من الله وتوفيقه وراء ادخال مجاميع متعددة فى الاسلام منها :

ا ـــ مجموعة الدكتور شوقى فوتاكى ·

ب ـــ مجموعة السيد محمد سوادا وهى جماعة ناشئة يحرص القائمون عليها على تركيز انفسهم حتى يكونوا قاعدة قوية لحركة اوسع واشمل ·

جـ ـــ حركة الشباب المسلم فى غربى اليابان وهى مجموعة من الشباب الواعى وهم يحرصون أن يدربوا قيادات اسلامية تتولى الدعوة وقيادتها فى المستقبل ان شاء الله ·

د ـــ مجموعة السيد طه ايجى كاوا فى مدينة ناقويا الصناعية ونأمل فيهم خيرا ان شاء الله ·

هـ ـــ وهناك افراد آخرون هداهم الله للاسلام عن طريق المركز الاسلامى ·

6 ـــ يوالى الاتصال بالجمعيات الجديدة والقديمة ويتعهدها بالزيارات والتوجيه ويزودها بمختلف المطبوعات التى ينشرها ويساعدها ماديا ومعنويا ·

7 ـ نظم المركز الاسلامى بالتعاون مع جمعية الصداقة الاسلامية فى كيوتو والجمعية الاسلامية فى نارتو وجمعية مسلمى اليابان فى طوكيو برنامجا مشتركا للدعوة يغطي اليابان بأجمعها طبقنا الجزء الاول منه فى جنوب اليابان حيث زرنا خمس مناطق بما فيها جامعات هيروشيما وما حولها وكانت النتائج مشجعة وطلب الكثير فتح فروع للمركز الاسلامى ·

8 ـ ان المركز على صلات بالهيئات الدينية غير الاسلامية فى اليابان لاثبات الوجود الاسلامى وتقديم الاسلام لهم واقامة الحجة عليهم ولقد تبادلنا الزيارات مثلا مع منظمة بوذية كبيرة هى « رشوكو سيكاى » واجرينا حوارا مع زعيمها عن الاسلام والبوذية ستنشره مجلة المركز « السلام » ·

9 ـ للشباب اليابانى تنظيمات عديدة وان أصحاب الهوايات المتشابهة يتجمعون فى حلقات خاصة بهم والمركز الاسلامى يتصل بهذه التجمعات ويبدى راى الاسلام فى مختلف مشاكل الحياة · ولقد عقد مثلا يومى 2 ، 3 / 5 / 1976 مؤتمرا ضم الطلاب الاجانب واليابانيين لبحث مشاكل الانسان والحضارة حضره عدد كبير من الطلبة وقد حضرنا هذا المؤتمر واحلناه الى مؤتمر اسلامى · وبعثنا بعدها لكافة الاعضاء المشتركين كتبا ورسائل عن الاسلام ·

10 ـ ينظم المركز زيارات لدور الطلبة الاجانب ومحلات سكن المتدربين القادمين من البلاد الاسلامية فى طوكيو وخارجها ونذكرهم بمسؤولياتهم تجاه الاسلام ونعطيهم كتبا ورسائل باللغة اليابانية لتعريف من لهم صلة بهم من اليابانيين بالاسلام ·

11 ـ بعثنا برسائل الى جماعة التبليغ فى باكستان والهند لارسال الدعاة لمعاونتنا فى العمل الاسلامى هنا وفعلا بعثوا لنا مجموعات من جنوب افريقيا وبقوا معنا فى المركز شهرين وادوا دورا كبيرا· كما بعثت جامعات المملكة العربية السعودية المختلفة بعدد من الاساتذة والطلبة وساعدونا فى النشاطات المختلفة ·

12 ـ يقدم المركز دروسا باللغة العربية لليابانيين كما يعطى دروسا فى اللغة اليابانية للاجانب·

13 ـ اتصلنا بمحررى الصحف والمجلات من الشباب ودعوناهم الى المركز ونظمنا لهم سلسلة من عشر محاضرات عن الاسلام بمعدل محاضرتين فى الشهر سيلقيها نخبة من المفكرين المسلمين اليابانيين والاجانب المقيمين فى طوكيو ·

14 ـ يبعث المركز الطلبة اليابانيين المسلمين الى البلاد العربية لمواصلة دراساتهم الاسلامية · ونعد الآن سبعة من الشباب لارسالهم الى معهد اللغة العربية فى جامعة الرياض فى رمضان القادم ان شاء الله ·

15 ـ تبنت جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية فى المملكة العربية السعودية مشروعا قدمه المركز اقامة معهد للدراسات الاسلامية فى طوكيو والمشروع تحت الدراسة ·

16 ـ الاخ الحاج خالد كيبا سكرتير عام المركز الاسلامى ورئيس الجمعية الاسلامية فى ناروتو بجزيرة شكوكو تبرعت له حكومته المحلية بأرض مساحتها عشرة آلاف متر مربع لاقامة نواة لجامعة اسلامية فى مدينة ناروتو مكونة من كليتين الاولى كلية الدراسات الاسلامية والثانية كلية للطب الشرقى وقد تعهدت رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة ووزارة التعليم العالى فى المملكة العربية السعودية بتعضيد المشروع عند استكمال المخططات اللازمة ·

17 ـ يتصل المركز بأساتذة الثقافة والتاريخ الاسلامى من اليابانين ويتعاون معهم فى تقديم الفكر الاسلامى لليابانيين وقام بالتعاون مع وزارة التعليم العالى بالمملكة العربية السعودية وجامعتى الرياض والملك عبد العزيز بدعوة اثنين منهم لهاتين الجامعتين · وسيعقد اجتماع لعدد من هؤلاء الاساتذة فى المركز الاسلامى يوم 29 / 5 / 1976 ان شاء الله ·

18 ـ نظم المركز برنامجا للموجهين المسلمين اليابانيين زيارة مراكز الدعوة الاسلامية فى البلاد العربية والاسلامية للاتصال بالمفكرين والاساتذة المسلمين وتشجيعهم للعمل الاسلامى وقد تم تنفيذ اكثره ·

19 ـ اتصل المركز بمعهد القانون المقارن فى اليابان ووافق المسؤولون مبدئيا على اقامة اسبوع للفقه

الاسلامى يدعى له كبار الاساتذة من العالم الاسلامى للتعريف بالشريعة الاسلامية وتعهدت رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة وجامعات المملكة العربية السعودية بتعضيد المشروع ·

20 — يقوم المركز بسفرات جماعية للمسلمين يشترك فيها اليابانيون وغير اليابانيين · وتمثلا بمثل هذه السفرات يوم 25 / 4 / 1976 حيث الى منطقة « هاكونى » التى تبعد ساعتين عن طوكيو · وعمل المركز برنامج دينى مشوق وترفيهى برىء · واتاحت مثل هذه السفرات الغرض التعارف بين المسلمين ولهذا اثر تربوى توجيهى ·

21 — اتصل المركز بالسفارات العربية الاسلامية فى طوكيو لكى يقوموا بدور فعال فى النشاط الاسلامى ويقيموا بناء مركز اسلامى على غرار مركز واشنطون ولندن وغيرها · وبعد انعقاد العديد من الاجتماعات السارات الاسلامية وكان المركز الاسلامى يقوم بالسكرتارية حصلت الموافقة المبدئية وكتب للحكومات المختلفة حول الفكرة ·

22 — تصلنا استفسارات وطلبات للكتب من المناطق المجاورة مثل كوريا والفلبين وتصلنا طلبات حتى من مناطق من افريقيا واوربا · والمركز يلبى هذه الطلبات بارسال الكتب المتوفرة هذا وان مسلمى كوريا ينتفعون كثيرا بالكتب التى ننشرها لانه اسهل لهم أن يترجموا عن اليابانية لتشابه الخط بينهما ويوفر عليم عناء صياغة الاصطلاحات ·

23 — اصبح المركز هيئة معروفة فى اليابان يقصده التاجر المسافر للبلاد العربية والطلبة والعلماء المهتمون بالاسلام وحتى الاذاعة اليابانية ارادت أن تذهب لجنوب شرقى آسيا لتصور حياة المسلمين هناك فاستعانت بالمركز الاسلامى وتدمها لرجال الفكر الاسلامى فى بكاستان والملايو واندونيسيا · وان وزارة الخارجية اليابانية بدأت تدرك اهمية المركز فى توطيد العلاقات بين البلاد الاسلامية واليابان وذلك من كثرة الوثائق والشهادات الخاصة بالطلبة المبعوثين للبلاد العربية والتى نرسلها للتصديق ·

24 — يقوم المركز بمواجهة الدعاية المعادية للاسلام وتتبع ما تكتبه الصحف اليابانية والرد عليه ·

25 — يزود المركز الصحافة اليابانية بمقالات عن الاسلام ·

26 — يهىء المركز اللحم الحلال للمسلمين ·

27 — يرعى المركز الاحتفالات بالمناسبات الاسلامية ويجمع المسلمين للتدارس والتعارف ·

28 — يقوم المركز بدور فى دروس الاحد التى تعقد فى مسجد طوكيو لاستقبال اليابانيين الذين يريدون التعرف على الاسلام ·

29 — يساعد المركز كبار السن من المسلمين والمرضى ماديا ومعنويا ·

30 — يصدر المركز تقويما بأوقات الصلاة ويوزعه على المسلمين ·

31 — يزود المركز الناس بشهادات اسلام وشهادات زواج ·

هذا ملخص عمل سنة ونصف من عمر المركز انطلقنا فيه بعون الله من غرفتين صغيرتين ومن مساعدات بسيطة وكريمة من الكويت وقطر — حكومة وشعبا — ومن بعض الامراء السعوديين الكرام من جيبهم الخاص هذا فى السنة الاولى وفى السنة الثانية بتبرع مشكور من رابطة العالم الاسلامى والندوة العالمية للشباب المسلم ·

ان طبيعة المركز هى انه هيئة دعم ودعوة يوزع الكتب مجانا ويرسل الدعاة فى البلاد لزرع بذرة فى كل مكان والذى يأتينا للاسلام اما ننصحه بالارتباط بأحد الجمعيات الاسلامية اليابانية القائمة او ان اراد هو أن يشكل جمعية له فى حالة وجود عدد مناسب · والذى يزور المركز زيارة قصيرة لا يرى بناء فخما ولا اعداد هائلة من الناس بل غرفتين صغيرتين تتخذ لاعمال الترجمة والنشر وتستعمل كمكتب رسمى للاتصال والا فان اغلب النشاطات تؤدى خارج مقر المركز ·

ونأمل فى المستقبل ان شاء الله ان يكون للمركز مقرا اكبر ونشاطا اوسع · وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ·

احتضار الرأسمالية

للأستاذ فاروق حمادة

* الراسمالية هى شجرة الزقوم التى ابتلى بها الاحياء فى القرون الاربعة الاخيرة ، اصلهـــا فى سواء الجحيم ، وطلعها كانه رؤوس الشيـــاطين ، وقـــد وصلت الى الذروة فى استعباد الاحياء خلال القرنين ، التاسع عشر والعشرين ، فلم ينج من بلائها مخلوق ، حتى حيتان الماء ووحوش الغاب ، وطيور السماء . وبعد هذه الحياة المديدة المليئة بالمآسى آذنت بلفـــظ أنفاسها الاخيرة ، بعد أن تركت المخلوقات غير آسفة عليهـــا .

ولكن هل ستعيد لنا الراسمالية قصـــة جدهـــا العظيم !! شمشون الجبار فتهدم بيت الانسانية علـــى اهله وتدعه يبابا سرابا ؟ ! أم تدبر مندثرة تاركة الناس وشانهم ليسلكوا جادة اخرى ؟ !

انه اختيار لا مفر منه ، وهى تـــودع ايامهـــا الزاهرة الخوالى ، وذكرياتها الحلوة الجميلة التـــى كان يحكم فيها عشرون مليونا مئات الملايين فى سخرة دائبة كسخرة الجن تحت سلطة سليمان عليه السلام، ولا تستطيع هذه الملايين المئين ان تحرك ساكنا .

وانها اليوم وهى تشهد هذه اللحظات العصيبة القاسية هل بامكانها ان تستعيد قوتها وشبابها ؟ نقول بكل تاكيد ، لا ، ولماذا ؟!

تقـــويض داخلـــى :

ان الراسمالية من أول يوم انطلقت فيه لم تكن تهدف راحة الانسان والنهوض بشانه ، بـــل علـــى العكس من ذلك كان هذا الانسان اول ضحيـــة مـــن ضحاياها ، ولم يكن الاخير ، انها جردته من البقية الباقية من كرامته وانسانيته ، وهبطت به الى مستوى الحيوان الذى يسام الخسف فلا ينطق ولا يتكلم .

والبلاء الاول الذى صبته عليه تجريده نهائيا من عالم الروح الذى يستريح على أعتابه كلما تعب ، ويحلق فى رحابه كلما سئم . ونزعت صمام الامان من فؤاد الانسان الا وهو العقيدة الدينية ورقابة الضمير.

ولئن كان مع النهضة الاوربية الحديثـــة بعض الحق فى موقفها من النصرانية الشاحبة ــ كما وصلت اليهم ــ الا انه ليس كل الحق معها ، ووقع بينهما « الفصام النكد » كما يسميه الاستاذ الشهيد سيـــد

قطب رحمه الله تعالى ، وحلت الجفوة الدائمة التى لا مكان للقاء معها فى هذه الحضارة ، وشقت طريقها بدون قيود ولا حدود ، وسرت روح الالحاد فى جميع مسام الحضارة الراسمالية ، وعوضوا الانسان بالعقيدة امانى ومفاهيم مثل الوطنية ، والقومية ، والسعادة والرفاهية ..

وكانى بالمخترع واط (1) الذى اخترع الآلة البخارية ــ دائمة النهضة ــ وفجر طاقتها يضعها بين ايدى الاوروبيين لتقرب المسافات بينهم وبين السعادة ، واذ بها تصبح مطية فى ميدان الجشع وهدر كرامة الانسان ·

وسارت الراسمالية وهى تحمل روح الاثرة والاستئثار ، وزادت هذه النزعة مع الايام حتى انتجت التطاحن والخصام الشديد بين الدول المتجاورة ، وانتشرت هذه العدوى فى ارجاء المعمورة كلها ، وعلى سبيل المثال الامة العربية قبل التأثر بالغرب كانت دولة واحدة ، وبعد تأثرها وانتشار الفكر الغربى فى ربوعها اصبحت عشرين قابلة للزيادة غير قابلة للنقصان رغم انحسار المد الاستعمارى السكرى عنها ·

ومن نتائج هذا الجشع الرهيب ان جعلت القيم المادية فوق كل اعتبار ، لان صمام الامان ووازع الضمير لم يجد له مكانا يطل منه على الحياة والمجتمع ، فانتشرت فى سبيل تحقيق هذه الغاية المادية الفوضى الخلقية بأنواعها ، والانحلال الاجتماعى ، وتفككت الروابط الاسرية ، وتوجت هذه الفوضى بالتفاوت الكبير بين ابناء المجتمع الواحد والامة الواحدة ، مما دعا الراسمالية مرات عددا ان تغير خط سيرها تحت ضغط الجموع التى انتهكت وجعلتها دون مستوى السلع التى تنتجها ·

وفى هذه المفازة الطويلة كان الفكر المادى يقود الراسمالية ويسوغ لها أعمالها وتصرفاتها ، وما هى فيه ، فلا تعجبن اذا رايت عبارة ما كيافيلى (2) «الغاية تبرر الوسيلة» تستمر بعده ستة قرون دستورا وروحا لهذه الحضارة التى جعلت هذا المفهوم من مرتكزاتها الاساسية ·

ثم وصل الفكر المادى قمته فى فلسفة هيجل (3) وآراء دارون (4) اللذين لم يبقيا مكانا للاخلاق الفاضلة والكرامة الانسانية فى المجتمع ، ويهدمان اسس هذه الكرامة ، وحتى هذه الساعة تجد مئات الفلسفات تنزع عن هذه القوس ، وتروم نفس الغرض ·

نعم ان الراسمالية استطاعت أن تقفز قفزات علمية جبارة فحققت ما كان من قبيل الاحلام والامانى ولكنها لم تحققه بهدف الخير للانسان ، ان الدافع والمحرك لهذه الانجازات هو الشره المادى وتحصيل اكبر كمية ممكنة من اللذة ، ثم احاطة هذه المكاسب بسياج من الحماية ، فماذا كان ؟

ان الغربى اليوم هو الذى ينقض ما غزله بيديه بالامس ، وما خلفه له آباؤه واجداده · ارادوا له ان يكون قطعة من الآلة وجزءا من المصنع فولى هاربا مخلفا الآلة والمصنع ، وليس عبثا هروب الالوف الى المغاور والكهوف ، وفرارهم الى مرتفعات الجبال ، واعتزالهم الحياة وعيشهم البدائية الاولى ، وكلنا يشاهد موجة « الهيبين » وما هى الا رد فعل على الفراغ الرهيب الذى يعانيه الشباب ، ومظهر قلق مؤسف اليم فى حياة الناشئة ، بعد ان جمست الراسمالية امامه

---

(1) جيمس واط ، مخترع ومهندس اسكتلندى ــ ولد بمدينة جرينوك (1737) درس الرياضيات ثم اشتغل بصناعة الاجهزة العلمية تحت رعاية جامعة جلاسكو ، ثم انصرف الى ابحاث خاصة بالقوة البخارية ــ واليه تنسب جملة اختراعات مهمة توفى عام (1819) ·

(2) ولد نيكولو مكيافيلى عام (1469) بمدينة فلورنسا وتقلب فى عدد من المناصب السياسية وسجن ثم انصرف الى التأليف فكتب كتابه المشهور (الامير) ضمنه نظريته السياسية وفحواها أن الحاكم له ان يلجأ الى شتى الوسائل للمحافظة على وحدة الدولة وسلطانه ، دون التقيد بالمثل الاخلاقية كالعدالة والانسانية ·

(3) ولد هيجل عام 1770 بمدينة اشتتجارت بالمانيا وتوفى 1830 وقوام فلسفته الاجتماعية ان ما هو حسن اليوم يحمل فى طياته ما هو احسن منه غدا ، ويصبح هذا الحسن اليوم سيئا قديما فى الغد وهكذا ..

(4) دارون ، عالم انجليزى ولد بمدينة سروزبرى 1809 ، واشتهر بنظرية التطور التى أودعها كتابه اصل الانواع ، وايدها بكتاب آخر « أصل الانسان » توفى عام 1882 ·

كبريات مشاكل الحياة التى يستحيل معها الاستقرار والاستمرار ، فالفساد يستشرى ، والاسر متهدمة ، والنظم الاجتماعية التى تعورف عليها تقلع وتزال .

وفى هذا الفراغ تجد الشيوعية فرصة الانتشار كلون جديد من ألوان التفكير ، ولانها تأخذ مظهر عقيدة .

الديمقراطية :

تعتبر الراسمالية نفسها ام الديمقراطية وتتغنى بها وتشدو بالحانها ، وقد شد بريقها ابصار كثير من الشرقيين الذين لم يسبروا غورها ، ولم يمعنوا النظر فى جوانبها ، وكان من اكبر دعاتها المفكر الفرنسى توكفيل (5) حين كتب كتابه «الديمقراطية فى امريكا» ، وها هى الديمقراطية فى أوروبا تتهاوى من صرحها وتظهر على حقيقتها وانها اداة بيد الاغنياء ، وما هى الا قشرة رقيقة تخفى وراءها المآسى والمخازى الكثيرة — فاذا كان رعاة الديمقراطية الاوروبية أول ذابحيها ، وحماة الامة هم اول لصوصها واعدائها وخائنيها فهل يعنى هذا استمرار الديمقراطية الغربية فى موطنها ؟ !

كما أن الديمقراطية هذه زادها ضغثا على ابالة الزعزعة المالية والتضخم الذى هز أركان الاقتصاد الراسمالى ، مما افقد الراسماليين — عداك عن شعوب الراسمالية — ثقتهم بقدرة هذه الانظمة على حماية ممتلكاتهم .

والى السنة الالهية فى هذا الكون تجتاح اليوم هذه القوة العاتية التى نسيت الله فنسيها فبينما هى احلت البنوك والمصانع والمؤسسات التجارية مكان الصدارة وتوجهت اليها بالعبادة والتقديس والتمجيد اذ (انبعث اشقاها) فعاث فسادا فى صنمها المعبود ودينها المقدس ، فالتخريب يلحق المؤسسات والسرقة تسلط على البنوك التى احيطت بكل حراسة ممكنة ، ولا يكاد يمر يوم الا ونسمع فيه حوادث الاغتيال والسطو والنهب فى قلب الحضارة الراسمالية بشكل مذهل محير ، ولا يوجد صقع راسمالى الا وفيه حركة مناهضة معادية تخرب وتدمر ، ويزداد خطرها يوما بعد يوم ، انها تحقيق لقوله تعالى : « والذى خبث لا يخرج الا نكدا » .

ضغط خارجى :

يؤازر التقويض الداخلى الذى ينخر جسم الراسمالية ، ضغط خارجى لم يكن فى حسبان عتاة الراسماليين ، يأتى هذا الضغط من الشعوب التى ذاقت ويلات الجشع الراسمالى المتمثل فى ما اسموه « الاستعمار » حين كانت خيرات هذه البلاد نهبا لاولئك الطامعين ، فلم يدر يوما بخلدهم وهم يبنون مؤسساتهم الصناعية الجبارة أن الامة العربية مثلا !! وقد قسموها شذر مذر تقول لهم : لا نفط ، لا معادن حتى تذوى شرايين الحياة الصناعية .

ولم يكن فى حسبانهم أن الدول الافريقية تقف فى وجه الراسمالية تقول ، لا معادن الا بشروط كذا وكذا .

وقد ولد الاستعمار فى الدول التى كانت تخضع لسلطانه دولا هزيلة ضعيفة تابعة له على الغالب ، ولكن قسوته وفظاظته جعلتها ترتمى فى احضان الشيوعية التى لا تعطى الخبز ، بل تعطى السلاح والرصاص ، ومع ذلك فقد ضحت هذه الدول بالكثير وامتشقت حسام القوة احيانا لتواجه المستعمر ، واستطاعت على عرجها وضعفها ان تتجمع الى حد ما فى وجهه ، وان اعظم تجمع هدد الراسمالية هو تجمع البلاد الاسلامية (6) ، ثم تجمع البلاد الافريقية فى كتلة واحدة تسير فى اتجاه واحد ، ولذلك حاولت الراسمالية والشيوعية كلاهما اجهاض هذه الوحدة القوية ، واستخدمتا لذلك كافة الوسائل ،

---

(5) الكسيس دي توكفيل ولد فى فرنسا عام 1805 من اصل استقراطى ، وتوفى عام 1859 وكتابه هذا يقع فى أربعة اجزاء نشر الجزاين الاولين عام 1835 ، ونشر الاخرين 840م .

(6) عقد مؤتمر القمة الاسلامى الاول فى الرباط ما بين 22 و 25 سبتمبر 1969 ، حضره ست وعشرون دولة اسلامية .

وعقد المؤتمر الافريقى للقمة فى الرباط كذلك عام 1972 حضره نحو اربعين دولة افريقية .

ومؤتمر القمة الافريقــى الاخير فى جــزيرة موريشس دليل على ذلك (7) .

لقد كانت عصا الاستعمار جرسا قــويا ايقظ النائمين ، واختلاف الدول الراسمالية على اقتســام الخيرات حافزا على محافظة اهلها عليها ، والسعى للحصول على حقهم منها ، وهى سائرة فى هذا الطريق ، ولما تصــل بعــد .

السهم الاخير :

لم يعد بيد الراسمالية ما تقدمه لشعوب الارض الا انها تملك شيئا مهما ليس عند غيرها الا وهــو الخبرة التكنولوجية التى تأخذ مقابلها ما تريد وتبيعها بالثمن الذى تطلب ، وقد جعلت بعض انواع هــذه الخبرة سرا من الاسرار ، وحظرت تسربه الى دول العالم الثالث !! باى طريق كان محافظة منها علــى هذا السهم الاخير الذى يتقاضى بموجبه الرجل الابيض ضريبة القفزة العلمية التى اسداها للبشرية !! ومع هذا فالراسمالية بحاجة لاكثر من شىء ، وان خبرتها التكنولوجية بدون موادها الاساسية — وهى لا تملكها — اشبه بمن يملك المقود ولا يملك الحصان ، وهى بهذا السهم تهدد الجبناء ، وتسير الاغبياء .

وان دول العالم الثالث لو صدقت العزم ووحدت الخطة والتزمت بها بجد لركع الغــرب الراسمــالى صاغرا وما شتاء عام 1973 القاسى على الراسمالية ببعيــد !! وانما مواجهة حياة او موت بين الراسمالية والدول التى تسميها متخلفة ، ولهذا نشاهد الرحلات الكيسنجرية تحمل الترغيب بالمساعدة والتلويح بالخبز بيد ، وتحمل باليد الاخرى الترهيب والتهديد بالقــوة وقد ظهرت هذه المواجهة سافرة فى مؤتمر نيروبى بين التكنولوجيا من جهة ، والمواد الاولية مــن جهــة اخرى (8) ، وفى عدد من المؤتمرات .

الحوار العربى الاوربى ، ومراوغة الثعالب :

وامتدادا لهذه المواجهة نشأ بعد حرب رمضان 1393 — 1973 ما يسمى بالحوار العربى الاوربى ، واضطر الغرب تحت ضغط بعض الدول العربية ، ولكنه استخدم اسلوب الثعالب فى المماطلة والتطويل محافظة منه على تدفق المواد الاولية بثمن بخس ، ودون ان تتقدم للعالم العربى — طليعة دول العــالم الثالث — ما يحتاجه من التكنولوجيا خشية مناهضته لها ، ونأمل ان يقف العرب وقفة حازمــة لتنفيــذ مطالبهم والحصول على ما ينقصهم فى ميــدان العلم الصناعى ، ولعلهم يستفيدون من تجاربهم المــاضية والحاضرة مع الاخطبوط الراسمالى الرهيب فدولاب الصراع يدور بسرعة لا ترحم (9) .

السلام تحت مظلــة الحــراب :

وان اخفاق الراسمالية وتوالى هزائمها فــى السنوات العشر الاخيرة دعاها تبحث عن سلام ، ولكنه سلام هى توجهه وتحرسه بمظلة حرابها التى نصبت نفسها وصية على العالم ، فهى تارة تدعو لسيــاسة الوفاق الدولى مع المعسكــر الاشتــراكى ، وتارة تستدرج الدول النامية ، ولكننا على يقين ان الرجل الابيض كما يسميه المفكر برتراندرسل لن تعود ايامه صافية له كما كانت ، وهى بهذا السلام تريد وقف عجلة الانهيار الى حين وابقاء العالم الثالث يعيش على صدقاتهم وفتاتهم ، ولهذا تعمل جاهدة على اشعال نيران الحروب بين هذه الدول ، وتعمل من جهة اخرى على اقامة توازن دولى مع الشيوعية ، واقتســام منــاطــق النفــوذ .

الطــريــق المسدودة :

انهــا — اى الراسمالية — وقفت فى الطريق المسدودة وحققت قول الله تعالى فيها : « واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » فهى فى حالة الاحتضار والاندثار « ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد » .

---

(7) عقد مؤتمر القمة فى مطلع يوليو ، فى جزيرة موريشس ، وكان مؤتمر وزراء الخارجية الممهد قد عقد فى نفس المكان فى اواخر شهر يونيه 1976 .

(8) عقد مؤتمر نيروبى فى مطلع شهر مايو / 1976 ، وحضره ممثلو اكثر من مائة وخمسين دولــة

(9) ان القنبلة التى يهدد الغرب بلاد العروبة بها وتتحداهم اسرائيل بامتلاكها هم اقــدر النــاس على امتلاكها لو ارادوا ، يقول البروفسور م ، ى ، اولى فنت من جامعة برمنجهام وعضو الهيئة الصناعية فى اعداد القنبلة الذرية : ان المبادىء التى قامت عليها صناعة القنبلة الذرية مكشوفة لكل دولة وان بريطانيا وامريكا استفادتا من تجارب السابقين وبلغتا الى نهاية صناعة القنبلة الذرية فى مدة خمس سنوات ، واذا افرغت جهودها ووجهت قواهــا الى صناعتها فيمكنها ان تبلغ الى نهايتها فى سنتين . ولا تستطيع اى دولة ان تحافظ على سر القنبلــة الــذريــة .

شمس الملوك

للشاعر الاستاذ
وجيه فهمي صلاح

حيي الشباب وعيده الريانـا — وانشد لدى أمجاده الالحانـا
واذكر إماماً بالعزيمة والهدى — نشر السلام و وطد الاركانـا
شمس الملوك شجاعة ومروءة — ونباهة وفصاحة وبيانـا
دانت لرأيك نيّرات عقولهم — ومضت بهديك توقظ الوجدانا
سارت مواكبكم إلى صحرائنا — تطوي الرمال وتلثم الكثبانا
وشعارها الله أكبر صرخة — دوت فهزت شعبنا اليقظانا
ومضى بحرر والكتاب سلاحه — وجموعه تستلهم القرآنا
حتى تألقت الرمال بأهلها — وتضوعت جنباتها ريحانا
إن للمسيرة ومضة حسنية — لمعت تسربل بالسنا الازمانا
تضفي على الرمل الجديب نضاره — ليطل في ألق الضحى بستانا
تترنح الأغصان في نسماته — نشوى تعانق طائراً نشوانا
تتفيأ الواحات بين سدودنا — وعلى ربيع دائم مُغْدانا
ونطالع الخيرات ملء ديارنا — فاضت بجهد مليكنا ألوانا
شمخت معاهدنا ونال شبابنا — في جوها الحسني حلو منانا
فالعلم أورق والثقافة أزهرت — والجيل يقطف منهما عرفانا
والدار بالتاج المنير منيعة — رفعت على قمم الوفا تيجانا

الحب كل الحب بين ضلوعنا ... ومتى دعوت جموعنا تلقانا

نمشي إلى ساح الفدا ونهزه ... نحن الاباة ولن يباح حمانا

قل للحسود وقد طغت نزواته ... بطل السدود سيطفيء النيرانا

إنا على مر الزمان أشاوش ... نرعى الصديق ونفتدي الجيرانا

لما رأى التاريخ وثبة شعبنا ... عمي الحسود فساه كيف يرانا

يغشى الوغى مستمراً بضبابة ... فيرد مجروح الطموح جبانا

تتناثر الأحقاد في بسماته ... ويلوح محموم الرؤي حيرانا

خليه للحسد البغيض يذيقه ... من رافديه مرارة وهوانا

يا أيها البطل المدثر بالسنا ... يا ثاني الحسنين فيك رجانا

هذا شبابك بالمنى متدفق ... يهدي إلى سبل العلا مسعانا

بالأمس في الجولان كنت حكيمنا ... وعلى زي سيناء كنت هدانا

أصلحت ذات البين فارتعد العدا ... وتفجرت لما قاتنا بركانا

فاحرس رعاك الله قدس جهادنا ... واعد لامة يعرب رمضانا

تتوحد الأراء في بركاته ... ونصون في غفرانه لبنانا

عيسى وطه باركا خطواته ... فاستعذب الانجيل والفرقانا

بلد التحرر والتسامح والندى ... لا كان إن حرم الفداء مكانا

عالجه بالفكر الذي عودتنا ... ليظل في أفق الصفا عنوانا

ويظل ركب الفتح فيه معززا ... ونعيش في افيائه اخوانا

ما الفتح إلا من رياضك غرسة ... راعينها فتسمكت أفنانا

وبدت على افق الصمود عزيزة ... تشفي الغليل وتقهر العدوانا

قد أوشكت تجني ثمار جهادها ... فليطلقوها تعتق البتانا

وترد أولى القبلتين طليقة ... فنعزز المحراب والايمانا

يارب بارك خطو عاهلنا الذي ... حث الكمال وصارع النقصانا

وحمى تآلفنا ووحد صفنا ... لنصعد البنيان والعمرانا

في ذكرى ثورة الملك والشعب

للشاعر
محمد بن محمد العلمي

لقد نبع الشعـر من مُهجـتي .   فكان المُعبّر عن يقظـــتي
ولا خيـر في الشعر إن لم يكن   سجلا لما جــد في أمّـــتي
يُطـاوعُني في الحبيب المُطاع   ويعذب في الــوزن والنغمــة
هُـو (الحسن) الرائد المُرتضى   عظيـم المشـاريع في الخُطـة
وفي بحـره قد غمست ولائي   وغصت ، فأهديت جوهـرتي !
به المغـرب الحر قد صار ورشاً   يحُـث خُطـاه إلى العـزة
يُكافح في عمـل مُستمـر   ويبني الصـروح مع الدولـة
تصاميمُنـا ثورة ونمـو   عميـم ، نـراه بعفويّـة
أقاليمُنـا ، وقرانـا انبعاث،   فما أحسن الجد من فكـرة !
نُريد مُراجعـة لمفـا   هيمنا في التعمّق والنظـرة
فللأسبقيّـات أعلى مقام   نراعيه في المصـر والقريــة
ولا فـرق بيـن نواحي البلاد   فمغربُنا كامـل الوحـدة:
هو الوطن الاخضر المُسترد   بصحرائـه نفحـة الجنّـة
يُباشر أسمى جهاد شريـف   لتحقيـق أعظـم تنميـة !
هُنا أمّة دبّـرت أمـرها   على نهـج خيـر اشتراكيّـة!
فطاقتُنـا غيرة وبنـاء   لصرح اكتفـاء ومغربـة .

عبرنا الحدود ، ودسنا القلاع ، وعُدنا الى الاصل في النخوة
وفي عز وحدتنا قد تسامت بنود تفاخر بالحمرة
وقد دعّم الحق موقفنا، وعادت لنا قوة الثّقة
ومن يك إيمانُه صادقاً ، تناءى عن الذل والحيرة
وعُمدتُنا في القوي العزيز ، ففيه لنا أمتن العُدة
وأصبح في الامر سر رهيب بكل المناحي السياسيّة :
تغيّرت المُعطيات الكبار، على مُستوى الامم الحرة
قناعتُنا لا توافقُنا، فآفاقُنا رحبة الهمّة
نُريد اقتصاداً سريع النّماء يقُوم على الصدق والحُنكة
نريد مسيراً بركب الشعوب على منهج العلم والخبرة
نُريد من الوعي أعمقه لندرك ما موطن العلّة ؟!
نُريد نتاجاً لكل السّدود يُلائم ماجد من طاقة
نُريد التّزايُد في العائدات بفضل تضامُننا الاثبت
نُريد التنافس في الصالحات وطهر الطوية والنيّة
نُريد في النّفع دوماً لدرء الخصاصة والحاجة
نُريد تكافُؤنا، واجتيازاً لما نحن فيه من الطفرة
نُريد دماً في العروق جديداً يُحمّسُنا عن طواعية
فنحن المغاربة الاوفياء نتُوق الى المجد بالفطرة
ونحن كأطلسنا في السّمو حللنا مدى الدهر في القمّة
نُريد مُساهمة في البناء بجد ، وحزم ، وتوعية
نريد اجتناب العثار لكي تدوم السّلامة في الخطوة
نُريد استجابة صوت المليك فقد أفلح العرش في الدعوة
فمسؤوليّات البلاد جسام تُنادي الجميع بلا ميزة
فلا هامشيّة في سعينا ، فكل يُكافح في الاسرة
نخُوض الجهادين دون فُتور، لنظفر بالفوز والنّعمة
تكافُؤنا وتكامُلُنا، ضمان المناعة والقوة !

على قبر الملك الصالح محمد الخامس قدس الله روحه

ملأت الدنيا سلاما ووحدت الإسلام

للشاعر الأستاذ محمد عبد الكبير البكري

ضريح العاهل الاسمى مقامـــا تقبل من رعاياه السلامـــا
ضريح .المجد يا بلدا أمينـــا ويا قدسا ويا بيتا حرامـــا
وقفنا خاشعين بك احتفـــاء واعظاما لعزك واحترامـــا
ضريح المجد جادك كل غيث من الرحمات ينسجم انسجاما
محمد سيدي ما غبت حاشـــا فانك بيننا مالك دوامـــا
أضأت بوجهك الدنيا علينـــا فلا ظلما تخاف ولا ظلامـــا
وقد اعلنتها حربا ضروســا على الطغيان تلتهم التهامـــا
فكنت محرر الاوطان حقـــا ومالىء هذه الدنيا سلامـــا
وايقظت العوالم من سبـــات وكانوا في مراقدهم نيامـــا
فقيد العرب قد أبقيت شعبـــا حزينا من فراقك مستهاما
فقد عظم المصاب وجل حتى كان الكون قد أمسى حطامـــا
فلا أرضا هناك ولا سمـــاء تقل ولا تظال ذا الانســـاما
تكاد الارض تنشق انشقاقـــا وتصطدم الجبال له اصطداما
وتنفطر السماء له انفطـــارا ويضطرم الوجود له اضطراما
نعم ذاك ابن يوسف قد شغفنـــا وهمنا في محبته هيامـــا
فجاد الدمع ينهمل انهمـــالا وشد الوجد يشملنا غرامـــا
كان الارض تطبقها سماهـــا فتملأها بحسرتها ركـــاما
مليك في جلالته وحيـــد وشهم في فضائله تسامى

1) قيلت في ذكرى الملك المقدس محمد الخامس قدس الله روحه سنة 1968 ولم تنشر .

دهانا فقده خطبا وكنا   به من قبل نعتصم اعتصاما
وأبكتنا المنية فيه حزنا   ومرت وهي تبتسم ابتساما
تعشقه المنون وتبتغيه   كذاك الموت يختار الكراما
أقول وقد نعوه لقد نعيتم   من العظماء اعظمهم مقاما
وابعدهم اذا ابتدروا مراما   واقواهم اذا شدوا حزاما
نعيتم ذلك البطل المفدى   وذاك الصارم الذكر الحساما
مضى يحدو الفخار به وتحدو   به العلياء يبتدر الاماما
محمد سيدي ما غبت حاشا   فانك لم تزل فينا اماما
كفانا ان تركت لنا مليكا   عظيما جل قدرا أن يسامى
بك ابتدأت عهود النصر تبدو   فأكملها وكان لها تماما
تركت لنا ابنك الحسن المثنى   فقام بما تركت له قياما
مليك طاول العلياء يسمو   فحل الافق منها والسناما
فكم اسس فضائل شامخات   وكم أحيى ندا وحمى ذماما
فقد غمرت مواهبه وفاضت   أياديه على الدنيا غماما
وأضفى دفقه عطفا علينا   واولانا اعتناء واهتماما
وسار الى الرقي بنا حثيثا   الى الامجاد يقتحم اقتحاما
فعالينا به العلياء مجدا   وجاوزنا به الجوزاء هاما
رأى الاسلام منذ ثرا ضعيفا   فاحياه وكان له قواما
وقال الا انهجوا نهجا سويا   وبالقرآن فالتزموا التزاما
ونادى معشر العلما فلبوا   لنشر الدين والتئموا التئاما
ووحد امة الاسلام صفا   وجيشا لم يكن يخشى انهزاما
دعا للوحدة الكبرى فلبت   شعوب الارض دعوته انضماما
قد امتلأت شعوب الارض ظلما   وعاد المعتدي فيها انتقاما
فدوت صيحة الحسن المثنى   مجلجلة لتملاها سلاما
فأسمعها نداء هاشميا   وقد قامت له الدنيا قياما
فيالك من سمو واعتلاء   وامجاد قد ارتفعت مقاما
منا شر لم تزل تسمو وتنمو   على الايام تنتظم انتظاما
ايا حسن العروبة دم وحقق   لها النصر المخلد والمراما
وانقذها من الضيم انتصارا   وحاشا شعب يعرب أن يضاما
ادام الله ملكك في اعتلاء   بجاه جدودك الغر القدامى
ودام ولي عهدك وهو يسمو   رفيع العز محفوظا دواما

مكتبة دعوة الحق

نعت البدايات وتوصيف النهايات

تأليف الشيخ ماء العينين

مؤلف كتاب "نعت البدايات وتوصيف النهايات" الشيخ الجليل ماء العينين أحد كبار علماء ودعاة الصحراء المغربية، وأوسعهم ذكرا، واشملهم تأثيرا: في الحياة الفكرية والثقافية والاجتماعية في المغرب ابان اواخر القرن التاسع عشر.

والشيخ ماء العينين، ينحدر من نسب الفاتح الاكبر المولى ادريس الاول رضي الله عنه، وقد كان إلى جانب مكانته العلمية الرفيعة مجاهداً في سبيل الله، بقلمه وسيفه وذائداً عن حرمة الثقافة العربية الاسلامية، وأصالة المغرب، وعراقته الحضارية.

استطاع الشيخ ماء العينين أن يلعب دوراً رائداً في الصحراء المغربية، على نحو خلف وراءه مدرسة فكرية متميزة، لاتزال إلى يومنا هذا تحمل مشعل العلم والثقافة، ولواء الجهاد والعمل في شتى الميادين وراء أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني. ويبدو لنا الشيخ ماء العينين في كتابه «نعت البدايات وتوصيف النهايات» عالماً جليلا ومربياً بليغ التأثير في تلاميذته واتباعه ومريديه قوي الارتباط بالسنة، عاضاً عليها بالنواجذ، سائرا على هدى السلف الصالح، مقتفياً لا ثرهم، ناسجاً على منوالهم، يلتزم بمذهب شيوخه، الذين أعلوا للعلم مناراً، ورفعوا للثقافة العربية الاسلامية صرحاً، وشيدوا للفقه ركنا ركيناً.

وكتاب «نعت البدايات وتوصيف النهايات» يأتي في مقدمة الكتب التي عنيت بالتصوف الاسلامي، وعرضت لمذهب أهل التصوف، وخاضت في اسراره ودقائقه، وتناولت جوانبه بالشرح والتحليل والتفسير.

يقول المؤلف الفاضل رضي الله عنه في فاتحة الكتاب «إنه لما كانت وجوه التقرب إلى الله كثيرة، ومن أفضلها العلوم المعمول بها المنيرة، التي تهدي إلى الاداب الجمة الغزيرة، وكان علم التصوف من أفضلها وأجمها وأجلها

لانه علم به صلاح القلوب ، وبه تهذيبها من العيوب ، وبه انكشاف الحجب عنها لمشاهدة الغيوب ، ولـه كغيره شروط لابد لطالبه منها ، ولا يستغنى في بدايتـه ونهايتها عنها ، وقد وضع القوم فيه كتباً جديدة ، وافية بشروطه ، حسنة جزيلة ، لكن قصر عنها وعن شروطها أهل هذا الزمن ، وتعذر عليهم اتباع معرفتها لكون تحريك علو هممهم سكن ، وذلك وقع فيهم لاجل مؤالفتهم للمألوفات الداعية للوهن وعدم مجاهدتهم لانفسهم لينقل عنهم مافيهم منها عدن ،ومع ذلك كثر فيهم للبدايات والنهايات المدعون الذين يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم ، والله أعلم بما يكتمون ، ولذلك قيل بلسان الحال والمقال ، إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، دعت الحاجة إلى وضع تصنيف فيه يبين وصف المريد وشيخه مربيه ، ومايجب على كل منهما فيما يليه ، وسميته «نعت البدايات وتوصيف النهايات » . . .

والمؤلف الفاضل يقدم لنا في هذه التوطئة صورة لما كانت عليه الحال في منتصف القرن التاسع عشر ، وهي الفترة التي تصاعد فيها المد الاستعماري في البلاد العربية والإسلامية ، وظهرت مطامعه جلية واضحة الامر الذي حذا بالمؤلف إلى خوض معركة فكرية على جانب كبير من الخطورة ، نظراً لتدهور المستوى الثقافي في الامة ، مما فتح المجال أمام الترهات ، والخزعبلات ، وسفاسف الامور ، وضروب شتى من الخرافات ، التي لاأصل لها من كتاب وسنة صحيح . وكان مما يتفق وطبائع الاشياء أن يبرز شيخ جليل ، وعالم كبير ، وفقيه متضلع ، ليأخذ بأيدي المسلمين إلى سبل الخير والمعرفة الحقيقية ، ويجلي لهم أمور دينهم ، ويكشف لهم عن جوهره الاصيل ، ومعدنه الثمين . فكان أن إتجهت همة الشيخ ماء العينين إلى وضع كتاب في علوم التصوف ، وآدابه ، وشروطه يضيف به مكرمة جديدة إلى مكارمه العلمية في خدمـة المجتمـع .

وقبل أن نمضي في استعراض محتويات الكتـاب ، واستقراء فصوله ، نشير إلى أنه طبع بالقاهرة بالمطبعة الجمالية في سنة ألف وثلاثمائة وأربع وعشرين بمبادرة من تلميذ المؤلف ومريده الشيخ أبي العباس سيدي أحمد أحمد بن الشمسي . وهو يتضمن بهامشه كتاباً ثانياً للمؤلف بعنوان «فاتق الرتق على راتق الفتق» إضافة إلى أجوبـة وديوان نجله وخليفته الشيخ أبي العباس سيدي أحمـد الهيبة . وقد جعل المؤلف كتابه كتابين ، في كل كتاب أربعة أبواب ، وفق ترتيب دقيق . .

أما الكتاب الاول فهو نعت البدايات وما يصلح لاهلها إلى النهايات ،«ويتضمن بابه الاول : آداب المريد مع شيخه ، وبابه الثاني : آداب المريد مع عباده ربه . بينما يتضمن الباب الثالث والرابع : آداب المريد مع إخوانـه والاقوال والافعال التي ينتفع بها .

والكتاب الثاني وجعله المؤلف في «توصيف النهايات» وبه أربعة أبواب وكذلك .

وقد سلك المؤلف الشيخ ماء العينين منهج علمائنا من السلف الصالح في التأليف بحيث يعمد إلى الاستطـراد ، ويجنح إلى الاطناب ، ويميل إلى الشرح المفصل ، ويكثر من إيراد الامثلة والشواهد . وهو في منهجه التأليفي هذا ، لا يكاد يختلف في شيء عن مؤلفي عصره ، الذين غلب عليهم طابع الموسوعية . بحيث تجد نفسك وانت تقرأ كتبهم ومصنفاتهم أمام ركام هائل من المعلومات ، والحقائق، والاحكام، والإستنتاجات، والإستشهادات ، وصنوف متعددة من العلم ، وضروب متنوعة مـن المعرفة ، وأنماط متباينة من التفكير ، والتحليل، والشرح والتعليل . ولا تملك نفسك أمام هذا الفيض الغامر ، الا ان تُحني الهامة إجلالا وتقديراً لسعة علم المؤلف، و غزارة معرفته ، وقوة عارضته ، وحدة ذكائه ، ونفاذ

بصيرته ، ورجاحة عقله ، وعلو كعبه في العلم والفقـه والتصـوف .

وهذه الحقيقة تتجلى لنا بين صفحات الكتاب ، حينما نجد المؤلف الفاضل يبسط لنا القول بسطا في التصوف ، ويفسر لنا مبهماته و دقائقه في لغة جزلة لا تعقيد فيهـا ولا اشكال ولا غموض ولاابهام

* * *

يقول الشيخ ماء العينين رضي الله عنه ، تحت باب « في آداب المريد مع شيخه ، وما يصلح له معه الى تمام رسخه » :

« اعلموا اخواني ونفنى الله واياكم لطاعته ، واعانني واياكم على ما به اتم مرضاتـه ، ان هـذه الامة ، اتفقت خلفا عن سلف ، أن اول ما يجب على المرء ، بعد انتباهه من الغفلة ، ان يعمـد الى شيـخ ناصح مرشد ، عالم بعيـوب النفس واغراضهـا ودواعيها وادوية امراضها ، فارغ من تهذيب نفسه ، واغراضها ، يبصره بعيوب نفسه ويخرجه من دائرة حسه ، لان من لم يكن له شيخ يقوده الى طريق الهدى قاده الشيطان الى طريق الردى » .

ثم يمضي المؤلف الفاضل قائلا : « ولتعلم ان المريد مشتق من الارادة ، وهي لوعة في القلب ، يطلقونها ويريدون بها ارادة المتمنى وهي منه ، وارادة الطبع ومتعلقها الحظ النفساني ، وارادة الحق ومتعلقهـا الاخـلاص » .

ومن خلال هذا الشرح المقتضب ، لمعنى الارادة، ومشتقاتها ، يبدو لنا الشيخ ماء العينين عالما لا يشق له غبار ، في ميدان التصوف الذى تقصر فيه همـة العلمـاء .

ويمضي مؤلف الكتاب ، على هذا النمط مـن التاليف ، الذى وان كان يتسم بطابع التكرار والاطناب، والحشو احيانا ، فانه يمثل صورة ما كان عليه الوضع الفكرى ، والثقافي في عصر المؤلف ، الا اننا نجد انفسنا مضطرين اضطرارا الى الاعتراف للشيخ ما العينين بتضلعه الواسع ، وتبحره الممتد ، في ميدان التصوف . كيف لا وهو رائد مدرسة التصـوف المغربـي ، في صحرائنا المغربية ، وقائد حركة فكرية قادت اجيالا ، ظلـت دائمـا وفية لتـراث المغـرب وحضـارتـه وتقاليـده .

وبطبيعة الحال ، لا يمكن لنا أن نأتـي علـى استعراض فصول الكتاب ، وابوابه برمتها ، لان ذلك يشق علينا ، ولا نملك له مقـدرة ، نظـرا لتشعب موضوعات الكتاب ، وتداخلها وتفرعها ، الى ابواب وفصول متنوعة ، لا تخلو من المعرفة والمتعة الروحية، ولنا جولة قادمة ، مع المؤلف الشيخ الجليـل مـاء العينين بن الشيخ محمـد فاضل بن مامين في بعض كتبه ان شاء الله .

وزبدة القول ان كتاب نعت البدايات وتوصيف النهايات يحتل زاوية مرموقة في المكتبة المغربية وخاصة في ميدان التصوف الاسلامي المغربي .

● من ثمرات الفكر :

التاريخ الإسلامي

وأثره في الفكر التاريخي الأوربي

تأليف : الدكتور جمال الدين الشيال

عرض وتقديم الأستاذ المهدي البرجالي

تؤثر بصدد الحديث حول عصر التفوق العربى بالاندلس ، اقوال لبعض المفكرين المسيحيين آنئذ ينعون على بعض اخوانهم فى الدين ، ولوعهم بتعلم العربية ، وشغفهم بالفكر والثقافة العربيين ، وما انجز من ذلك من اهمالهم للغة اللاتينية ، وضعف معرفتهم بها ضعفا ، لم يفتأ يتزايد ــ ساعتها ــ باطراد ، حتى قيل انه لم يعد يوجد بين المسيحيين فى تلك الحقبة من يستطيع قراءة الشروح اللاتينية على الانجيل ، الا الخاصة من علماء الدين ، فى حين ، ان الكثير من المسيحيين كانوا على درجة بالغة من الالمام بلغة العرب ، بل ولم يكن قليل ، اولئك البارعين منهم فى قرض الشعر بها واجادته .

وتعكس هذه الملاحظة سعة المستوى الذى بلغته فى خلال الظرف ، حركية التفاعل العربى الاوروبى على صعيد الثقافة والفكر ، وقد كانت الاندلس ــ كما يعلم ــ مجالا ممتازا لارتكاز هذه الفاعلية ، وخصوبة اثرها ، الا ان العدوة الايبيرية لم تكن ــ كما يعلم الامر كذلك ــ الا احد المحاور المهمة فى رقعة ذلك التفاعل الذى شمل فى عمومه منطقة شاسعة من العالم المعروف آنئذ عبر الضفتين الافريقية والاوروبية للبحر المتوسط ، والمناطق المتصلة بهما فى الشرق الادنى وآسيا الصغرى ، ولم يكن الاقبال على العربية من طرف المسيحيين فى اسبانيا ، الا مظهرا واحدا من مظاهر التحويل للذى ساعدت عليه المدنية العربية الاسلامية فى عدة مجتمعات اوروبية ، مؤثرة بمعطياتها الفكرية والعلمية والتنظيمية فى تكييف كثير من الافكار والمفهومات والمقاييس السائدة فى المناخ الفكرى الاوروبى ، ومرهصة فى نطاق ذلك ــ بانفتاح الآفاق التى التمعت خلالها الومضات الاولى للتطور الحضارى الحديث .

وفى الكتاب الذى نعرض له خلال هذا الحديث المامة ببعض الجوانب الشيقة من هذا التفاعل العربى الاوروبى الذى توالت عوامله ومظاهره على امتداد العصر الوسيط ، وخلف بحكم عمق فاعليته انعكاسات واضحة على النموذج الفكرى والثقافى المأثور فى البيئة الحضارية العالمية الحديثة .

وقد عنى المصنف بعرض المظان التى رجع اليها فى اعداد بحثه ، وهى وافرة العدد ما بين عربيـ

وافرنجية ، مع ان حجم البحث لا يشغل — فى حد ذاته — اكثر من مائة صفحة ونيف ، واذا وضعت فى الاعتبار صعوبة المجال الذى خاض فيه الكاتب ، يدرك الداعى لغزارة الحشد الذى استفاد منه فى معالجة موضوع غير ميسور المراجع على غرار البحث الذى يضمنه الكتاب .

ومرد هذه الصعوبة فى البحث بصورة أساسية، ان المؤلف قد حدد اطارا ضيقا لموضوع بحثه ، مقصورا على مادة التاريخ دون غيرها ، مبتغيا بذلك ابراز مظهر تأثر الاروبيين بالثقافة العربية الاسلامية من زاوية هذا الموضوع خاصة ، موضوع التاريخ ، وهذا ما جعل المجال الموفور للباحث محدودا بدرجة بالغة ، وجعل الامكانية المتهيئة له لاستشارة المصادر ضيقة النطاق بقدر ذلك .

ويستفيض المؤلف خلال المقدمة — فى بسط القول حول هذه الصعوبات التى من شأن الباحث ان يصادفها فى تناول موضوع مفتقر للكفاية الى المصادر كهذا الموضوع ، فيورد فى ذلك :

«كتب كثيرون عن اثر الفكر العربى فى نهضة اوروبا فى ميادين الفلسفة والهندسة والرياضيات والطب والفلك والجغرافيا ، ولكن احدا لم يتناول بالبحث والدراسة هذا الاثر فى علم التاريخ ، وكانت هذه هى الصعوبة الاولى .

« .. وصعوبة ثانية ، تتصل بطبيعة علم التاريخ ونشأته ومكانته بين العلوم ، وذلك ان احصاء تلك العلوم فى الشرق والغرب على تلك العصور لم يكن يتضمن التاريخ أو يعترف به كعلم من العلوم ، ونتيجة لهذا ، كانت العناية بالتاريخ والدراسات التاريخية بوجه عام فى أوروبا على عصر النهضة قليلة ، وبالتالى، كان النقل عن المؤرخين العرب والمؤلفات التاريخية العربية فى أوائل عصر النهضة قليلا كذلك .

« وصعوبة ثالثة ، تقابل من يعالج هذا الموضوع، وهى أن العصور الوسطى لم تعرف التخصص وتعترف به ، بل كانت الدراسة فى الغالب الاعم موسوعية .. » (ص 7 و 8) .

ويأخذ المؤلف بعد هذا فى الخطو خطواته الاولى نحو صميم الموضوع ، ولكى يحدد مسلكه فى سيرة هذا ، ترتب عليه — أولا — ان يعين المعابر التى سيستخلص من خلالها استفاداته ، وهى هذه المعابر التى اشار الى انها كانت ممر تيارات الفكر العربى الاسلامى الى اوروبا ، اذ عن طريقها ، اتخذ هذا الفكر طريقه الى الغرب المسيحى والعقل الاوروبى بصورة رئيسية ، وكان من آثار ذلك ، ان تطعم الفكر الاوروبى بلقاحات خصبة ، زودته بالكثير مما ساهم ايجابيا فى تنويره وتعميق مجالات نشاطه ، وانمى لديه الاهتمام بقضايا العلم والثقافة من المنظور العربى الاسلامى .

وينتقل المؤلف — فيما بعد — وقد حصر معابر الثقافة العربية الاسلامية التى اشار اليها فى مناطق ثلاث هى : الاندلس وصقلية والشرق الادنى — ينتقل الى صلب البحث ، فيعقد فصولا متتالية يخصص كلا منها لمنطقة من هذه المناطق ، مركزا القول — كما اشير اليه آنفا — حول مؤثرات التاريخ الاسلامى فى الفكر التاريخى الاوروبى — مرورا بالمنطقة موضوع البحث .

وخلال الفصل الذى أفرده المؤلف لاستقصاء اوجه النشاط الخاص بالبحث التاريخى عند المستعربين من مسيحيى الاسبان ، استلهاما من مؤثرات الثقافة العربية الاسلامية السائدة آنئذ فى شبه الجزيرة ، أورد فى ذلك قوله : . .

« .. بدأت مع حركة الاسترداد المسيحى فى اسبانيا حركة نقل وترجمة كبرى من الفكر العربى الاسلامى اتخذت لها مركزا أول فى طليطلة ، وعنيت — أول عنيت — بترجمة علوم الرياضة والطب والفلسفة .. » (23) .

« .. وهناك شواهد كثيرة ، تشير الى تأثر الدراسات التاريخية الاسبانية بمثيلتها العربية قبل انشاء مدرسة الترجمة بطليطلة ، وهناك امثلة اخرى، تدل على أن هذا التأثر ، استمر متصلا الى القرن السابع عشر ..

« .. بدأت هذه المؤثرات مبكرة ، اى عقب الفتح العربى لاسبانيا بوقت قصير فى القرن الثانى الهجرى ، ففى هذا القرن ، ظهرت بعض المصنفات التاريخية من تأليف نفر من المستعربين الاندلسيين

(المسيحيين الاسبان الذين تشبعوا باللغة والثقافة العربيتين) تتضمن بعض الروايات التاريخية التى سمعوها او نقلوها من المؤرخين العرب .. » (25) ·

وفى استعراض نماذج من هذه المؤلفات الاسبانية فى مادة التاريخ أو « الحوليات » يسوق المؤلف ذكر جملة من الاعمال من هذا القبيل منها :

« ــ الحولية البزنطية العربية لسنة 741 وهى تاريخ علم يتضمن اخبارا عن ملوك القوط فى اسبانيا واباطرة بيزنطة ، كما تتناول اخبار العرب فى المشرق واخبار فتوحهم فى اسبانيا ، وواضح من نصوص هذه الحولية أن كاتبها قد اعتمد على بعض المصادر العربية والبيزنطية ·

« ــ الحولية المستعربة لسنة 754 وهى تاريخ عام يبدأ ببداية الخليقة ويشتمل على تاريخ العرب والروم ، وبين الحوليتين تشابه كبير فى المضمون ، مما يرجح أن المؤلفين اخذا مادتهما من مصادر عربية وبيزنطية ·

« .. الحولية القوطية وقد بداها مؤلفها بتقديم وصف عام لاسبانيا ، اتبعه بتاريخ مختصر للرومان والقوط والفتح العربى لاسبانيا ، وفى هذه الحولية ــ ولاول مرة ــ فى المراجع التاريخية الاسبانية ــ ذكر لقصة ابنة يوليان مع « غيطشة » وهى القصة التى روتها المؤلفات التاريخية العربية الاولى فى الاندلس .. » (25 ــ 28) ·

ويستمر المؤلف فى عرض هذه الاعمال التاريخية الاسبانية المستوحاة ــ فى جانب مهم منها ــ من المصادر التاريخية العربية · فيذكر من ذلك : الحولية السيلوسية وحوليةالطليطلى ، والتاريخ الاول العام لاسبانيا ، والتاريخ العام المنسوب الى الفونس العالم ، (39 ــ 40) ·

ونأتى بعد ، الى الفصل الذى خصصه الباحث للمؤثرات العربية الاسلامية فى انشطة البحث التاريخى بجزيرة صقلية وجنوب ايطاليا ، ويعلم الى اى مدى واسع ، ذهب التأثير الفكرى والثقافى العربى الاسلامى فى المنطقة ، سواء خلال العهود التى شهدت نفوذ المسلمين فيها ، أو بعد أفول نجمهم من هناك حين انتزعها منهم النورمان · والواقع أن الثقافة العربية قد حققت معجزة باهرة فيما بدا من استمرار ذيوعها فى صقلية وما حواليها بعد زوال الحكم العربى من الجزيرة ، بل ، وازدياد اشعاع هذه الثقافة آنئذ حتى انها بقيت لعهد غير يسير ، مشاعة فى الاوساط العليا بالمنطقة ، واداة حية فى الحياة الثقافية فى تلك البيئة · ويذكر المؤلف بهذا الصدد ، بعد اشارته لقصة الشريف الادريسى مع الملك روجار :

« لقد كان معظم هؤلاء الملوك النورمان يتقنون اللغة العربية ، ويقرأون الكتب العلمية المختلفة بهذه اللغة .. » (46) ·

« .. كان المركز الثانى بعد طليطلة لجمع هذه المؤلفات (المؤلفات العربية) ــ هو البلاط النورمانى فى « بالرمو » وهو المعبر الثانى الذى انتقلت عن طريقه الثقافة العربية الاسلامية الى أوروبا ، وفى هذا المركز قامت مدرسة للترجمة عن العربية تشبه مثيلتها فى طليطلة .. (48) ·

لكن ماذا كان نصيب مادة التاريخ من هذه الحركة العلمية التى ازدهرت فى صقلية استمدادا من التراث الفكرى والثقافى العربى ؟ يجيب المؤلف عن هذا التساؤل بقوله :

« الحقيقة اننا لم نجد شواهد مباشرة على جهود بذلت فى البلاط النورماندى لترجمة المؤلفات التاريخية العربية ، ولكننا نستطيع أن نقول ــ استنتاجا ــ والى أن يوفق الباحثون للكشف عن الشواهد المادية التى ننشدها ــ ان علم التاريخ العربى نال فى صقلية وايطاليا ما نالته العلوم العربية من دراسة واهتمام · ويؤيد استنتاجنا ما افترضناه فى مقدمة هذا البحث من أن العلماء العرب كانوا فى جملتهم ــ وتبعا لتقاليد عصرهم ــ موسوعيين ، ولم يركنوا الى التخصص · ومترجمو أرسطو وابن رشد ، ما كانوا يستطيعون فهم النصوص وترجمتها دون الالمام بتاريخ كل من الفيلسوفين وعصرهما ، وما ساد العصرين من حركات فكرية ، والعلماء الاوروبيون الذين تعلموا فى طليطلة ، وشاركوا فى حركة الترجمة بها ، او الايطاليون الذين ترددوا على اسبانيا ، الم يقرأوا شيئا من الكتب التاريخية العربية فى أصولها او ترجماتها ؟ .. » (57 ــ 58) ·

وقد ذهب المؤلف — على هذا المنوال — مذهبا لا يخلو من بعض التكلف — فى تلمس مظاهر نشاط علمى تاريخى ، متأثر بالثقافة العربية فى صقلية وجنوب ايطاليا ، والملحوظ كما نتبين مما ساقه من هذه الافتراضات ومن بعض الاستنتاجات الاخرى التى اوردها بعد ذلك — انه لم يجد من الوثائق شيئا يعتد به فى هذا الصدد ، بيد أن هذا ، لا يعنى خواء الارتكاز المستندة عليه بنية بحثه فى هذه النقطة ، وانما الامر يعكس على الاقل — حدة الصعوبة التى اقر بها الكاتب فى التمهيد المصدر به الكتاب ، وهى صعوبة محسوسة هنا خاصة فى هذا الموطن من البحث ، المتعلق بصقلية، وبطبيعة الحال ، فان التراث العربى بالمنطقة — وان كان قد احتفظ بنصاعته دهرا بعد زوال النفوذ العربى، فانه تعرض فى الاحقاب التالية — لعوامل اندثار قوية يعسر معها استحضار الوثائق الشاهدة عليه بالصورة الكافية ·

ويخلص المؤلف — بعد هذه النظرة له حول اوضاع البحث التاريخى بالاندلس وصقلية ، وهما احد معبرى الثقافة العربية الاسلامية لاوروبا فى ذلك العهد — يخلص الى مجال استقصاء الموضوع من خلال المعبر الثالث ، وهو الشرق الادنى فى أثناء الحروب الصليبية وبعدها ·

ويذكر المؤلف عن التلاقى الاوروبى الاسلامى الذى حدث فى الشرق كنتيجة للحروب الصليبية وما كان له من آثار عميقة على انفتاح الافق خلال ذلك ، لمعرفة جانب الجانب الآخر ، فيورد فى ذلك القول :

« .. لم تكد الحروب الصليبية الأولى تنتهى حتى كانت السحب التى تفصل بين الفريقين قد انقشعت ، وبدا كل فريق يفهم الفريق الآخر على حقيقته ، وانمحت شيئا فشيئا ، الصورة القديمة التى كانت فى مخيلة الصليبيين عن المسلمين ، فلم يعودوا جنودا جبناء او غلاظ القلوب او كفرة عباد اوثان ، بل شهدوا من شجاعتهم فى القتال ومن ورعهم فى الصلاة ، ومن سماحتهم فى معاملة اهل الاديان الاخرى ، ما اطلق السنتهم بالاعجاب والتقدير ، وخير شاهد على هذا ، ما رواه « ارنولد لوبك » فى حولياته · وكان هذا الامير قد ارسل فى سفارته عن « فريد ريك بربروسا » الى صلاح الدين ، ثم عاد يروى لاخوانه وصفا حقيقيا ومنصفا لمعتقدات المسلمين ، فأشاد بسماحتهم ، وذكر ان الحرية الدينية مكفولة لديهم ، وان لكل فرد الحق فى ان يومن بالدين الذى يعتنقه .. » (66 — 67)

وفى ظل هذه البيئة الفكرية التى نجمت عن احتكاك الغرب بالشرق على عهد الحروب الصليبية ، انبثقت جملة من المؤلفات ، عند هذا الجانب او الآخر ، تنم عن نزوع لتعرف هؤلاء على اولئك · واستطلاعهم لاحوالهم ·

وحول هذا يقول الكاتب ، مشيرا — اولا — الى ما سجله المسلمون — بهذا الصدد عن الاوروبيين :

« .. اورد بعض المؤرخين العرب معلومات تفصيلية قيمة عن ملوك اوروبا ، كما فعل محمد بن على بن نظيف حين اورد فى كتابه « التاريخ المنصوص » صورا لبعض الخطابات المرسلة من الامبراطور فريد ريك الثانى الى الامير فخر الدين بن شيخ الشيوخ، يروى له فيها طرفا من الاحداث السياسية فى دولته ، وكما فعل جمال الدين بن واصل حين قدم فى كتابه « مفرج الكروب ، فى اخبار بنى ايوب » بعض المعلومات عن لويس التاسع ملك فرنسا ، وعن الامبراطور « منفرد » بن « فريد ريك » ، وعن مدينة « برلتا » الايطالية ، التى نزل فيها حين ارسل سفيرا عن الظاهر بيبرس الى « منفرد » كما قدم لنا فى كتابه هذا ، معلومات نادرة وقيمة عن أسرة « هوهانشتاوفن » وعن الجالية الاسلامية التى كانت تعيش فى مدينة « لوجارة » الايطالية ، ونستطيع ان نضيف الى هذين المؤرخين مؤرخا ثالثا هو القلقشندى صاحب « صبح الاعشى » فقد اورد فى الجزء الخامس من كتابه قوائم بأسماء والقاب ملوك أوروبا الذين يتراسل معهم سلاطين مصر .. » (69) ·

وفى موازاة هذا الاهتمام العربى باستطلاع تاريخ الاوروبيين ، كانت عناية هؤلاء — من جانبهم ، بالتعرف على تاريخ العرب والمسلمين ، وتوسعهم فى ذلك على نحو خلف بصماته العميقة فى تآليفهم ، وبعض ما تنبئ عنه من اتجاهات فى التصور والتفكير ·

وفيما يعرضه الباحث من نماذج الكتابات الاوروبية فى الموضوع اثناء ذلك العصر ، يسوق القول :

« .. وصلتنا عن المؤرخين الاوروبيين (فى هذا السياق) حصيلة غنية من الكتابات والمؤلفات التاريخية، عنوا فيها بوصف حروبهم ومواقعهم فى الشرق ، واتخذوا فى كتاباتهم أساليب مختلفة ؛ فمنهم من ضمن اوراقه رسائل كان يرسلها الى اهله واسرته واصدقائه، ومنهم من كتب مذكراته الشخصية ، ومنهم من الف كتبا للتاريخ لحملة من الحملات ، أو لملك من الملوك ، او لحقبة من حقب هذا العصر الصليبى ، ومن أوائل هذه الكتب واوثقها ، كتاب « أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس » ومؤلفه مجهول من محاربى الحملة الصليبية الاولى ، وقد اعتمد على هذا الكتاب كثيرون من مؤرخى الحروب الصليبية الاوروبيين الذين اتوا بعده .

« .. وكبير هؤلاء المؤرخين دون منازع هو « وليام الصورى » (1130 — 1184) وهو أشدهم صلة بموضوعنا ، لانه ولد فى بيت المقدس ، وعاش معظم حياته فى الشرق ، لانه تعلم العربية وقرأ المؤلفات التاريخية العربية وافاد منها عند وضع مؤلفاته .. » (70) .

وينقل المؤلف عن « وليام » هذا جملة من كتابه تومىء للمدى المهم الذى ذهب اليه الكاتب الاوروبى فى الاعتماد على المصادر العربية بصدد اعداد كتابه ، ويذكر « وليام » بهذا الخصوص :

« .. كما اننا قد الفنا كتابا آخر فى التاريخ بناء على رغبة الملك الذى امدنا بالوثائق العربية اللازمة، وكان مصدرنا الرئيسى فى هذا الباب ، كتاب بطريرك الاسكندرية المبجل ، « سعد بن البطريق » وكتابنا هذا يبدأ من عهد النبى محمد صلى الله عليه وسلم ويمتد خلال خمسمائة وسبعين سنة حتى عامنا الحاضر (عصر المؤلف) .. » (73 — 74) .

والحق ان الصلات التى اثمرتها الحروب الصليبية بين الشرق الاسلامى والغرب المسيحى لم يكن لها — بموجب حتمية التسلسل — الا ان تتوسع اكثر ، استمدادا من وثاقة هذه الصلات بالذات ، ومن انعكاساتها على المضمار الدولى آنئذ .

وفى الفصل الذى خصصه المؤلف لعصر ما بعد الحروب الصليبية ، تركيز على هذا الثراء الذى حصل فى معلومات الاوروبيين عن العرب والمسلمين ، وما كان للحال من اثر فى الترويج لظهور حركة الاستشراق وتطورها فى مختلف البلدان الاوروبية .

ويذكر المؤلف فى هذا السياق :

« .. يرجع الفضل الاكبر فى نجاح فاسكودى كاما ورحلاته الاستكشافية الى ما افاده من المراجع الجغرافية العربية التى ترجمت فى اسبانيا ، ومن مدرسة الخرائط التى قامت فى جزيرة « ميورقة » معتمدة على جهود العرب السابقة ، وفوق هذا كله ، فقد كان دليله الذى قاده من شرق افريقيا واوصله آمنا الى الهند ، هو الملاح العربى المشهور ابن ماجد .. » (78)

« .. وظلت اوروبا الى النصف الثانى من القرن السادس عشر وليس فى مطبعة من مطابعها حروف عربية وفى سنة 1580 انشأ فرديناند مديتشى — كاردينال وكبير اساقفة توسكانا — مطبعة بها حروف عربية فى مدينة روما ، ثم تبع هذه المطبعة مطابع اخرى (فى اكثر من بلد أوروبى) مزودة بالحروف العربية ، واخرجت مطبعة اكسفورد فى منتصف القرن السابع عشر اول كتابين بالحروف العربية ، الاول : سنة 1648 والثانى سنة 1649 وهو كتاب مقتطفات تاريخية عربية .. » (90 — 91) .

ويتوالى مساق الفصل على هذا المنوال فى استعراض تطورات حركة الاستشراق ورصد مظاهر انشطته ، باعتبارها امتدادا لتيار التفاعل الفكرى والثقافى الذى دشنته العهود الاولى للصلات بين العالم الاسلامى واوروبا خلال العصر الوسيط ، وطورته — على نحو واسع — المواجهة الماثلة فى الحروب الصليبية ، وما طفر خلالها وفى اعقابها من نزوعات لتعرف الطرفين بعضهما على بعض ، والتبادل بينهما .

يشكل محتوى الكتاب محاولة علمية لها قيمتها فى استقراء جانب من جوانب التعاطى بين الغرب المسيحى والعالم العربى — الاسلامى فيما يخص مادة التاريخ بكيفية اساسية .

وقد كان المؤلف موضوعيا فى اقراره بقصور هذا الجهد عن ان يبلغ المبلغ المراد من الالمام بالموضوع ، وتجلية مختلف اوجهه . وعذره واضح ، فالمصادر اللازمة للبحث غير موفورة بكيفية متوازية بالنسبة

لمختلف النقط المطروقة ، ومن ثم لم يكن بوسعه في بعض مواطن الكتاب الا أن يعتمد على الافتراضات (التى لا تخلو من وجاهة) اكثر من استناده للوثائق ، وحتى فى المواطن الاخرى ، الموفورة مصادرها نسبيا ، فان الثغرات أمام الباحث من الكثرة بحيث لا تمكنه من الاتيان بعمل كامل ٠

وعلى اى ، فان الكتاب ينطوى على كثير من المعلومات القيمة ، فضلا عما يزخر به من افادات حول المظان الممكن الرجوع اليها فى موضوع شيق كهذا الموضوع الذى وقع عليه اختيار المؤلف ٠

ان طريق التنمية ليس محصورا فى الراسمالية والاشتراكية بل هناك اقتصاد ثالث راجح هو الاقتصاد الاسلامى يبشر باسلوب كامل للحياة يحقق كافة المزايا ويتجنب كافة المساوىء ٠

« جاك أوسترى »
استاذ الاقتصاد الفرنسى

● من ثمرات الفكر :

التاريخ الإسلامي وأثره في الفكر التاريخي الأوربي

تأليف : الدكتور جمال الدين الشيال

عرض وتقديم الأستاذ المهدي البرجالي

تؤثر بصدد الحديث حول عصر التفوق العربي بالاندلس ، اقوال لبعض المفكرين المسيحيين آنئذ ينعون على بعض اخوانهم في الدين ، ولوعهم بتعلم العربية ، وشغفهم بالفكر والثقافة العربيين ، وما انجز من ذلك من اهمالهم للغة اللاتينية ، وضعف معرفتهم بها ضعفا ، لم يفتأ يتزايد — ساعتها — باطراد ، حتى قيل انه لم يعد يوجد بين المسيحيين في تلك الحقبة من يستطيع قراءة الشروح اللاتينية على الانجيل ، الا الخاصة من علماء الدين ، في حين ، ان الكثير من المسيحيين كانوا على درجة بالغة من الالمام بلغة العرب ، بل ولم يكن قليل ، اولئك البارعين منهم في قرض الشعر بها واجادته .

وتعكس هذه الملاحظة سعة المستوى الذي بلغته في خلال الظرف ، حركية التفاعل العربي الاوروبي على صعيد الثقافة والفكر ، وقد كانت الاندلس — كما يعلم — مجالا ممتازا لارتكاز هذه الفاعلية ، وخصوبة اثرها ، الا ان العدوة الايبرية لم تكن — كما يعلم الامر كذلك — الا احد المحاور المهمة في رقعة ذلك التفاعل الذي شمل في عمومه منطقة شاسعة من العالم المعروف آنئذ عبر الضفتين الافريقية والاوروبية للبحر المتوسط ، والمناطق المتصلة بهما في الشرق الادنى وآسيا الصغرى ، ولم يكن الاقبال على العربية من طرف المسيحيين في اسبانيا ، الا مظهرا واحدا من مظاهر التحويل للذي ساعدت عليه المدنية العربية الاسلامية في عدة مجتمعات اوروبية ، مؤثرة بمعطياتها الفكرية والعلمية والتنظيمية في تكييف كثير من الافكار والمفهومات والمقاييس السائدة في المناخ الفكري الاوروبي ، ومرهصة في نطاق ذلك — بانفتاح الآفاق التي التمعت خلالها الومضات الاولى للتطور الحضاري الحديث .

وفي الكتاب الذي نعرض له خلال هذا الحديث الملمة ببعض الجوانب الشيقة من هذا التفاعل العربي الاوروبي الذي توالت عوامله ومظاهره على امتداد العصر الوسيط ، وخلف بحكم عمق فاعليته انعكاسات واضحة على النموذج الفكري والثقافي المأثور في البيئة الحضارية العالمية الحديثة .

وقد عني المصنف بعرض المظان التي رجع اليها في اعداد بحثه ، وهي وافرة العدد ما بين عربية

والافرنجية ، مع ان حجم البحث لا يشغل — فى حد ذاته — اكثر من مائة صفحة ونيف ، واذا وضعت فى الاعتبار صعوبة المجال الذى خاض فيه الكاتب ، يدرك الداعى لغزارة الحشد الذى استفاد منه فى معالجة موضوع غير ميسور المراجع على غرار البحث الذى يضمنه الكتــاب ·

ومرد هذه الصعوبة فى البحث بصورة أساسية، ان المؤلف قد حدد اطارا ضيقا لموضوع بحثه ، مقصورا على مادة التاريخ دون غيرها ، مبتغيا بذلك ابراز مظهر تأثر الاروويبين بالثقافة العربية الاسلامية من زاوية هذا الموضوع خاصة ، موضوع التاريخ ، وهذا ما جعل المجال الموفور للباحث محدودا بدرجة بالغــة ، وجعل الامكانية المتهيئة له لاستشارة المصادر ضيقــة النطاق بقدر ذلك ·

ويستفيض المؤلف خلال المقدمة — فى بسط القول حول هذه الصعوبات التى مــن شان البــاحث ان يصادفها فى تناول موضوع مفتقر للكفاية الى المصادر كهذا الموضوع ، فيورد فى ذلك :

«كتب كثيرون عن اثر الفكر العربى فى نهضة اوروبا فى ميادين الفلسفة والهندســة والرياضيــات والطب والفلك والجغرافيا ، ولكن احــدا لم يتنــاول بالبحث والدراسة هذا الاثر فى علم التاريخ ، وكانت هذه هى الصعوبة الاولى ·

« .. وصعوبة ثانية ، تتصل بطبيعة علم التاريخ ونشاته ومكانته بين العلوم ، وذلك ان احصاء تلــك العلوم فى الشرق والغرب على تلك العصور لم يكن يتضمن التاريخ أو يعترف به كعلم من العلوم ، ونتيجة لهذا ، كانت العناية بالتاريخ والدراسات التاريخية بوجه عام فى أوروبا على عصر النهضة قليلة ، وبالتالى، كان النقل عن المؤرخين العرب والمؤلفات التاريخيــة العربية فى اوائل عصر النهضة قليلا كذلك .

« وصعوبة ثالثة ، تقابل من يعالج هذا الموضوع، وهى أن العصور الوسطــى لم تعــرف التخصص وتعترف به ، بل كانت الدراسة فى الغــالب الاعــم موسوعية .. » (ص 7 و 8) ·

ويأخذ المؤلف بعد هذا فى الخطو خطواته الاولى نحو صميم الموضوع ، ولكى يحدد مسلكه فى سيرة هذا ، ترتب عليه — أولا — ان يعين المعابــر التــى سيستخلص من خلالها استفاداته ، وهى هذه المعابر التى اشار الى انها كانت ممر تيارات الفكر العربــى الاسلامى الى اوروبا ، اذ عن طريقها ، اتخذ هــذا الفكر طريقه الى الغرب المسيحى والعقل الاوروبى بصورة رئيسية ، وكان من آثار ذلك ، ان تطعم الفكر الاوروبى بلقاحات خصبة ، زودته بالكثير مما ساهم ايجابيا فى تنويره وتعميق مجالات نشاطه ، وانمــى لديه الاهتمام بقضايا العلم والثقافة من المنظور العربى الاسلامى ·

وينتقل المؤلف — فيما بعد — وقد حصر معابر الثقافة العربية الاسلامية التى اشار اليها فى منــاطق ثلاث هى : الاندلس وصقلية والشرق الادنى — ينتقل الى صلب البحث ، فيعقد فصولا متتالية يخصص كلا منها لمنطقة من هذه المناطق ، مركزا القول — كمــا اشير اليه آنفا — حول مؤثرات التاريخ الاسلامى فى الفكر التاريخى الاوروبى — مرورا بالمنطقة مــوضوع البحث ·

وخلال الفصل الذى أفرده المؤلف لاستقصاء اوجه النشاط الخاص بالبحث التاريخى عند المستعربين من مسيحيى الاسبان ، استلهاما من مؤثــرات الثقافــة العربية الاسلامية السائدة آنئذ فى شبه الجــزيرة ، أورد فى ذلك قوله : . .

« .. بدأت مع حركة الاسترداد المسيحى فى اسبانيا حركة نقل وترجمة كبرى من الفكر العربى الاسلامى اتخذت لها مركزا أول فى طليطلة ، وعنيت — أول عنيت — بتــرجمــة علــوم الريــاضــة والطــب والفلسفة .. » (23) ·

« .. وهناك شواهد كثيرة ، تشير الى تأثــر الدراسات التاريخية الاسبانية بمثيلتها العربية قبــل انشاء مدرسة الترجمة بطليطلة ، وهناك امثلة اخرى، تدل على أن هذا التأثر ، استمر متصلا الــى القــرن السابع عشر ..

« .. بدأت هذه المؤثرات مبكــرة ، اى عقب الفتح العربى لاسبانيا بوقت قصير فى القرن الثــانى الهجرى ، ففى هذا القرن ، ظهرت بعض المصنفات التاريخية من تأليف نفر من المستعربيــن الاندلسيين

(المسيحيين الاسبان الذين تشبعوا باللغة والثقافة العربيتين) تتضمن بعض الروايات التاريخية التى سمعوها او نقلوها من المؤرخين العرب .. » (25) ·

وفى استعراض نماذج من هذه المؤلفات الاسبانية فى مادة التاريخ أو « الحوليات » يسوق المؤلف ذكر جملة من الاعمال من هذا القبيل منها :

« ـــ الحولية البزنطية العربية لسنة 741 وهى تاريخ علم يتضمن اخبارا عن ملوك القوط فى اسبانيا واباطرة بيزنطة ، كما تتناول اخبار العرب فى المشرق واخبار فتوحهم فى اسبانيا ، وواضح من نصوص هذه الحولية أن كاتبها قد اعتمد على بعض المصادر العربية والبيزنطية ·

« ـــ الحولية المستعربة لسنة 754 وهى تاريخ عام يبدأ ببداية الخليقة ويشتمل على تاريخ العرب والروم ، وبين الحوليتين تشابه كبير فى المضمون ، مما يرجح أن المؤلفين اخذا مادتهما من مصادر عربية وبيزنطية ·

« .. الحولية القوطية وقد بداها مؤلفها بتقديم وصف عام لاسبانيا ، اتبعه بتاريخ مختصر للرومان والقوط والفتح العربى لاسبانيا ، وفى هذه الحولية ـــ ولاول مرة ـــ فى المراجع التاريخية الاسبانية ـــ ذكر لقصة ابنة يوليان مع « غيطشة » وهى القصة التى روتها المؤلفات التاريخية العربية الاولى فى الاندلس .. » (25 ـــ 28) ·

ويستمر المؤلف فى عرض هذه الاعمال التاريخية الاسبانية المستوحاة ـــ فى جانب مهم منها ـــ من المصادر التاريخية العربية · فيذكر من ذلك : الحولية السيلوسية وحوليةالطليطلى ، والتاريخ الاول العام لاسبانيا ، والتاريخ العام المنسوب الى الفونس العالم ، (39 ـــ 40) ·

ونأتى بعد ، الى الفصل الذى خصصه الباحث للمؤثرات العربية الاسلامية فى انشطة البحث التاريخى بجزيرة صقلية وجنوب ايطاليا ، ويعلم الى اى مدى واسع ، ذهب التأثير الفكرى والثقافى العربى الاسلامى فى المنطقة ، سواء خلال العهود التى شهدت نفوذ المسلمين فيها ، أو بعد أفول نجمهم من هناك حين انتزعها منهم النورمان · والواقع أن الثقافة العربية قد حققت معجزة باهرة فيما بدا من استمرار ذيوعها فى صقلية وما حواليها بعد زوال الحكم العربى من الجزيرة ، بل ، وازدياد اشعاع هذه الثقافة آنئذ حتى انها بقيت لعهد غير يسير ، مشاعة فى الاوساط العليا بالمنطقة ، واداة حية فى الحياة الثقافية فى تلك البيئة · ويذكر المؤلف بهذا الصدد ، بعد اشارته لقصة الشريف الادريسى مع الملك روجار :

« لقد كان معظم هؤلاء الملوك النورمان يتقنون اللغة العربية ، ويقرأون الكتب العلمية المختلفة بهذه اللغة .. » (46) ·

« .. كان المركز الثانى بعد طليطلة لجمع هذه المؤلفات (المؤلفات العربية) ـــ هو البلاط النورمانى فى « بالرمو » وهو المعبر الثانى الذى انتقلت عن طريقه الثقافة العربية الاسلامية الى أوروبا ، وفى هذا المركز قامت مدرسة للترجمة عن العربية تشبه مثيلتها فى طليطلة .. (48) ·

لكن ماذا كان نصيب مادة التاريخ من هذه الحركة العلمية التى ازدهرت فى صقلية استمدادا من التراث الفكرى والثقافى العربى ؟ يجيب المؤلف عن هذا التساؤل بقوله :

« الحقيقة اننا لم نجد شواهد مباشرة على جهود بذلت فى البلاط النورماندى لترجمة المؤلفات التاريخية العربية ، ولكننا نستطيع أن نقول ـــ استنتاجا ـــ والى أن يوفق الباحثون للكشف عن الشواهد المادية التى ننشدها ـــ ان علم التاريخ العربى نال فى صقلية وايطاليا ما نالته العلوم العربية من دراسة واهتمام · ويؤيد استنتاجنا ما افترضناه فى مقدمة هذا البحث من أن العلماء العرب كانوا فى جملتهم ـــ وتبعا لتقاليد عصرهم ـــ موسوعيين ، ولم يركنوا الى التخصص · ومترجمو أرسطو وابن رشد ، ما كانوا يستطيعون فهم النصوص وترجمتها دون الالمام بتاريخ كل من الفيلسوفين وعصرهما ، وما ساد العصرين من حركات فكرية ، والعلماء الاوروبيون الذين تعلموا فى طليطلة ، وشاركوا فى حركة الترجمة بها ، او الايطاليون الذين ترددوا على اسبانيا ، الم يقرأوا شيئا من الكتب التاريخية العربية فى أصولها او ترجماتها ؟ .. » (57 ـــ 58) ·

وقد ذهب المؤلف — على هذا المنوال — مذهبا لا يخلو من بعض التكلف — فى تلمس مظاهر نشاط علمى تاريخى ، متأثر بالثقافة العربية فى صقلية وجنوب ايطاليا ، والملحوظ كما نتبين مما ساقه من هذه الافتراضات ومن بعض الاستنتاجات الاخرى التى اوردها بعد ذلك — انه لم يجد من الوثائق شيئا يعتد به فى هذا الصدد ، بيد أن هذا ، لا يعنى خواء الارتكاز المستندة عليه بنية بحثه فى هذه النقطة ، وانما الامر يعكس على الاقل — حدة الصعوبة التى اقر بها الكاتب فى التمهيد المصدر به الكتاب ، وهى صعوبة محسوسة هنا خاصة فى هذا الموطن من البحث ، المتعلق بصقلية، وبطبيعة الحال ، فان التراث العربى بالمنطقة — وان كان قد احتفظ بنصاعته دهرا بعد زوال النفوذ العربى، فانه تعرض فى الاحقاب التالية — لعوامل اندثار قوية يعسر معها استحضار الوثائق الشاهدة عليه بالصورة الكافية ٠

ويخلص المؤلف — بعد هذه النظرة له حول اوضاع البحث التاريخى بالاندلس وصقلية ، وهما احد معبرى الثقافة العربية الاسلامية لاوروبا فى ذلك العهد — يخلص الى مجال استقصاء الموضوع من خلال المعبر الثالث ، وهو الشرق الادنى فى أثناء الحروب الصليبية وبعدها ٠

ويذكر المؤلف عن التلاقى الاوروبى الاسلامى الذى حدث فى الشرق كنتيجة للحروب الصليبية وما كان له من آثار عميقة على انفتاح الافق خلال ذلك ، لمعرفة جانب الجانب الآخر ، فيورد فى ذلك القول :

« .. لم تكد الحروب الصليبية الأولى تنتهى حتى كانت السحب التى تفصل بين الفريقين قد انقشعت ، وبدا كل فريق يفهم الفريق الآخر على حقيقته ، وانمحت شيئا فشيئا ، الصورة القديمة التى كانت فى مخيلة الصليبيين عن المسلمين ، فلم يعودوا جنودا جبناء او غلاظ القلوب او كفرة عباد اوثان ، بل شهدوا من شجاعتهم فى القتال ومن ورعهم فى الصلاة ، ومن سماحتهم فى معاملة اهل الاديان الاخرى ، ما اطلق السنتهم بالاعجاب والتقدير ، وخير شاهد على هذا ، ما رواه « ارنولد لوبك » فى حولياته ٠ وكان هذا الامير قد ارسل فى سفارته عن « فريد ريك بربروسا » الى صلاح الدين ، ثم عاد يروى لاخوانه وصفا حقيقيا ومنصفا لمعتقدات المسلمين ، فأشاد بسماحتهم ، وذكر ان الحرية الدينية مكفولة لديهم ، وان لكل فرد الحق فى أن يومن بالدين الذى يعتنقه .. » (66 — 67)

وفى ظل هذه البيئة الفكرية التى نجمت عن احتكاك الغرب بالشرق على عهد الحروب الصليبية ، انبثقت جملة من المؤلفات ، عند هذا الجانب او الآخر ، تنم عن نزوع لتعرف هؤلاء على اولئك ٠ واستطلاعهم لاحوالهم ٠

وحول هذا يقول الكاتب ، مشيرا — أولا — الى ما سجله المسلمون — بهذا الصدد عن الاوروبيين :

« .. اورد بعض المؤرخين العرب معلومات تفصيلية قيمة عن ملوك اوروبا ، كما فعل محمد بن على بن نظيف حين اورد فى كتابه « التاريخ المنصوص » صورا لبعض الخطابات المرسلة من الامبراطور فريد ريك الثانى الى الامير فخر الدين بن شيخ الشيوخ، يروى له فيها طرفا من الاحداث السياسية فى دولته ، وكما فعل جمال الدين بن واصل حين قدم فى كتابه « مفرج الكروب ، فى اخبار بنى ايوب » بعض المعلومات عن لويس التاسع ملك فرنسا ، وعن الامبراطور « منفرد » بن « فريد ريك » ، وعن مدينة « برلتا » الايطالية ، التى نزل فيها حين ارسل سفيرا عن الظاهر بيبرس الى « منفرد » كما قدم لنا فى كتابه هذا ، معلومات نادرة وقيمة عن أسرة « هوهانشتاوفن » وعن الجالية الاسلامية التى كانت تعيش فى مدينة « لوجارة » الايطالية ، ونستطيع أن نضيف الى هذين المؤرخين مؤرخا ثالثا هو القلقشندى صاحب « صبح الاعشى » فقد اورد فى الجزء الخامس من كتابه قوائم بأسماء والقاب ملوك أوروبا الذين يتراسل معهم سلاطين مصر .. » (69) ٠

وفى موازاة هذا الاهتمام العربى باستطلاع تاريخ الاوروبيين ، كانت عناية هؤلاء — من جانبهم ، بالتعرف على تاريخ العرب والمسلمين ، وتوسعهم فى ذلك على نحو خلف بصماته العميقة فى تآليفهم ، وبعض ما تنبنى عنه من اتجاهات فى التصور والتفكير ٠

وفيما يعرضه الباحث من نماذج الكتابات الاوروبية فى الموضوع اثناء ذلك العصر ، يسوق القول :

« .. وصلتنا عن المؤرخين الاوروبيين (فى هذا السياق) حصيلة غنية من الكتابات والمؤلفات التاريخية، عنوا فيها بوصف حروبهم ومواقعهم فى الشرق ، واتخذوا فى كتاباتهم أساليب مختلفة ؛ فمنهم من ضمن اوراقه رسائل كان يرسلها الى اهله وأسرته وأصدقائه، ومنهم من كتب مذكراته الشخصية ، ومنهم من الف كتبا للتاريخ لحملة من الحملات ، أو لملك من الملوك ، او لحقبة من حقب هذا العصر الصليبى ، ومن أوائل هذه الكتب واوثقها ، كتاب « أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس » ومؤلفه مجهول من محاربى الحملة الصليبية الاولى ، وقد اعتمد على هذا الكتاب كثيرون من مؤرخى الحروب الصليبية الاوروبيين الذين اتوا بعده .

« .. وكبير هؤلاء المؤرخين دون منازع هو « وليام الصورى » (1130 — 1184) وهو أشدهم صلة بموضوعنا ، لانه ولد فى بيت المقدس ، وعاش معظم حياته فى الشرق ، لانه تعلم العربية وقرأ المؤلفات التاريخية العربية وافاد منها عند وضع مؤلفاته .. » (70) .

وينقل المؤلف عن « وليام » هذا جملة من كتابه تومىء للمدى المهم الذى ذهب اليه الكاتب الاوروبى فى الاعتماد على المصادر العربية بصدد اعداد كتابه ، ويذكر « وليام » بهذا الخصوص :

« .. كما اننا قد الفنا كتابا آخر فى التاريخ بناء على رغبة الملك الذى امدنا بالوثائق العربية اللازمة، وكان مصدرنا الرئيسى فى هذا الباب ، كتاب بطريرك الاسكندرية المبجل ، « سعد بن البطريق » وكتابنا هذا يبدأ من عهد النبى محمد صلى الله عليه وسلم ويمتد خلال خمسمائة وسبعين سنة حتى عامنا الحاضر (عصر المؤلف) .. » (73 — 74) .

والحق ان الصلات التى اثمرتها الحروب الصليبية بين الشرق الاسلامى والغرب المسيحى لم يكن لها — بموجب حتمية التسلسل — الا ان تتوسع اكثر ، استمدادا من وثاقة هذه الصلات بالذات ، ومن انعكاساتها على المضمار الدولى آنئذ .

وفى الفصل الذى خصصه المؤلف لعصر ما بعد الحروب الصليبية ، تركيز على هذا الثراء الذى حصل فى معلومات الاوروبيين عن العرب والمسلمين ، وما كان للحال من أثر فى الترويج لظهور حركة الاستشراق وتطورها فى مختلف البلدان الاوروبية .

ويذكر المؤلف فى هذا السياق :

« .. يرجع الفضل الاكبر فى نجاح فاسكودى كاما ورحلاته الاستكشافية الى ما افاده من المراجع الجغرافية العربية التى ترجمت فى اسبانيا ، ومن مدرسة الخرائط التى قامت فى جزيرة « ميورقة » معتمدة على جهود العرب السابقة ، وفوق هذا كله ، فقد كان دليله الذى قاده من شرق افريقيا واوصله آمنا الى الهند ، هو الملاح العربى المشهور ابن ماجد .. » (78)

« .. وظلت اوروبا الى النصف الثانى من القرن السادس عشر وليس فى مطبعة من مطابعها حروف عربية وفى سنة 1580 انشأ فرديناند مديتشى — كاردينال وكبير اساقفة توسكانا — مطبعة بها حروف عربية فى مدينة روما ، ثم تبع هذه المطبعة مطابع أخرى (فى اكثر من بلد أوروبى) مزودة بالحروف العربية ، واخرجت مطبعة اكسفورد فى منتصف القرن السابع عشر اول كتابين بالحروف العربية ، الاول : سنة 1648 والثانى سنة 1649 وهو كتاب مقتطفات تاريخية عربية .. » (90 — 91) .

ويتوالى مساق الفصل على هذا المنوال فى استعراض تطورات حركة الاستشراق ورصد مظاهر انشطته ، باعتبارها امتدادا لتيار التفاعل الفكرى والثقافى الذى دشنته العهود الاولى للصلات بين العالم الاسلامى واوروبا خلال العصر الوسيط ، وطورته — على نحو واسع — المواجهة الماثلة فى الحروب الصليبية ، وما ظفر خلالها وفى اعقابها من نزوعات لتعرف الطرفين بعضهما على بعض ، والتبادل بينهما .

يشكل محتوى الكتاب محاولة علمية لها قيمتها فى استقراء جانب من جوانب التعاطى بين الغرب المسيحى والعالم العربى — الاسلامى فيما يخص مادة التاريخ بكيفية اساسية .

وقد كان المؤلف موضوعيا فى اقراره بقصور هذا الجهد عن ان يبلغ المبلغ المراد من الالمام بالموضوع ، وتجلية مختلف اوجهه . وعذره واضح ، فالمصادر اللازمة للبحث غير موفورة بكيفية متوازية بالنسبة

لمختلف النقط المطروقة ، ومن ثم لم يكن بوسعه فى بعض مواطن الكتاب الا أن يعتمد على الافتراضات (التى لا تخلو من وجاهة) أكثر من استناده للوثائق ، وحتى فى المواطن الاخرى ، الموفورة مصادرها نسبيا ، فان الثغرات أمام الباحث من الكثرة بحيث لا تمكنه من الاتيان بعمل كامل .

وعلى أى ، فان الكتاب ينطوى على كثير من المعلومات القيمة ، فضلا عما يزخر به من افادات حول المظان الممكن الرجوع اليها فى موضوع شيق كهذا الموضوع الذى وقع عليه اختيار المؤلف .

ان طريق التنمية ليس محصورا فى الراسمالية والاشتراكية بل هناك اقتصاد ثالث راجع هو الاقتصاد الاسلامى يبشر باسلوب كامل للحياة يحقق كافة المزايا ويتجنب كافة المساوىء .

« جاك أوسترى »
أستاذ الاقتصاد الفرنسى

● شهريات الأدب والفكر

المغـرب :

* اتباعا للسنة الحميدة التى سنها امير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثانى نصره الله اوفـدت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية خلال شهر رمضان المنصرم وفد من خيرة العلماء من خريجى جامعة القـروييـن ودار الحديث الحسنية الى اوروبا للقيام بمهمة الوعظ والارشاد والتوجيه الدينى فى اوساط الجالية العمالية المغربيـة .

وبالمناسبة اجتمع السيد الداى ولد سيـدى بابا وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية بالسادة العلمـاء بمقر مديرية الشؤون الاسلامية والقى فيهم كلمة تطرق فى مستهلها للعناية القصوى التى يوليها أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثانى نصره الله للجالية المغربية فى اوروبا سواء من ناحية تبصيرها بأمور دينها الحنيف او اطلاعها على التطـورات الايجابيـة والانتصارات المتلاحقـة التى تعرفها بلادهم فى ظل الاستقرار والامن واسترجاع السيادة الوطنية على اقاليمنا الصحراوية .

وقال السيد الداى ولد سيدى بابـا ان مهمـة السادة العلماء ليست دينية فحسب ، ولكنها الى جانب ذلك وطنية باعتبار ان الوطنية المغربية جزء من عقيدتنا الاسلاميـة .

وتحدث السيد الوزير عن التيارات التى تجتـاح الجالية العربية والاسلامية عموما فى اوروبـا والتـى تستهدف قطـع صلـة الانسان العربى المسلم بوطنه واستلابه فكريا وسياسيا .

وحث السيد الوزير اعضاء بعثة العلماء علـى كشف الحقائق أمام الجالية المغربية وتوضيح الملابسات التى تكتنفها ، مؤكدا لهم ضرورة توجيه العمال المغاربة الى زيارة بلادهم مرة فى كل سنة على الاقل ابقاء على متانة الروابط التى تربطهم بالوطن وتلافيا للذوبان فى الشخصية الاجنبية لما فى ذلك من انسلاخ عن مقومـات البـلاد .

وطلب السيد الداى ولد سيدى بابا من السادة العلماء شرح اهداف المسيرة الاقتصادية الضخمة التى يقطعها المغرب وراء عاهله المفدى بعد ان من الله تعالى علينا بالفتح والنصر واستعادة الحق المغتصب .

كما تحدث السيد الوزير عن التحديات والمناوشات التى يواجهها المغرب من قبل خصومه وأعدائه مؤكدا على يقظة الشعب المغربى ووعيه بما يحاك ضد سيادته من طرف الجزائر الطامعة فى مكتسباتنـا وخيـرات صحرائنا ، ومهيبا بالسادة العلماء الى وجوب ابـلاغ الجالية المغربية فى اوروبا ما تتصف به قيادتنا الرشيدة

المتمثلة فى جلالة الملك المعظم نصره الله من حكمة وتبصر وحنكة الامر الذى يعد ضمانة مؤكدة لنجاح سياستنا سواء على الصعيد الوطنى او على المستوى الدولى ·

هذا وقد توجه السادة العلماء على مرحلتين الى كل من فرنسا واسبانيا وبلجيكا وهولندا والدانمارك والمانيا ، واحيوا مع عمالنا واسرهم ليلة القدر وعيد الفطر السعيد وقدموا لهم صورة ناطقة عن المعركة المقدسة التى تخوضها بلادهم من اجل تدعيم المكتسبات وبناء مغرب الخير والبركات ·

❋ بدعوة كريمة من صاحب الجلالة الملك الحسن الثانى نصره الله حل ببلادنا بمناسبة شهر رمضان الاكرم عدد من كبار العلماء والاساتذة والمفكرين من مختلف البلاد العربية والاسلامية ، ويتعلق الامر بالسادة الدكتور عون الشريف وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية فى حكومة السودان واللواء الركن محمود شيت خطاب من العراق ، والدكتور الحبيب بلخوجة مفتى تونس ، والشيخ محمد خاطر مفتى مصر ، والشيخ اسماعيل صادق مدير الشؤون الاسلامية بدولة اتحاد الامارات العربية ، والدكتور يوسف القرضاوى من جامعة قطر ، والدكتور فاروق نبهان من جامعة الكويت ، والدكتور على عبد الواحد وافى من جمهورية مصر العربية والاستاذ سابقا بجامعة محمد الخامس والقرويين ، والشيخ كريم راجح من سوريا ، والشيخ عبد العزيز سى من السينغال ، والشيخ عبد الله الانصارى من قطر ، والدكتور عبد العزيز الخياط من الاردن ، والشيخ محمد ابن ابى مدين ، والشيخ المختار بن حامد بن محمد بابا من الجمهورية الاسلامية الموريطانية ·

وقد القى السادة العلماء ضيوف المملكة دروسا ومحاضرات فى عدد من المدن كما شاركوا بأحاديث فى الاذاعة والتلفزة ·

❋ قام وفد من وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بدولة اتحاد الامارات العربية بزيارة لبلادنا طاف خلالها بكبريات المدن المغربية ·

وقد ترأس الوفد وكيل وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية · واجرى محادثات هامة مع السيد الداى ولد سيدى بابا وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية كذا المسؤولين عن احياء التراث والدعوة الاسلامية بالوزارة ·

❋ زار المغرب بدعوة من صاحب الجلالة الملك الحسن الثانى فضيلة الشيخ بابا خانوف رئيس الادارة الدينية لمسلمى الاتحاد السوفياتى · وقد شارك الضيف السوفياتى الكبير فى النشاط الاسلامى الواسع الذى اقامته وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بمناسبة شهر رمضان المعظم ، كما القى محاضرة بالمركز الثقافى السوفياتى بالرباط عن الاسلام والمسلمين فى الاتحاد السوفياتى ·

❋ صدر الجزء الخامس من كتاب « التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والاسانيد » لابن عبد البر من تحقيق الاستاذ سعيد اعراب وقد اعتمد المحقق على نسخة بغداد ونسخة الخزانة الملكية بالرباط ونسخة الجلاوى المودعة بالخزانة العامة بالرباط ونسخة دار الكتب المصرية ·

وينتظر ان تصدر الاجزاء (6 — 7 — 8) قريبا ان شاء الله ·

❋ اصدر الاستاذ عبد الله كنون كتابين فى النقد والادب والرحلات الاسلامية ، الاول بعنوان « **ازهار برية** » والثانى بعنوان « **تحركات اسلامية** » ·

ويتضمن الكتاب الثانى بالخصوص انطباعات المؤلف عن رحلاته الى عدد من البلاد الاسلامية والاوروبية بما فى ذلك رحلته الى الاتحاد السوفياتى التى كانت مناسبة للاطلاع على احوال المسلمين فى البلاد السوفياتية ·

اما « ازهار برية » فيشتمل على ابحاث ادبية ونقدية نشرها المؤلف فى كبريات المجلات العربية تتناول جوانب متعددة من الفكر العربى الاسلامى المعاصر ·

❋ صدر عن المطبعة الملكية للاستاذ السيد محمد المنونى كتاب بعنوان (وثائق ونصوص عن ابى الحسن على بن منون وذريته) الكتاب يقع فى اكثر من 300 صفحة من الحجم المتوسط ·

❋ الدكتور محمد حجى اصدر تحقيقا لكتاب (دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر) للعلامة محمد ابن عسكر الحسنى الشفشاونى الكتاب يقع فى حوالى 200 صفحة · طبع

* (أبو العلاء المقرى) كتاب صدر للاستاذ السيد محمد بوحوت .

الكتاب يقع فى 132 صفحة – طبع بالرباط .

* اصدرت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية (فهرس الصحف والمجلات العربية التى تصدر بالمغرب) .

الفهرس يقع فى 82 صفحة ، كما اصدرت الوزارة كتيبا بعنوان : (نماذج من الكتاب المغربى المخطوط والمطبوع) يقع الكتيب فى 67 صفحة .

(لقاء وانتصار) ابرز انتاج مسرحى عرفه المغرب سنة 1976 بعد السنة الدولية للمراة مباشرة والرواية الجديدة للاستاذة شفيقة العلمى من مراكش .

طبعت الاذاعة هذه الرواية بالآلة المكررة فصدرت فى 66 صفحة .

* صدر للاستاذ تدور الرطاسى كتاب بعنوان « **أربع سنوات مع جبهة التحرير الجزائرية** .

كما ان المؤلف دفع للمطبعة بكتاب آخر عن « **بنو يزناسن عبر الكفاح الوطنى** » .

* ظهر كتاب جديد للدكتور ابراهيم اباظة عن الصحراء المغربية المحررة بعنوان : « وعادت الصحراء » وهو من وحى مشاركة المؤلف فى المسيرة الخضراء المظفرة . ويشرح فيه بأسلوب رصين مختلف التطورات التى اجتازها كفاح المغرب من أجل تحرير صحرائه .

**

موريطانيا :

* تكونت فى موريطانيا « **رابطة الآداب والفنون** » تحت اشراف وزارة الثقافة . مهمة الرابطة مساعدة الادباء فى سبيل الارتقاء والنهوض بالادب الموريطانى .

* اجرت صحيفة « اخبار اليوم » القاهرية حديثا مع الاديب الموريطانى **جار الله محمد محمود** تحدث خلاله عن الادب والشعر بخاصة فى موريطانيا .

وعن سؤال حول الشعر العربى فى موريطانيا فى القرن العشرين بعد التيارات الجديدة التى ظهرت اجاب الاديب الموريطانى : ما زال الشعر العمودى هو وجه الشعر الموريطانى العربى ، واعتقد انه سيظل الى فترة طويلة هو الشعر المثالى للموريطانيين . ولكن هذا لا يعنى أن بعض الادباء الموريطانيين بحكم تعليمهم خارج موريطانيا اطلعوا على التيارات الجديدة للشعر العالمى كله ، والعربى ايضا ، ولكن المحاولات الموريطانية فى مجال الشعر الحر – مثلا – ما زالت فى أول الطريق .

* **زارت موريطانيا مؤخرا بعثة من البنك الاسلامى للتنمية برئاسة الدكتور احمد عبد السلام الهيبة وهو أستاذ بكلية الزراعة بجامعة القاهرة . وذلك بهدف اجراء عدة دراسات حول مشاريع زراعية موريطانية يمولها البنك ، ومن بينها مشروع غرغول . وبالمناسبة القى الدكتور الهيبة محاضرة بالعاصمة نواكشوط حول «موقف الدول الاسلامية من أزمة الغذاء العالمى» .**

* اجتمع السيد محمد يحيى بن خيرى مدير ترقية الفكر الاسلامى ومدير الشؤون الاسلامية بالوكالة بائمة المساجد فى مختلف اقاليم البلاد بهدف التوجيه وحثهم على القيام بماموريتهم على الوجه الاكمل .

وقد اهدت جمعية الدعوة الاسلامية بليبيا مجموعة كبيرة من المراوح الكهربائية لتوزيعها على مساجد موريطانيا .

* زارت موريطانيا بعثة عن اتحاد اذاعات العربية وذلك لدراسة احتياجات موريطانيا على مستوى مشروع القمر الصناعى للاستخدامات الاذاعية والتلفزيونية .

تــونـــس :

❋ توفى يوم الخميس 17 رجب المنصرم المؤرخ التونسى الكبير الاستاذ عثمان الكعاك وافاه الاجل المحتوم وهو فى مهمة ثقافية بالقطر الجزائرى ، وكان الاستاذ الكعاك فى الطليعة من مثقفى تونس الف وحاضر وكتب فى الصحف الكثير الطيب عن المغرب العربى وتاريخه وحضارته وهو بقية جيل النهضة التونسية الذى نبغ فى اوائل هذا القرن رحمه الله رحمة واسعة وعوض المغرب الكبير عنه خير العوض وانا لله وانا اليه راجعون .

❋ « الاسلام والحياة الجنسية » كتاب باللغة الفرنسية صدر للمؤلف التونسى عبد الوهاب بوحديبة.

❋ صدر فى تونس تقرير عن المعتنقين للاسلام من الاجانب وذلك خلال سنة 1975 ويتضمن التقرير ما يلى : 3 اسبان ، 20 المانيا ، 4 امريكيين ، 18 ايطاليا ، 3 بريطانيين ، 5 بلجيكين ، 1 بلغارى ، 1 رومانى ، 1 نمساوى ، 30 فرنسيا ، 1 فنلندى ، 2 فيتناميين ، 4 سويسريين ، 2 هولنديان .

❋ صدر كتاب للعالم المرحوم محمد الطاهر ابن عاشور عن « **الاعمال الكاملة للشاعر النابغة الذبيانى** » .

❋ اصدرت الدار العربية للكتاب بتونس كتابا للدكتور محمد الدسوقى بعنوان : « **طه حسين يتحدث عن اعلام عصره** » يتضمن اقوال طه حسين عن 20 شخصية ادبية وسياسية من رجال عصره ضمن احاديثه فى جلساته الخاصة فى أواخر أيامه .

ليبيا :

❋ صدرت فى ليبيا للاديب ابراهيم الكونى مجموعة قصص قصيرة بعنوان « **الصلاة خارج نطاق الاوقات الخمسة** » .

وتصور القصة الرئيسية فى هذه المجموعة حياة الطوارق فى أعماق الصحراء الليبية من خلال حدث رئيسى هو هبوط سيل عارم بعد قحط ومجاعة داما خمس سنوات .

❋ ومن الدواوين الشعرية التى صدرت فى طرابلس ديوان للشاعر حسن صالح بعنوان « **اغنية العاشق** » ، كتب مقدمة الديوان الناقد المصرى الدكتور عبد القادر القط . يضم الديوان قصائد الشاعر المكتوبة خلال عقد الستينات وتتراوح أشكال قصائده بين الشعر التقليدى والشعر الحر .

مصر :

❋ الكاتب محمد عبد الله السمان اصدر كتابا جديدا يرد فيه على مفتريات اليونيسكو على الاسلام . ومن المعلوم ان منظمة اليونيسكو أصدرت تاريخ العالم فى أجزاء ويتضمن الفصل الخاص بتاريخ الاسلام تشويها مركزا لحقيقة الاسلام وشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم .

❋ لاول مرة صدرت فى القاهرة نسخة محققة كاملة من الكتاب الذى الفه رفاعة رافع الطهطاوى عن «محمد صلى الله عليه وسلم» ويتحدث فيه عن السيرة النبوية باسلوب منهجى ، حقق الكتاب وقدم له الدكتور فاروق ابو زيد .

❋ «**السرد القصصى فى القرآن الكريم**» كتاب جديد للكاتب المصرى ثروت اباظة يقول فيه ان أحدث ما وصل اليه الفن القصصى هو نسق السرد القصصى فى القرآن الكريم .

❋ « **قضايا النقد الادبى عند الجرجانى** » آخر مؤلفات الدكتور عبده عبد العزيز .

❋ « **الاسطورة فى الشعر العربى الحديث** » دراسة جديدة للدكتور انس داوود صدرت مؤخرا بالقاهرة .

❋ سيعلن مجمع اللغة العربية بالقاهرة عن مسابقتين هذا العام ، الاولى موضوعها « **المنفلوطى فى الادب العربى الحديث** » ، والثانية « **سعد زغلول خطيبا وكاتبا واثره فى البيان العربى الحديث** » .

وقد اقر المجمع اخيرا حوالى 15 مصطلحا قانونيا جديدا .. و 1200 مصطلح لفظى · ويجرى الآن طبع هذه المصطلحات فى كتابين جديدين ·

واوصى ان يقتصر التعليم فى الاقطار العربية فى المرحلة الابتدائية على اللغة العربية وحدها ، وان يعدل عن الازدواجية اللغوية فى هذه المرحلة ، كما اوصى بمزيد من العناية بكتب المطالعة والقراءة السهلة الملائمة للنشء فى مراحل نموه المختلفة ، ويأمل ان يزود كل قسم بمكتبة خاصة تحبب التلاميذ فى القراءة وتملا فراغهم وتمدهم بزاد لغوى وثقافى متصل ·

* **« الفصول والغايات لابى العلاء المعرى »** صدر فى القاهرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ·

* صدر كتاب جديد عن عميد الادب العربى الدكتور طه حسين بعنوان : **« ماذا بقى من طه حسين ؟ »** بقلم سامح كريم · يتناول الكتاب دراسة تحليلية لاعمال الدكتور طه حسين ومواقفه وآرائه فى مختلف القضايا الادبية ·

* ظهر كتاب فى القاهرة عن الشاعر الجزائرى الكبير **محمد العيد خليفة** من تاليف الدكتور ابو القاسم سعد الله الاستاذ بكلية الآداب بجامعة الجزائر ·

* **نعت القاهرة الاستاذ زكى المهندس نائب الامين العام لمجمع اللغة العربية ، وكان رحمه الله من الرعيل الاول الذى قاد الحركة الادبية والثقافية فى مصر ، وتقلد مناصب عليا منها عمادة « دار العلوم » وعمل فى المجمع منذ اواسط الاربعينات · ولما توفى رئيس المجمع الدكتور طه حسين ابى ان يرشح نفسه للرئاسة مع اهليته لذلك ، وفضل ان يفسح المجال لتلاميذه ·**

وقد خلف المرحوم زكى المهندس ثروة ادبية وفكرية غنية · وان كانت جل مؤلفاته فى التربية وعلم النفس ·

* احدث مسرحية للكاتب المصرى عبد الرحمان الشرقاوى صدرت عن دار المعارف بعنوان صلاح الدين النسر الاحمر · تقع الرواية فى 264 صفحة فى طبعة فاخرة محلاة بالصور الملونة ·

* نقيب الصحفيين فى مصر عبد المنعم الصاوى صدرت له رواية بعنوان « الارق » تقع فى 260 صفحة ·

* اصدر مجلس شؤون الثقافة والتعليم التابع لاتحاد الجمهوريات العربية بالقاهرة مجلة جديدة بعنوان « الوعى العربى » · وقد صدر منها حتى الآن عددان حافلان بالموضوعات الادبية والفكرية باقلام كتاب عرب من مصر وسوريا وليبيا ·

السعودية :

* قررت «دارة الملك عبد العزيز» بالمملكة العربية السعودية ترجمة كتاب **« دراسة للمذاهب الاجتماعية والسياسية عند ابن تيمية »** الذى الفه المستشرق الفرنسى هنرى لاوست ونشره المعهد الفرنسى للآثار الشرقية عام 1939 ·

والمستشرق الفرنسى ، مؤلف هذا الكتاب ، هو الحجة بين المستشرقين فى دراسة فقه مذهب الامام « احمد بن حنبل » ودراسة تاريخ اصحاب المذهب الحنبلى ، وعلى الاخص شيخ الاسلام احمد بن تيمية

كما كان المستشرق الفرنسى « لاوست » يقوم بتدريس « مذهب ابن حنبل » وتاريخ اصحاب المذاهب فى الكولج دى فرانس بباريس ·

ثم نشر عددا من الكتب والمقالات عن ابن حنبل فى دائرة المعارف الاسلامية والمعهد الفرنسى بالقاهرة من اهمها :

— **« الحنابلة »** ، ونشرت فى دائرة المعارف الاسلامية ، تناول فيها تاريخ تطور مذهب ابن حنبل حتى تاريخ ابن قيم الجوزية وتلميذه عبد الرحمن بن رجب ·

— **« ابن تيمية »** ونشرها ايضا فى دائرة المعارف الاسلامية وخصصها لتاريخ حياة شيخ الاسلام بالتفصيل وجهاده وكتبه ·

* **اعد المكتب الاقليمى لشؤون المكفوفين بالرياض مشروعا يتم تنفيذه قريبا لطباعة القرآن الكريم على طريقة برايل بالخط البارز ·**

وقد سجلت المكتبة الناطقة بالمركز القرآن الكريم

على اشرطة خاصة بالمكفوفين لتوزيعها على المراكز والمؤسسات فى جميع الدول الاعضاء بالمكتب .

ســــوريـــا :

※ **« الوطن العربى بعد الحرب العالمية الثانية »** كتاب جديد للدكتور الياس فرح صدر فى سوريا عـــن المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

الاردن :

※ ذكـــر وزيـــر الاوقـــاف والشؤون والمقدسات الاســـلاميـــة انـــه قـــرر تشكيـــل لجنـــة تضـــم عـــددا مـــن العلماء وكبار موظفى الوزارة وقـــاضى القضاة لدراسة **مشروع قانون احكام الوقف** ، واضاف بأن هذا المشروع هو استخلاص احكـــام الوقف مـــن جميع المذاهب .

※ احتفلت مديرية اوقاف مدينة الزرقاء بالاردن بتخريج الفوج الاولمن المشتركين فى **دورة احكام تجويد وترتيل وتحفيظ القرآن الكريم** ، جل المشاركين مـــن الاطفال والشباب وقد تراس الحفل وزيـــر الاوقـــاف الاردنـــى .

※ صدرت فى الاردن « **موسوعة اعلام الفكـــر والادب فى فلسطين** » لمؤلفهـــا المـــرحـــوم البـــدوى الملثـــم وهـــى تضـــم تـــراجـــم ومقـــالات ادبيـــة عـــن مشاهير الادبـــاء والمفكرين العرب الفلسطينيين كان ينشرها المؤلف فى سلسلة مقالات بمجلـــة الاديب البيروتيـــة .

الكـــويـــت :

※ صدر فى الكويت كتاب بعنوان « مدخل الى التربية الدائمة » للباحث التربوى ليجراند ترجمته الى العربية ضياء هاشم البدو .

يلقى الكتاب الضوء على أهمية ومفهوم التربية الدائمة فى مختلف أنحاء العالم وذلك من خـــلال ستـــة فصول ناقش الكتاب فيها « التحديات التـــى تواجـــه الانسان الحديث .. العوامل المؤثرة ،، اهمية التربية الدائمة ،، ابعادها واهدافها ،، مقترحات لاستراتيجية التربية الدائمة ،، ومشروع جماعى » .

اصدرت الكتـــاب اللجنـــة الوطنيـــة لليـــونسكو بالكويت بالتعاون مع منظمة الامـــم المتحـــدة للتربيـــة والثقافـــة والعلـــوم .

※ « بداية الفن التشكيلى بالكويت » كتـــاب جديد بقلم عبد الرسول سليمان صدر فى الكويت مؤخرا .

تـــركيـــا :

※ تقرر انشاء مجمع الائمة والخطباء فى منطقة « قاضى كوى » باسطمبول على مساحة 13 الف متر مـــربـــع .

وسيضم المجمع كلية للائمة والخطباء مـــن ستة طوابق ومسجدا ووحدات مسكنية تتسع لاقامة 600 طالب واخرى لاقامة موظفى وعمال المجمع اضـــافـــة الى وحـــدات صحيـــة .

※ ندد رئيس الشؤون الدينية فى تركيا بالعادات السيئة فى المجتمع التركى من انغماس المواطنين باللهو وشرب الخمور وتناول المخدرات ، واوضح بمناسبـــة اسبوع الهلال الاحمر لعام 76 الاضرار السيئة التى تترتب على تعاطى تلك المشروبات من ازدياد حـــوادث المرور وتفكيك المجتمع ودعا المواطنين الى الاستقامة والتمسك بتعاليم الاسلام .

بـــاكستـــان :

※ احتفل فى باكستان بالذكرى العاشرة لتأسيس مجمع البحوث الاسلامية باسلام اباد . وقـــال وزيـــر الشؤون الدينيـــة فى حكومـــة باكستان ان وزارتـــه ستنشىء فرعا خاصا لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم بالمجمع المذكور يهتم بموضوع السيـــرة النبويـــة ويضم جميع المخطوطات والكتب عن السيرة النبوية فى مختلف لغات العالم . واكد السيد الوزير ان مصلحـــة المجمع هى نشر الثقافة الاسلامية بكل الوسائل ، وطالب المسؤولين فى المجمع بالمحافظة على الثروة العلميـــة الموجودة لديهم .

الـــهـــنـــد :

※ توفى فى الهند الاستاذ محمد يوسف الصديقى رئيس تحرير صحيفة « ريدياغس » الانجليزية الاسبوعية التى كانت تصدرها الجماعة الاسلامية سابقا من دلهى .

وكـان الاسـتـاذ محمد يوسف ـ رحمه الله ـ من خيرة الصحفيين الاسلاميين فى العالم الاسلامـى وله دور كبير فى خدمة القضايا الاسلامية ورفع مستوى الصحافة الاسلامية باللغة الانجليزية فى الهند ·

جـزائـر القمـر :

* قرر صندوق المعونة الفنية بالجامعة العربية تقديم مطبعة كاملة الى جمهورية جزر القمر تبلغ تكاليفها 250 الف دولار ·

جـزر فيجـى :

* فى احصائية حديثة ان عدد المسلمين فى جزر فيجى يصل الى 60 الف مسلم · وتعتبـر **« رابطـة مسلمى فيجى »** الممثلة للوجود الاسلامى فى البلاد فهى تدير المدارس والمساجد ويوجد بها عدد من المدارس الابتدائية والثانوية بالاضافة الى المساجد المنتشرة فـى مختلف انحاء البلاد ·

وقد اوفدت رابطة العالم الاسلامى مؤخرا مبعوثا الى « جزر فيجى » للاطلاع على النشاط الاسلامـى واوضاع المسلمين بها ·

اسبـانيـا :

* وقع رئيس الجمعية العـامـة الاسـبـانيـة « مورينوطوروبا » فى موسكو عقـدا بشأن التمثيـل المتبادل لحقوق التاليف بين البلدين ·

* القى الدكتور حسين نصر مديـر اكاديميـة امبراطور ايران الفلسفية سلسلة محاضرات فى مدريد تحت اشراف قسم الآداب القديمة التابع لجامعة مدريد المستقلة ، من ضمنها محاضرة بعنوان « فلسفة العالم الاسلامى » قال فيها بالخصوص : **ان اسبانيا يمكن أن تكون جسرا بين ثقافة العالم الغربى والثقافة الاسلامية** وبهذا تستانف الاتصالات الفكرية فى الفلسفة الاسبانية وكانت قد انقطعت منذ عصر الانبعاث ·

* اشترت وزارة الخارجية الاسبانية فى لنـدن 65 كتابا تاريخيا هاما تتعلق بالتاريخ القديم لاسبانيا ، كما اشترت وزارة التربية والعلم من جهتها مخطوطات قيمة من بينها قصائد غنائية « لفاخردو » وقصة عـن الفروسية غير منشورة وعددا من المقالات عن القـرن السادس عشر غير منشورة ايضا ·

* اعلن فى اسبانيا عن انشاء جائزة « مـديـنـة لاكورونيا » خلال المؤتمر الخامس الوطنـى لبائعـى الكتب · قيمة هذه الجائزة خمسمائـة الف بسيطـة وتنشرها « بلانيتا » احدى دور النشر الكبرى ·

* منحت مؤسـسـة خوان مارتش المنح السنوية فى الدراسات العلمية والتقنية ، (52 منحة فى اسبانيا و 17 فى الخارج) واعمال ادبية وفنيـة وموسيقيـة (10 فى اسبانيا و 4 فى الخارج) ·

* اصدر معهد الدراسات الشرقية والافريقيـة التابع للجامعة المستقلة فى مدريد كتابا عن الادب العربى المعاصر بعنوان **« ادونيس : مدخل الشعر العربى »** ·

فـرنسـا :

*** صدر فى باريس كتاب « قدسية الاسلام » للكاتب الفرنسى جان دوربنغ ، ويقول المؤلف فى كتابه بانه عودة الى الاصـول الفكريـة والروحانية الشرقيـة التى يجهلها الغـرب او يتجاهلها ، ويضيف الكاتب بان الغرب قد حاول تشويه الروحانية الاسلامية لانه عجز عـن فهمهـا ·**

* حصل الاديب الفرنسى اندرى دوبتيل المشهور (76 سنة) بكتابه « البلد الذى لا يصل منه احد » على الجائزة الفرنسية الكبرى للاداب لعام 1976 ·

* توفى فى فرنسا الفيلسوف الفرنسى **« جـاك موند »** عن 66 سنة ! وهو عالم احيـاء فـرنسى . حصل على جائزة نوبل عن بحث **« مكانيكيات الوراثة »** وعمل منذ سنة 1970 مديرا لمعهد باستور فى باريس !

وقد تخصص جاك موند فى علوم الاحياء .. وخاصة ذلك الفرع منها الذى يبحث فى الخلايا وتركيبهـا .. وساهم فى حل بعض الالغاز الخاصة بتطور الخلايـا الانسانية وتركيباتها الفريدة المعقدة مثل الشعـر .. والقلب !

واشهر الكتب التى اصدرها «الصدفة والضرورة»

اوسع الكتب الفرنسية انتشارا سنة 1970 . . وفيه اعلن رايه الذى اثار عليه ثورة معارضيه .

الولايــات المتحــدة :

* تم تأسيس معهد للدراسات الاسلامية فـى الولايات المتحدة الامريكية للاشراف على تعليم ابنـاء المسلمين والشعب الامريكى الدين الاسلامى واللغـة العربية واقامة المدارس لمختلف المراحل التعليمية وانشاء مراكز لتعليم اللغة الانجليزية للطلبة القـادمين مـن البلاد العربية والاسلامية وتزويدهم بافضـل السبـل لاكمال تحصيلهم العلمى بالجامعات الامريكية .

ويشرف على هذا المعهد الذى هو عبـارة عـن مؤسسة اسلامية ثقافية خيرية ، عدد مـن المسلمـين والعرب القاطنين والمبعوثين .

انجلتـــرا :

* صدر فى انجلترا كتاب جديد عـن الفيلسوف الانجليزى « **برتراندراسل** » بقلم رونالدكلارك .

اليـابـان :

* **سيفتتح قريبا فى طوكيـو معهـد عربـى اسلامى يهتم بتدريس علوم الشريعة الاسلامية واللغة العربية ، تشرف على المعهد جامعـة الامام محمد بن سعود الاسلامية فى المملكـة العربية السعودية .**

الاتحـاد السـوفيـاتـى :

* حصلت مستشرقة سوفييتية علـى درجـة الدكتوراه من اكاديمية العلوم السوفييتية فى موسكو عن دراسة كتاب الرحالة المغربى ابن بطوطة « تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار » الذى ترجم منذ عدة سنـوات الـى اللغـة الروسيـة والفرنسيـة والانجليزية والالمانية .

عرضت الرسالة للكتاب مركزة علـى الابعـاد الادبية فيه من حيث الاسلوب وتركيب الجمل وطريقة الوصف للرحلات المختلفة والمضمون الاجتماعى الذى عرضه عن البلاد التى قام بزيارتها والصور الجغرافية التى قام بتبسيطها . المستشرقة اسمهـا : سعيـدة حسنوفيـا .

* ترجم الكاتب والناقد السوفياتى سيـرجى شيرفينسكى مختارات من شعر ابى نواس الى اللغـة الروسية .

كتبت مقدمة المختارات التى نشرتها « دار الادب الفنى » السوفياتية المستشرقة الدكتـورة شيدفـار صاحبة العديد من الكتب والدراسات فى علوم وآداب اللغة العربية ، تضمنت المقدمة ترجمة لحياة ابى نواس والمؤثرات المختلفة على شعره وطبيعة عصره .

* عثر فى جبال تيان شان فى جمهورية ترغيزيا السوفياتية على مخطوطة كتاب باللغة العربية يعـود الى القرن الثامن‌عشر الميلادى .

وهو يشكل مجموعة من النسخ المتأخرة لثلاث رسائل من القرون الوسطى فى المنطق والفقه لمؤلفين عرب من بين هذه الرسائل الرسالة الشمسية فى اسس المنطق من تاليف عز الديـن على المعـروف بأبحاثـه الفلسفيـة .

وتضم المجموعة ايضا رسالة زبدة العقائد لعمر النسفى المتوفى بسمرقند عام 1143 ميلادية .

* انتج فى كازاخستان فيلم عن المفكر العربـى المسلم ــ الفـارابى ــ باسم ــ ارسطـو الشرق ــ

ويعرض التراث العلمى للمفكر والكاتب العربـى والعالم الموسوعى ، الفارابى ، كما يعطى فكرة عـن البحوث والرسائل المحفوظة فى المكتبات العامة والمتاحف ببلدان كثيرة من مؤلفات الفارابى .

ويرى المشتركون فى وضع هذا الفيلم ان الافكار المنطقية لهذا العالم تتجلى فى النظام الذى يقوم علـى اساسه التكنيك العصرى للاليات الحاسبة .

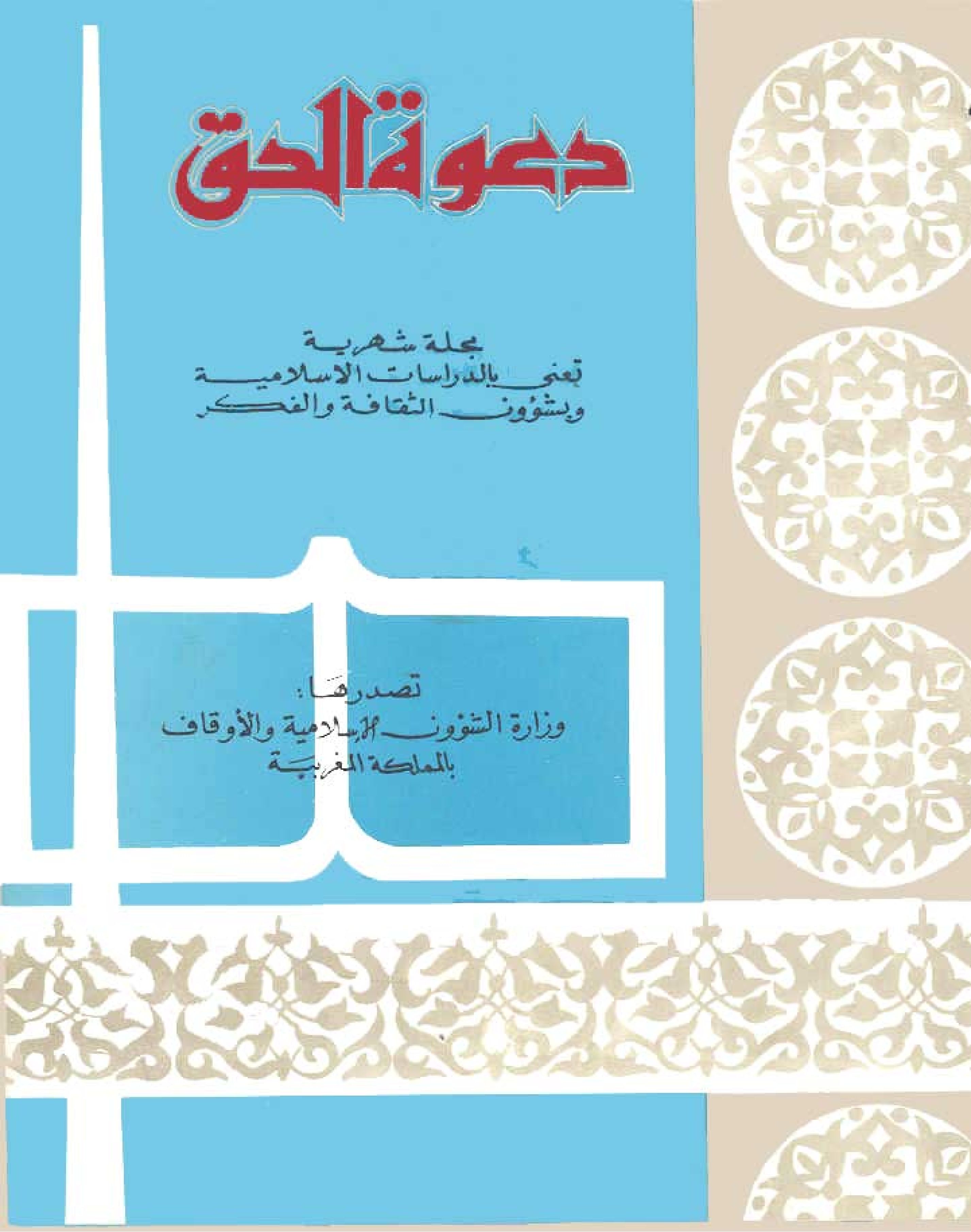
الصيـــن :

* توفى فى هونغ كونغ البحاثة الصينى الدكتـور « لين يولتانج » صاحب الفضل فى التعـريف بالآثـار الكلاسيكية فى الفلسفة الصينية الى قراء العالم .

الدكتور يولتانج (80 سنة) هو الذى ترجم الى الانجليزية آثار كنفوشيوس وغيرهـا مـن المـذاهب والفلسفات الصينية .

الفهرس

ديــوان المجلــة


دعوة الحق
مجلة شهرية
تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها:
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف
بالمملكة المغربية

مجلة تصدرها
وزارة الأوقاف
والشؤون الاسلامية
بالمملكة المغربية

دعوة الحق

العدد الثامن
السنة السابعة عشر
شوال 1396
أكتوبر 1976
ثمن العدد : 3 دراهم

شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :

مجلة « دعوة الحق » — مديرية الشؤون الاسلامية
ص ب : 375 — الرباط — المغرب
الهاتف : 235،85 — 338،30

الاشتراك العادي عن سنة 30 درهما ، والشرف 100 درهم فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :

مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 . 485 الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485-55 à Rabat

أو تبعث رأسا في حوالة بالعنوان أعلاه :

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

من محتويات العدد :